فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي

دكتورة هناء صبري



فلسفة اللغة
عند نعوم تشومسكي

د. هناء صبري

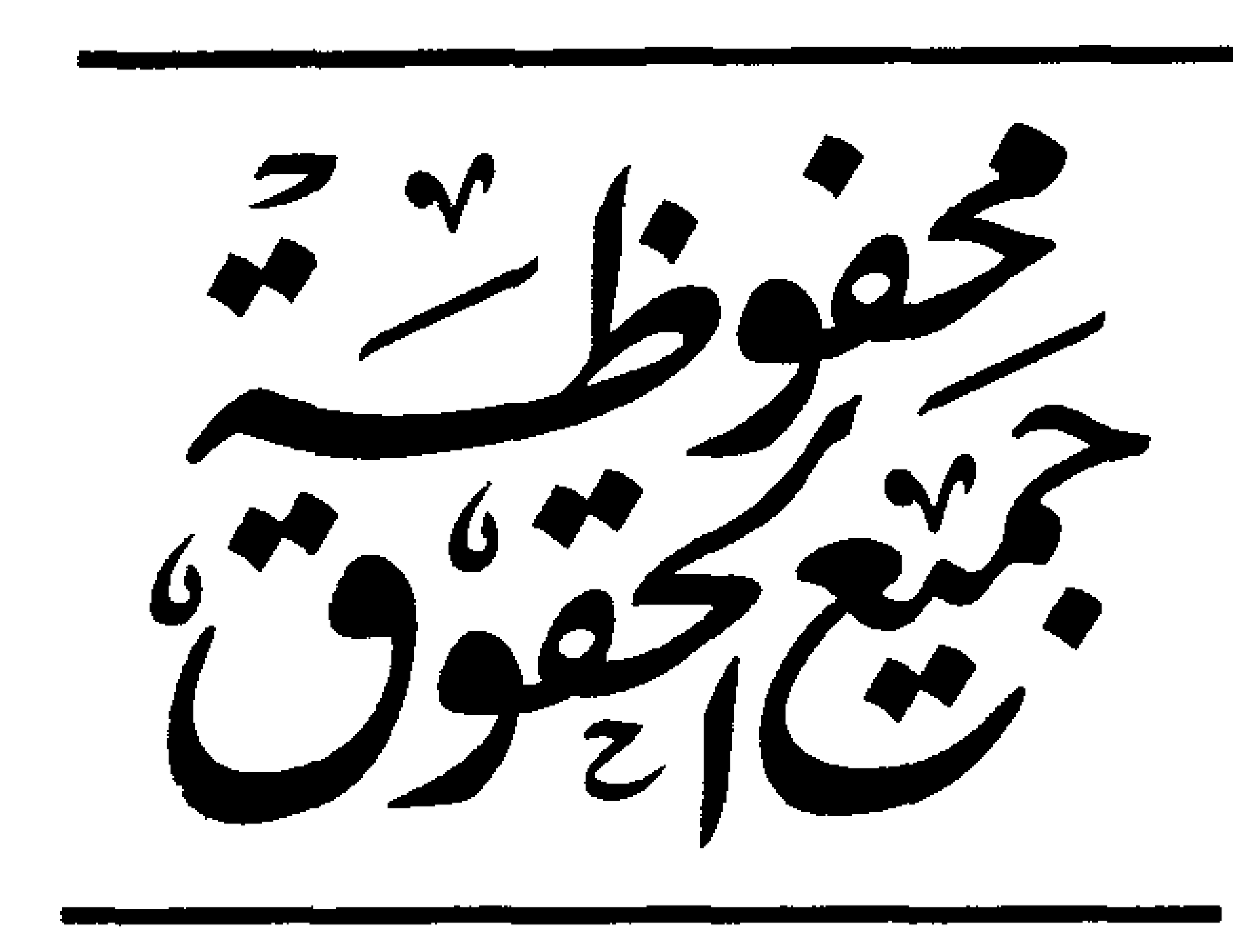
الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب: فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي

اسم المؤلف: د. هناء صبري

تصميم الغلاف: شريف الغالي



الناشر

المكتب العربى للمعارف

٢٦ شارع حسين خضر من شارع عبدالعزيز فهمى

ميدان هليوبوليس – مصر الجديدة – القاهرة

تليفون / فاكس: ٠١٢٨٣٣٢٢٢٧٣ – ٢٦٤٢٣١١٠

بريد إلكتروني: Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى ٢٠١٥

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٣٤٥٢

الترقيم الدولى :I.S.B.N ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٢٧٦ - ٨١٠ - ٣

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة للناشر ويحظر النقل أو الترجمة أو الاقتباس من هذا الكتاب فى أي شكل كان جزئياً كان أو كلياً بدون إذن خطى من الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلي كل الدولة العربية. وقد اتخذت كافة إجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية الحقوق الفنية والأدبية.

بسم الله الرحمن الرحيم

{ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ}

صدق الله العظيم

إهـــــــــداء

إلى روح والدي الحبيب

فهرس المحتويات

مقدمة

يعد تشومسكي أحد أبرز الشخصيات في القرن العشرين ويشبه في ذلك جاليليو، وديكارت، ونيوتن، وموزارت، وبيكاسو. إنه أكثر شخصية حية ذكرت أعمالها في فهرس الفنون والإنسانيات من 1980إلي 1992م، وتم الرجوع إلى كتبه أكثر من أربعة آلاف مرة، كما أن تشومسكي يعد من أبرز مؤلفي العلوم، فقد ذكرت كتاباته حوالي 1619 مرة في قائمة المراجع العلمية من الفترة 1974 حتى 1992م، وقد حصل على العديد من الجوائز والمنح، منها جائزة Kyoto لعام 1988م، وهى جائزة يابانية تقابل جائزة نوبل؛ وذلك لإسهاماته العديدة فى مجال العلوم الأساسية(1). وقد قام تشومسكي بنشر ما يزيد على سبعين كتابا وأكثر من ألف مقال في مجالات معرفية كثيرة منها: علم اللغة، والفلسفة، والسياسة، وعلوم الإدراك، وعلم النفس. تولى تشومسكي منصب أستاذ مساعد في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عن عمر يناهز التاسعة والعشرين، ووصل إلى درجة الأستاذية وهو في الثانية والثلاثين، وقد منح مكانًا ثابتًا فى المؤسسة ومنصبًا قياديًا في السابعة والثلاثين، ومنح لقب أستاذ مؤسس وهو فى السابعة والأربعين وهو منصب شرفي يمنح لأعضاء الهيئة الأكثر تميزًا وتفوقًا. وجدير بالذكر أيضًا أنه حصل على عدد غير محدود من الجوائز والمنح والمناصب الشرفية من مؤسسات وهيئات مختلفة، وفى مجالات متنوعة على رأسها: علم اللغة وعلوم الإدراك التي أحدث فيها ثورات معرفية وتغيرات كبري. وكتبت عنه دراسات تفوق الحصر من بينها ما يقارب من مائة مقال نشرت في مجموعة من ثمانية مجلدات نشرتها روتلدج.(2).

استقبل عمل تشومسكي في علم اللغة والسياسة والفلسفة على نحو مختلف,

---

(1) Robert F. Barsky, Noam Chomsky: A Life of Dissent, Cambridge, Massachusetts: The MIT Press, 1997,p.5.

(2) Ibid.,p. 5.

فقد اعترف معظم زملائه في علم اللغة والمجالات المعرفية الأخرى التي حازت على اهتمامه بأن إسهاماته في علم اللغة والعقل مذهلة. ففي 1950 كانت لديه إرهاصات قبل علماء اللغة والرياضة وواضعي نظرية المعلومات بوضع دراسة اللغة في مجال جديد مائل للصورية الرياضية، بالإضافة إلى ذلك تحول من دراسة تصنيف السلوك اللغوي الإنسانى إلي دراسة جميع العمليات الداخلية للعقل/المخ الإنساني. فقد اخترع تشومسكي في علم اللغة حقلاً جديدًا هو علم اللغة الرياضي، بالإضافة إلى ذلك كانت لديه الدوافع الداعية إلى إحياء وجهة النظر العقلانية من أجل دراسة اللغة بوصفها دراسة العقل، تلك الرؤية التي تم التخلى عنها بحلول منتصف القرن التاسع عشر. لقد ساهم منذ عام 1950 في تطوير نظرية صورية عن اللغات الطبيعية، وخضعت هذه النظرية لتطورات متعددة كان بعض منها تغيرات جوهرية، لكن من الواضح أن هذه التغيرات ما هي إلا تقدم نحو الأهداف التي وضعها عمل تشومسكي المبكر. إن الصورة الحالية للنحو الكلي قادرة على تحقيق أهداف نظرية اللغة والعقل التي تمثل أحد الإنجازات الحقيقية القليلة ضمن المساعي المعتمدة لبناء علم عن العقل الإنساني، بالإضافة إلى ما سبق إسهامها المبكر في علم اللغة يعتبر الآن جزءًا مهمًا وحيويًا مما يسمي بالقوة المعرفية في العلوم المتعددة عن العقل، أي ضمن علم النفس، علم اللغة، الفلسفة، وصور النظرية الحاسبية، ولا يمكننا أن ننسى كتابه «البنى التركيبية» الذي ساهم في إحداث الثورة في علم اللغة[1].

ورغم إنجازاته المتعددة فإن تشومسكي يتميز بشخصيته المتواضعة وتتضح تلك الصفة في وجهة نظره أن عمله لم يحدث ثوره معرفية. وفي ذلك يقول ماك جليفري: «إن تشومسكي نفسه أقل حماسًا لفكرة: إن عمله أحدث ثورة معرفية؛ لأنه يظن أن الثورة المعرفية الحقيقية حدثت في القرن السابع عشر مع عمل ديكارت، وأن المبادئ الأساسية لهذه الثورة أصبحت مفهومة ومتنبأ بها لدى من يسمون أنفسهم الآن علماء الإدراك»[2].

---

(1) James McGilvary, Chomsky: Language, Mind and Politics, Cambridge: Polity, 2003, p. 14.

(2) Ibid.,p. 14.()

وتتألف الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع:

الفصل الأول: يتناول حياة تشومسكي وأهم العوامل الفكرية والفلسفية المؤثرة في نشأته، وآرائه السياسية، وأهم مؤلفاته.

الفصل الثاني: يقوم بعرض الثورة التي أحدثها تشومسكي في علم اللغة من خلال إيضاح مفهوم الثورة فى العلم وسمات البنيوية اللغوية وأهدافها وعيوبها وما حققته ثورة تشومسكي من إنجازات.

الفصل الثالث: يعرض السلوكية بأنواعها المختلفة ونقد تشومسكي لها وتبنيه المذهب العقلاني.

الفصل الرابع: يوضح طبيعة المعرفة اللغوية، ونظريات تعلم اللغة من المنظور السلوكي التجريبي، وأهم الانتقادات التى وجهت لها وعلى وجه الخصوص انتقادات تشومسكي ونظريته في اكتساب اللغة.

الفصل الخامس: يناقش استعمال اللغة والإبداع اللغوى والتناول السلوكي للمعنى ونظرية تشومسكي في المعنى.

وقد استخدمت فى دراستى المنهج التحليلي وهو أكثر المناهج الملائمة للتعامل مع قضايا فلسفة اللغة، واستخدمت المنهج التاريخي أحيانًا فى تأصيل المذاهب والمدارس اللغوية والنفسية وبخاصة التى انتقدها تشومسكي.

الفصل الأول

حياة تشومسكي والعوامل المؤثرة فى فكره

1 - تمهيد.
2 - العوامل الفكرية والفلسفية المؤثرة في فكر تشومسكي.
3 - موقف تشومسكي من القضايا السياسية المهمة التي تشغل العالم.
4 - نقد تشومسكي للسياسية الخارجية الأمريكية.

1 – تمهيد

يتبوأ نعوم تشومسكي (1928 –) مكانة مرموقة في عدة مجالات معرفية في القرن العشرين؛ حيث تتعدد إسهاماته الفكرية في علم اللغة وفلسفة اللغة وفلسفة العقل والسياسة، بالإضافة إلى هذا تؤثر نظريات تشومسكي اللغوية فى علوم الاتصالات وعلوم الحاسب الآلي أعظم الأثر، وتجدر الإشارة إلى نبل موقفه السياسي ونقده الحاد للسياسة الأمريكية الخارجية، ودفاعه عن حقوق الإنسان في مواطن شتى من العالم؛ ولذلك توضع فلسفته في مصاف الفلسفات الإنسانية الخالدة، لكن الذي يعنينا في هذه الدراسة هو الوقوف على الأسس الفلسفية لنظريته اللغوية.

ثار تشومسكي على المنهج السلوكي الآلي، وعلى التقليد البلومفيلدي، وكان كتابه:» البنى التركيبية» (1957) هو الشرارة التي فجرت ثورة عارمة ووضعت حدًا لعصر وبدأ بها عصرًا جديدًا، عصر النحو التوليدي التحويلي. ولقد سيطر الفكر التشومسكي على الساحة اللغوية عند ظهور هذا الكتاب، وحتى يومنا هذا، وقد جعل من صاحبه أهم مجدد بالنسبة للغويين المعاصرين وصاحب مدرسة متميزة اعتبرت رمزًا للحداثة والتقدم العلمي، وحققت لصاحبها مكانة فريدة في علم اللغة المعاصر.

وفي غضون ذلك قام تشومسكي بوضع أساس فلسفي يتم وفقًا له تفسير النظرية اللغوية بصفة عامة، وحل بعض المشكلات الفلسفية بصفة خاصة، والتمس لنظريته اللغوية أصولاً فلسفية تضرب بجذورها في التيار العقلاني عند أفلاطون قديمًا وديكارت حديثًا، وقام بتسمية المشكلات الفلسفية اللغوية التي واجهته بأسماء الفلاسفة الذين أثاروها، مثل: مشكلة أفلاطون ومشكلة ديكارت. وأكد تشومسكي أن تعامله مع أعمال الفلاسفة المعاصرين في اللغة وطبيعة أبحاثهم العلمية كانت المحفزة له، وأن للمقدمات الفلسفية عند نيلسون جودمان وكواين تأثيرها العظيم فى فكره، وأنه تأثر بفلاسفة العلم، خصوصًا أعمال توماس كون، وآمري لاكاتوش.

تكمن أهمية فكر تشومسكي في تأكيده على وجود لغة إنسانية واحدة فقط، وأن كم التعقيد الهائل للغات غير المحدودة التي نستمع إليها من حولنا، ما هو إلا اختلافات حول موضوع واحد. لقد أحدث بفكره تغييرًا كاملاً في علم اللغة، وعندما فعل ذلك قام بوضع قطة بين الحمائم الفلسفية. لقد أعاد بعث نظرية الأفكار الفطرية، موضحًا أن الجزء الجوهري من معرفتنا محدد وراثيًا، وبذلك أعاد الأفكار العقلانية إلى وضعها، إن» المعرفة اللاواعية « هي ما يشكل أساس قدرتنا على الفهم والكلام، وهذه الفكرة قلبت المدرسة السلوكية المهيمنة في علم النفس، وأعادت

العقل إلى الصدارة في دراسة البشر، باختصار غير تشومسكي الطريقة التي نفكر بها في أنفسنا، وبذلك كسب مكانة في تاريخ الأفكار تعادل مكانة داروين وديكارت، فعل ذلك بينما هو يكرس أغلب وقته للسياسة والنشاط المعارض: الكشف عن أكاذيب الحكومة(السياسة الأمريكية)، وإيضاح التأثيرات الخفية للشركات الكبرى، وتطوير نموذج النظام الاجتماعي، والعمل بوصفه ضميرًا للغرب[1].

إن أمثاله في التأثير في القرن العشرين شخصيات متباينة مثل اينتشين وبيكاسو وفرويد، لقد قام تشومسكي بتغيير تصورنا عن العقل شأنه في ذلك شأن فرويد، وهو يمزج مثل اينشتين الإبداع العلمي مع النشاط السياسي، وربما أعظم تشابه له مع براتراندرسل – صاحب مبادئ الرياضيات– الذي أعاد تعريف أسس الرياضيات وكرس معظم حياته للنشاط والكتابة السياسية، لكن بينما كان يعرف كل شخص شيئا ما عن الرياضيات، يرجع الفضل على نطاق واسع فى معرفة معظم الناس بعلم اللغة إلي تشومسكي، إن شهرته في علم اللغة، والفلسفة، وعلم النفس ضمنت له أولاً أن يستمع عدد قليل من الناس إلى آرائه السياسية وبالتالي جذبت شهرته السياسية الانتباه لعلمه الأكاديمي الذي وضع دراسة اللغة في الاتجاه العام للبحث العلمي وجعلها ذات علاقة في وقت واحد مع بقية العلوم الإنسانية والطبيعية[2].

---

(1) Neil Smith, Chomsky: Ideas and Ideals, Cambridge: Cambridge University Press, 2004,p.l.

(2) Ibid.,pp.1 - 2.

يعتقد «ماك جليفري»أن أهمية فكر تشومسكي تأتي من كونه أسهم بشكل واسع في الطرق التي تفهم بها الكائنات البشرية من ناحية لغاتها، وعقولها، وسلوكها وحتى أنفسهم من حيث هم أشخاص. إن لكتاباته وكلامه تأثير واضح في علم اللغة، العلم الإدراكي، الفلسفة، التاريخ العقلي، العلوم الاجتماعية والسياسية، يرتكز الجزء المهم من عمل تشومسكي في مشروعين عقليين مختلفين، نتلمس نتائج أحد هذه المشروعات في كتبه ومقالاته وكلامه عن علم اللغة الصوري (الرياضي)، ويهدف من ورائه إلى إنتاج علم جيد عن اللغات الطبيعية، يسعى هذا المشروع إلى الإجابة عن التساؤلات المتعلقة بما يلي: « كيف يكون الطفل قادرًا على اكتساب لغة أو لغات متعددة من آلاف اللغات الطبيعية على نحو سريع؟» أما المشروع الثاني نجده في تناوله الموضوعات السياسية والاجتماعية؛ حيث يتحدث باستمرار عن تغيير سياسات الحكومة ومشاكل العالم. من ذلك يبدو أن هدف تشومسكي تزويد كل شخص مستعد للإنصات إليه بكمية هائلة من المعلومات ذات الصلة بالخيارات والأهداف السياسية والاجتماعية للشخص الأخلاقي، وصلة ذلك بطرق اختيار الناس أن يحيوا حياتهم[1].

قد يبدو أن علم اللغة عنده لا يتصل – على الأقل – للوهلة الأولى بتعليقاته السياسية والأفكار الاجتماعية والسياسية التنويرية التي يقرها وربما يبدو الأمر عكس ذلك أيضًا، ومع ذلك هناك طريقة – كما يرى ماك جليفري – لفهم كيف أن هذه المشروعات يكمل بعضها بعضًا، وربما ترتبط أكثر مما هي عليه، يكمن ذلك التكامل في النظرية الفلسفية العقلية البيولوجية الطبيعية والادعاءات المحددة التي تتضمنها. إن وجهة النظر الرئيسة لهذه النظرية هي طبيعة العقل الإنساني – بنيته وقدراته – وقدرة الفرد على الاختيار الحر جزء من سلوكه. إذا نظرنا إلى علم اللغة بوصفه إسهامًا في الأساس البيولوجي المتطور لعلم العقل، كان في مقدورنا رؤية الاتصال بين علم اللغة وعلم السياسة عنده. إذا زود العلم المتطور للعقل بجوهر التفسير لما هو مميز للطبيعة الإنسانية، كان في مقدورنا أن نرى هذا بوصفه إسهامًا لعلم الطبيعة الإنسانية، وربما يزودنا علم اللغة مع علوم العقل

---

(1) James McGilvray, Chomsky: Language, Mind and Politics, p.8.

الأخرى بتبصر – وربما أكثر من تبصر – عن صور التنظيم الاجتماعي المختلفة التي تملكها المخلوقات البشرية المختلفة؛ لأننا نشترك جميعًا في امتلاك العقل مع إمكانية الاختيار الحر، بناء عليه سوف تنتج صور التنظيم الاجتماعي التي يقرها تشومسكي – وتجسد إحداها مثاليات التنوير الإنساني، مثل: حق الفرد في التطوير الحر لقدراته ومواهبه.

إن هدف عمل تشومسكي في اللغة والسياسة إيضاح أن أعماله اللغوية والسياسية يمكن أن ترى بوصفها سمات مشروع فلسفي يسعى فيه علم اللغة والعلوم العقلية الأخرى إلى إخبارنا ما العقل، بناء عليه يمكن تخيل صورة مثالية عن التنظيم الاجتماعي قائمة على أسس عقلانية ومعقولة، وفي ذلك يلعب علم اللغة الدور الرئيس في هذا المشروع ككل. لو صح ذلك، فإن المثالية الإنسانية التنويرية ربما لديها بعض التبرير لعلم يجيب عن ماذا يكون الإنسان؟[1]،وتلك هى الغاية النهائية لفلسفة تشومسكي المتمثلة فى إلقاء الضوء على الطبيعة الإنسانية.

يؤكد «جون ليونز» على وجود صلة وثيقة بين علم اللغة وآراء تشومسكي السياسية، في ذلك يقول: «إن نظرية تشومسكي اللغوية وفلسفته السياسية لا تنفصل أحدهما عن الأخرى، كما قد يبدو للوهلة الأولى»[2]، لإنه على اعتقاد راسخ بأن التيار العقلاني يمنح الحرية للإنسان، على سبيل المثال حرية الإرادة والاختيار الحر وإمكانية التغيير وبناء عليه الوقوف في وجه الحكومات والبحث عن الديمقراطية بالمعنى الحقيقي، على حين يكرس التيار التجريبي السلوكي الانصياع التام للحكومات، ومن ثم عبودية الإنسان. بناء عليه، من الطبيعي أن نجده من ألد أعداء علم النفس السلوكي أو المذهب السلوكي الذي يرى أن جميع معتقدات الإنسان ومعارفه، وكذا طرق تفكيره وسلوكه وأفعاله سواء أكانت بسيطة أم مركبة يمكن تفسيرها من حيث هي عادات تقوم على مبدأ الإشراط؛ بحيث لا تختلف في كيفيتها أو نوعها عن الطريقة التي تتعلم بها الفئران في معامل علم النفس حينما تريد أن تصل إلى غذائها

---

(1) Ibid.,pp.9 - 10.

(2) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية، 1985، ص36.

بدفع حاجز خاص في القفص الذي حبست فيه [1].

وفي الإجمال يمكن القول مع «جون ليونز»: إن فلسفة تشومسكي هي في جوهرها «فلسفة إنسانية « سعت إلي إيضاح تفرد الإنسان عن الحيوان والآلة، فلسفة تؤمن بحرية الإنسان والمساواة بين البشر والإخاء الإنساني وتسعى للحفاظ على كرامة الإنسان، وفي ذلك يقول جون ليونز: « يرى تشومسكي أن الإنسان يختلف عن الحيوان والآلة، وهذا الاختلاف لابد أن يؤخذ في الحسبان سواء في العلم أو الحكم أو السياسة، وهذا الرأي هو الذي يكمن خلف فلسفته اللغوية والسياسية ويوحد بينهما، ومن ثم فإن فلسفة تشومسكي هي فلسفة إنسانية؛ لأنها تجد استجابة تلقائية في نفوس هؤلاء الذين يؤمنون بالإخاء الإنساني ونبل الحياة الإنسانية وكرامتها.»[2].

(1) المرجع السابق، ص36.

(2) المرجع السابق،ص37.

2 - العوامل الفكرية والفلسفية المؤثرة في فكر تشومسكي

ولد إبرام نعوم تشومسكي في السابع من ديسمبر عام 1928، عاش مع والده دكتور وليام تشومسكي ووالدته إليس سيمونوفسكي في فلادلفيا، مقاطعة بنلسلفانيا، غادر وليام تشومسكي موطنه الأصلي روسيا إلى الولايات المتحدة في عام 1913،هربا من أن يزج به في الجيش الروسي. حال وصوله عمل كبائع في محلات مدينة بالتيمور بولاية ميريلاند. استطاع بعد ذلك أن يجد طريقة في جامعة جونز هوبكنز مستغلًا قدراته على تدريس اللغة العبرية لكسب قوته، انتقل وليام تشومسكي بعد ذلك إلى فلادلفيا حيث امتهن هو وزوجته التدريس في المدارس الدينية في مجمع ميكفا الإسرائيلي، ومع مرور الوقت أصبح مديرًا لهذه المدرسة [1].

استمر والد تشومسكي في متابعة بحثه في مجال اللغة العبرية خاصة في عصورها الوسطى حتى أصبح على حد قول مجلة نيويورك تايمز:» واحدًا من أهم واضعي قواعد النحو في اللغة العبرية في العالم» له مؤلفات عديدة عن اللغة العبرية، وهو صاحب دراسة «اللغة الخالدة» عام 1957، وله عده أعمال أخري، مثل: العبرية وقصة لغة حية (1947)، وهو الكتاب الذي يعد أساسًا للغة العبرية، كيفية تدريس العبرية في المراحل المتوسطة(1946)، التعليم والتعلم (1959). وقام أيضًا بتقديم دراسة عن قواعد النحو في اللغة العبرية خلال القرن الثالث عشر، والتي اسماها ديفيد قمحي: قواعد اللغة العبرية (1952)، وهو ذلك الكتاب الذي قرأه نعوم حينما كان في الثانية عشر من عمره. وقد عني هذا الكتاب بالدراسة والنقد والتحليل وبقي إلى اليوم كتابًا يقول عنه تشومسكي أنه يستمتع

---

(1) Robert F. Barsky, Noam Chomsky, p.9.

بقراءته كثيرًا[1].

يتضح جليًا تأثير الأب فى الابن. يقول كارلوس أوتيرو: قبل وفاته بفترة وجيزة لخص وليام تشومسكي هدفه الأسمى في الحياة فقال في جمل قصيرة: « تعليم الأفراد المؤهلين لاستقبال أفكار، مثل التكامل والحرية والاستقلال وتعليم أولئك المهتمين بتحسين وتطوير العالم وأولئك المتحمسين للمشاركة فى جعل الحياة ذات قيمة ومعنى للآخرين»

ولذا يصعب القول إن نعوم تشومسكي كان يعمل بمفرده، علاوة على ذلك فقد وصف من قبل أفراد عائلته بأنه رجل نبيل وكثير التفاعل مع الآخرين، تقول بي تاكر (سكرتيرة تشومسكي في فترة الثلاثينيات): «كان رجًلا رقيقًا في المشاعر وثريًا في الفكر وكان كريمًا مع الطلاب وهيئة التدريس». ذات مرة طلبت تاكر منه أن أتقدم للتوظيف في مجمع ميكفا الإسرائيلي في منتصف الثلاثينات أملاً فى أن تحصل على وظيفة أخري، وقد سمح لها بذلك وبالفعل أصبحت بي تاكر تقوم بالتدريس لديفيد تشومسكي (الأخ الأصغر لنعوم)، وأيضًا لــ كارول تشانز التي صارت زوجة لنعوم بعد ذلك[2].

وبالمثل فقد لعبت والدة تشومسكي دورًا مهمًا في تطوير شخصيته كمفكر ومعلم وناشط، فمنذ أن كان صغيرًا استهواه حسها السياسي الذي كان دافعًا له لأن ينظر إلى ما وراء الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة وتفعيل دوره السياسي، لقد درست العبرية في مجمع ميكفا، ولما أراد تشومسكي أن يخوض غمار الحياة التدريسية كانت بالنسبة إليه خبرة مألوفة. يقول أوتيرو: إن تأثير والده عليه يمكن تتبعه على نحو أيسر من تتبع تأثير والدته ؛ حيث إنها كانت يسارية في نطاق الاهتمام العام بقضايا المجتمع والسياسة والتي كانت تعتبر جزءًا مهًما من حياة تشومسكي الفكرية، ويمكن للمرء أن يتخيل الحوار الذي يدور على العشاء في مثل هذا المنزل، يقول أوتيرو: «يقرر تشومسكي ببساطة «خلال فترة الطفولة كانت هناك غزارة في المناقشات التي تتناول الموضوعات الشيقة والمهمة»، ومن

---

(1) Ibid, p.10

(2) Ibid., p11.

هذه القضايا قضية الصهيونية التي كانت محط الاهتمام وخاصة في عصر التنوير الأوربي الغربي»، يضيف أوتيرو قائلا: كانت عائلة تشومسكي متأثرة إلى حد كبير بالكاتب والروائي العبري الكبير آشر جونسنرج (1856 - 1927) الذي كان متحدثا رسميًا باسم الحركة الصهيونية، والذي اشتهر باسم «أحد عام» أي: «واحد من عامة الناس»،إلا أن البعض قد شكك في نهج جونسبرج وذهبوا إلى أن أفكاره كانت ضد الصهيونية»[1].

كانت إليس أكثر تحفظًا من زوجها وليام، تقول بي تاكر في وصف شخصيتها: «هي امرأة هادئة، عميقة الفكر وبعيدة النظر وحادة الذكاء، فهي تشبه زوجها في اهتمامه بالحديث في الموضوعات العامة والاجتماعية».

كانت بي تاكر، أحد الأفراد المقربين من عائلة تشومسكي، وكانت تعتبر أن كل فرد من أفراد هذه العائلة موهوب في مجال ما، وحتى منذ نعومة أظافرهما كانت تاكر تعرف أن نعوم وديفيد تشومسكي سيتبعان خطى والديهما. وقد أثبت نعوم ذلك بل لقد جمع مميزات والديه، فهو شخص دافئ الشعور لين الجانب رغم ملامحه العنيفة، شخص خجول في بعض الأحيان ويتمتع برباطة الجأش عند الحديث مع جمع من الناس، ولكن يبقى عالمه بلا شك واحدًا من الكتابات والدراسات والأبحاث الفريدة[2].

منذ وقت باكر في حياتهما دخل نعوم وديفيد تشومسكي في الحياة العلمية والثقافية وتقاليد اليهودية؛ وذلك بسبب مهنة والديهما، كان ديفيد تشومسكي طفل ذو مواهب خاصة وكان دائم التفاعل في المناقشات التي تدور في محيط العائلة[3]، من يتعرف على حياة نعوم وديفيد تشومسكي في فترة الطفولة يدرك أنه رغم قربهما الشديد من بعضهما البعض إلا أن ثمة اختلافات جوهرية بينهما؛ كان ديفيد له ظهور أقل من أخيه الأكبر، له مزاج أكثر هدوءًا. تقول بي تاكر: «كان نعوم تشومسكي منذ أن كان طفلا يحب المنافسة والمحاولة والتجريب»، وقد ذكرت

---

(1) Ibid., pp.11 - 12.

(2) Ibid.,p.12.

(3) Ibid., p.13

موقفًا حدث حين زيارتها لعائلة تشومسكي في أجازة عام 1935 تقول: « إن نعوم كان في السابعة من عمره حيث إنها وجدت نفسها أمامه بعد أن غادر وليام وإليس الغرفة، ولكي تتجاذب أطراف الحديث معه أشارت إلى موسوعة كومنيوس وسألت نعوم إن كان قد قرأ في أحد هذه المجلدات، فأجاب بهدوء: لقد قرأت نصفها فقط»،وعلى حد قول بي تاكر، فإن نعوم هو العقل المفكر، وديفيد هو الشخص الوسيم. اكتسب ديفيد شخصية والده السهلة، بينما اكتسب نعوم شخصية والدته المتحفظة، درس ديفيد الطب ومازال يعمل ويعيش في فيلادلفيا[1].

حظى نعوم وديفيد بحياة من نوع خاص، فقد اشتركت عائلة تشومسكي في كثير من مظاهر الثقافة اليهودية وتفاعلت مع قضاياها وبالأخص إحياء اللغة العبرية. يقول تشومسكي لأحد الصحفيين وهو «الينور واتشل» قد قرأت مع والدي الأدب العبري وقرأت الأدب في القرون التاسع عشر والعشرين وقرأت نصوص أقدم من ذلك، إننى تعلمت في مدرسة يهودية ثم أصبحت معلمًا للعبرية وبسبب اهتماماتي السياسية تحولت إلى اهتمامات دينية صهيونية. تذكر كارول دوريس تشانز أن نعوم تشومسكي كان يدير المناقشات في المدارس العبرية رغم كونه طالبًا، اقترب نعوم من كارول تشانز حتى تزوجا وقضيا بقية حياتهما معًا. ذكرت بي تاكر أن كارول كانت فتاة ذات جاذبية، ممتلئة المشاعر، وكان أبوها طبيبًا، وكان لعائلتها وضع اجتماعي مرموق مثل عائلة تشومسكي. يقول نعوم تشومسكي في هذا الصدد: قابلت كارول حين كنت في الخامسة من عمري بينما هي كانت في الثالثة، حدث ذلك أثناء زيارة أسرتي لعائلتها في أجازة صيف، وقت أن كنا في فيلادلفيا. لا أذكر أني تحدثت إليها حتى ناهزت الرابعة عشرة»[2].

حين كان في التاسعة من عمره اعتاد نعوم أن يجلس في الصف الأمامي في المجمع الإسرائيلي وكان يعير مدرسه القليل من الاهتمام, كان المعلم عاده هو والدته السيدة إليس يقول انزلو سانكواسكي، أحد معلمي العبرية في المجمع الإسرائيلي: «كان متوقعًا أن يعرف تشومسكي أكثر من أقرانه عن اللغة العبرية،

---

(1) Ibid., p.13.

(2) Ibid., pp.13 - 14.

لا يلاحظ عليه الاختلاف، ولكن عند الحديث معه نخرج منه بالمعرفة والعلم الوفيرين وعندها تعلم أنه طفل ذو موهبة خاصة»[1].

لقد بدأ التعليم الرسمي في سن مبكرة جدًا وهو في الثانية من عمره، حين أرسل إلى مدرسة متأثرة بفكر جون ديوي التجريبي في فلادلفيا، ظل فيها حتى سن الثانية عشر. ومن الملاحظ أن موقف جون ديوي من التعليم يشابه موقف الفيلسوف فون همبولدت الذي يعد المبشر لتشومسكي في كل من علم اللغة والسياسة. بالنسبة لديوي مثل همبولدت» التعليم يجب أن يوفر للطفل فرص يحقق من خلالها ذاته، أي يزود الطفل ببيئة تتحداه كي يكتشفها بطريقته الخاصة»، ولا يزال هذا الموقف من التعليم هو رأي تشومسكي؛ لأنه يعتقد أن الأفراد تتطور شخصياتهم على نحو أفضل إذا ما أعطوا الفرصة للإبداع بحرية بدلا من إتباع المبادئ التعليمية الصارمة [2].

سمح له التحاقه بتلك المدرسة مع أقران آخرين من بيئات مختلفة ذو مستويات مختلفة من المواهب، بأن يستمروا في تطوير ملكاتهم الإبداعية من دون خوف من أسلوب التقييم التنافسي. كان الطلاب يمارسون اهتماماتهم إما على نحو فردي أو في جماعات، ويتم تشجيع كل عضو في الفصل على التفكير في نفسه بوصفه طالبًا ناجحًا جدًا. وكان معيار المقارنة بين الطلاب الإبداع وليس الدرجات، ولم يكن هناك عمل أكثر أهمية من عمل آخر[3]ومن الأنشطة المتعددة في المدرسة مشاركته في الجريدة المدرسية، فعندما بلغ العاشرة من عمره كتب أول مقالة عن سقوط برشلونة أثناء الحرب المدنية الأسبانية. لقد وجد نفسه مشغولاً بقضايا سياسية كثيرة منها سقوط برشلونة والصراع بين الحركات اليسارية. ومن غير المعقول أن ينشغل طفل فى العاشرة بتلك الأمور، لكن طبيعة حياة أسرة تشومسكي ونوعية اهتماماتهما شجعته على ذلك[4].

(1) Ibid., p.14.

(2) Ibid.,.p.15.

(3) Ibid.,p.16.

(4) Ibid.p.17.

انتقل تشومسكي في الثانية عشر من عمره إلى المدرسة الثانوية في فلادلفيا أيضًا، تكون الوعي لديه في تلك المدرسة بأنه طالب متفوق؛ لأنه يحصل على أعلى الدرجات، لقد صدم باكتشافه أنها مدرسة تقوم على النجاح الأكاديمي، مدرسة تقوم على الالتزام بالمنهج والسلطة مقارنة بالحرية والإبداع في مدرسته السابقة، وفي ذلك يقول: « لو عدت إلى الخلف حول خبرتي اعتقد إنها نقطة سوداء»[1].

لقد بدأ تشومسكي دراسته الجامعية بجامعة بنسلفاينا في سن السادسة عشر، كان يدفع مصاريفه المدرسية من تدريسه في مدرسة عبرية في الظهيرة أيام الأحد وفي بعض الأحيان في المساء تعددت قراءاته في اللغات والفلسفة والمنطق، وسجل نفسه في البرنامج العام للدراسة. أيضًا درس العربية وكان الطالب الوحيد في الجامعة الذي فعل هذا في ذلك الوقت. وعلى الرغم من أنه انغمس في العمل بحماسة الطالب المبتدئ المثالي، لكن سرعان ما أصبح مثبط الهمة لأنه اكتشف أن النظام التعليمي الذي ضاق به منه في المدرسة الثانوية هو نفسه نظام جامعة بنسلفاينا. لكن ما أثار إعجابه في تلك الفترة أنه كان قادرًا على الاتصال مع بعض الأساتذة الذين أثاروه ذهنيًا. فقد قابل ويست شيرشمان في قسم الفلسفة وأستاذه في العربية كان جورجيو ديلافيدا. لم يكن مهتمًا ببساطة بعملهم الأكاديمي، لكن جذبه إليهم اتجاههم العام فلقد أعجب بـــديلافيدا سياسيًا أكثر منه أكاديميًا [2].

لعب كتاب» مناهج في علم اللغة البنيوي « دورًا حيويًا في إقامة العلاقة بين هاريس وتشومسكي. ذكر تشومسكي نفسه ذلك في مقدمة عمله « البنية المنطقية للنظرية اللغوية «:

«إن بدايتي الرسمية مع مجال علم اللغة كانت في عام 1947م، عندما أعطاني زيلج هاريس بروفات كتابه «مناهج في علم اللغة البنيوي « كي أقرأه. لقد وجدته مثيرًا وبعد بعض المناقشات المهمة مع هاريس قررت أن أتخصص في علم اللغة بوصفي طالبًا جامعيًا في جامعة بنسلفانيا. ومما شجعني علي ذلك أيضًا حصولي على بعض المعرفة بعلم اللغة التاريخي والنحو العبري في العصور

---

(1) Ibid.,p.21

(2) Ibid., p.47.

الوسطى استنادًا على علم والدي في هذه الميادين، وفي نفس الوقت دراستي للعربية مع جورجيو ديلافيدا».[1] وفي الحقيقة أن أراء هاريس السياسية هي أول ما جذب تشومسكي إليه وليس كونه عالم لغة، لقد شجع هاريس تشومسكي على الالتحاق بمحاضرات في الفلسفة مع نيلسون جودمان ومورتن وايت» [2].

أثار إعجابه في زيلج هاريس عمله السياسي ودراساته اللغوية وطريقته غير الأكاديمية، لقد أدرك أن هاريس سبب رئيس لبقائه في بنسلفانيا. كان هاريس يشجع المناقشات الحية الإبداعية التي كانت دعامة أساسية في تعليم تشومسكي المبكر، بذلك أصبح قسم علم اللغة في جامعة بنسلفانيا مشابه لطابع مدرسته الابتدائية. إن الطلاب يشاركون بحماسة في علم اللغة وأيضا في السياسة. لقد حصل على الدرجة بطريقة غير مألوفة من جامعة بنسلفانيا في اهتماماته في علم اللغة – الفلسفة – المنطق[3].

تزوج في عام1949م من كارول التي شاركته اهتماماته، متضمنة التاريخ والثقافة اليهودية ودراسة اللغة والفلسفة. عملت كارول فيما بعد في حقل علم اللغة وعند زواجها كانت نشيطة في القضايا السياسية لكن بطريقة مختلفة عن تشومسكي[4].

في عام 1953 قرر تشومسكي وزوجته قضاء بعض الوقت في إسرائيل، وهو المكان الذي كان هو وزوجته قد فكرا كثيرًا في المعيشة الدائمة فيه. وذهبا للمعيشة في أحد التجمعات اليهودية لقرابة ستة أسابيع. وكانت هذه خبرة مهمة للزوجين؛ حيث أتاحت لهما فرصة ليتعرفا على ما هي الحياة في مجتمع تحرري يساري ناجح، حيث يقوم الجميع بأداء العمل اليدوي والعمل العقلي معًا، ولم يتمتع بالمهارة المناسبة للعمل في ذلك التجمع – الذي كان يعرف بهازوريا – لذا عمل في مجال الزراعة، وكان ذلك التجمع على درجة كبيرة من الفقر، فقد كان هناك الكثير من العمل الشاق والطعام القليل علاوة على ما وصفه بـــ» الخضوع

---

(1) Ibid., pp.49 - 50.

(2) Ibid., p. 50.

(3) Ibid., p. 51.

(4) Ibid., p. 52.

الأيديولوجي». الأمر الذي أزعجه كثيرًا وجود الطابع العنصري الفصلي وما زاد الأمر سوءًا هو أن الطبقة ذات التعليم العالي لم تدرك ذلك[1].

تأسست الدولة الإسرائيلية عام 1947 - 1948 وكان تشومسكي من المعارضين لتأسيسها حيث خشي أن المؤسسات الاشتراكية والشخصية الفلسطينية المزدوجة القومية سيتم رفضها في مقابل الكيان المؤسس؛ ففي إسرائيل كانت الفئات غير اليهودية مهمشة وتلقى المعاملة السيئة والاحتقار. وكان لتلك الازدواجية الأثر في إثارة شكوكه في فضائل الدولة الدينية المؤسسة [2].

وكان يسكن في ذلك التجمع اليهودي أغلبية ألمانية ذوي التعليم العالي، وقد تزامنت إقامة تشومسكي مع محاكمات سلانسكي في تشكوسلوفاكيا وآخر عهد ستالين، التي قد وجدت على نحو غريب من يؤيدها في ذلك التجمع، وبالرغم من أن السبب الذي دعا تشومسكي للمغادرة لم يكن الاختلافات الفكرية مع كثير من سكان ذلك التجمع، وبالرغم من رغبة كارول في البقاء إلا أنهما قد عادا إلى كمبردج. وكانت كارول قد عادت لفترة ستة أشهر عام 1955 وعادت إلى كمبردج بنية الإقامة الدائمة في إسرائيل مع نعوم، إلا أنه لسبب ما أو لآخر كما كتب نعوم:» لا أدري السبب في عدم عودتنا»[3].

نظرًا لقوة فصل واحد من رسالته منح تشومسكي درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا في عام 1955. وعدا علاقته بكل من جودمان وهاريس فقد انقطعت علاقة تشومسكي بتلك الجامعة بعد ذلك الفصل. وكانت الفترة التي كتب فيها رسالته والتي شكلت الأساس الذي اعتمدت عليه النسبة الكبيرة من أعماله اللاحقة كانت فترة وحدة وتركيز، ففي حالة العزلة تلك عكف في حالة «تركيز غير معقولة». وهنا يقول «عندما أتأمل تلك المرحلة لا يمكنني معرفة كيفية كتابة كتاب من ألف صفحة في شهور قليلة، وهو الكتاب الذي حوى العديد من الأفكار

---

(1) Ibid. ,p.82.

(2) Ibid., p.82.

(3) Ibid., pp. 82 - 83.

التي شكلت الجزء الأكبر من نتاجي الإجمالي» [1].

تمت طباعة هذا العمل الضخم (عدا بعض الأجزاء التقنية) عام 1975 بعنوان «البناء المنطقي للنظرية اللغوية» وظلت أصول ذلك الكتاب مصدرًا للغموض والخلط فترة طويلة من الزمان برغم أن تاريخ النسخة اليدوية وردت فى مقدمة الكتاب:» أثناء فصل الخريف لعام 1955 قمت بمراجعة بعض فصول الكتاب. في ذلك الوقت كان قد تم عمل نسختين ميكروفيلم فى مكتبات جامعة هارفارد واحدة لنسخة عام 1955 وواحدة للنسخة المعدلة لعام 1956. ومن هاتين النسختين والنسخة الصادرة عام 1955 تكونت النسخة التي وزعت لاحقًا» [2].

تقدم تشومسكي بأجزاء من هذا العمل إلى إصدارات معهد ماساتشوستس إلا أنها قد رفضت مع إبداء الملحوظة التالية أنه عمل لمؤلف غير معروف يسعى لاتخاذ منحى غريب لا يمكنه أن يقدم مقالات مبنية على أفكاره الخالصة للدوريات المتخصصة قبل أن يقوم بإصدار هذه الأفكار على شكل كتاب» وفي هذا كتب تشومسكي: « إن ما كنت أقوم بعمله لم يكن يتعلق بعلم اللغة أو على الأقل علم اللغة البنيوي كما هو الحال في أمريكا وأروبا»، والنسخة التي قد نشرت عام 1975 احتوت على أجزاء من نسختي عام 1955 وفي عام 1956 وفي عام 1958 حصل تشومسكي على زمالة مؤسسة العلوم القومية بمعهد الدراسات المتقدمة بجامعة برنستون [3].

روى فرانك هيني الحكاية الغريبة لهذا النص في عرضه للكتاب في دورية «Synthese" وأشار إلي إن ذلك الكتاب كتب منذ عشرين عامًا قبل تاريخ إصداره، وأنه أرسى دعائم الاتجاه الجديد في مجال البحث اللغوي وهو الذي عرف لاحقًا النحو التحويلي. والنسخة الأولي للكتاب التي كانت توزع بين أيدي بعض الأكاديمين ظلت مجرد «إشاعة صغيرة غير محددة» لاتجاه جديد في الدراسات اللغوية. ولكن ذلك الاتجاه قد اكتسب الغلبة والهيمنة وخاصة في الأوساط اللغوية

---

(1) Ibid., p. 83.

(2) Ibid., p. 83.

(3) Ibid., p. 84.

الأمريكية، وهكذا كان تشومسكي الباحث الجديد علي رأس مجال بحثه لم يكن معروفًا من قبل منتصف الخمسينات ولم يكن في ذلك الوقت يعمل بوظيفة [1].

أثناء فترة زمالته بجامعة هارفارد (1951 - 1955) قضي تشومسكي معظم وقته في كمبردج إلا أنه استمر في علاقته مع هاريس الذي واصل التدريس في جامعة بنلسلفانيا. ومنذ منتصف الخمسينات كان لتشومسكي علاقات محدودة بهاريس التي ما لبثت أن انقطعت تمامًا بمنتصف الستينات، فقد أصبح مشروع هاريس اللغوي أقل أهمية بالنسبة لتشومسكي الذي سلك اتجاهًا جديدًا، وكان علم اللغة كما رأى تشومسكي وصل إلى نفس النتائج مرارًا وتكرارًا بشكل غير معقول. حاول هاريس – كما يرى تشومسكي – » أن يحقق أمرًا جديدًا من خلال دراسة بنية الخطاب،قام باستخدام خصائص التحليل اللغوي لإجراء تحليل الخطاب»،ومن هذا المسعى ولد علم تحليل الخطاب، وكان ما يهم تشومسكي في ذلك هو عملية التوليد «وصولاً إلى وضع تصور ونموذج المعرفة اللغوية داخل عقل أبناء اللغة». في حين انصب اهتمام هاريس على «الاتجاهات العملية مثل الترجمة الآلية والاستعادة الآلية للبنيات». أي أن اهتماماتهما اللغوية كانت متباينة[2].

كان آخر اتصال تم بين تشومسكي وهاريس في بداية الستينات ويذكر تشومسكي ذلك قائلا: «عندما سألني هاريس أن أجري اتصالات ببعض الأفراد في مؤسسة العلوم القومية بصدد تعاقد بحثي معه، وقد قمت بتلك الاتصالات له. وبعدها قضينا أيام في إسرائيل عام 1964، وكان هذا آخر أشكال الاتصال بيننا». وقبل موته في بداية التسعينات أكمل هاريس كتابًا سياسيا أراد نشره في بريطانيا؛ حيث إنه شعر بأن الطبقات العاملة في بريطانيا تتسم بقدر أكبر من النمو. وكان الكتاب قد حاز على الموافقة بالنشر بعد المجهودات التي بذلتها زوجة هاريس. وقرأ تشومسكي النسخة الأولى للكتاب وعلق بأن الكتاب يحتوي على « أشياء مهمة كثيرة»[3].

---

(1) Ibid. ,p. 84

(2) Ibid., pp. 84 - 85.

(3) Ibid., p. 85.

ولمن عرف كل من هاريس وتشومسكي فإن علاقتهما بالرغم من قصرها إلا أنها كانت مهمه لعدة أسباب، فالقيم والحماسة الفكرية، والاهتمام بالحركات التحريرية التي مهدت لأعمالهما تقف شاهدة على عنادهما وتكاملها على المستوى الإنساني وعلى المستوى البحثي. فلقد ألهم كل منهما الآخر. ولم يذكر «راسل جاكوبي» هاريس في كتابه» آخر المفكرين: الثقافة الأمريكية في عصر الأكاديميين»، ولكن ما قاله عن تشومسكي وموراي بوخين وبول جودمان وإسحاق روذ نفليد ويمكن أن ينطبق بالضرورة علي هاريس:» أنهم ثائرون فوضويون، أنهم فقدوا الثقة في المؤسسات والدولة والجامعة وفعاليتها. ولم يكونوا عرضه للتأثير بإغراءات الألقاب والرواتب؛ حيث إن مقاومتهم كانت تستند على أسس أخلاقية». يهاجم الفكر الماركسي الفكر الثوري الفوضوي على أساس أنه يستند على أسس أخلاقية وليس إستراتيجية، إلا أن جاكوبي يرى أن هذا يمثل أحد أسباب قوتهم، فالماركسيون لديهم القدرة بل ويقومون بالفعل بإقناع أنفسهم بالقيام بإخضاع العقل والأخلاقيات لهدف أكبر وقضية أبعد لا يمكن تحديدها، أما المفكرون الفوضويون فإنهم أقل خضوعًا لذلك المنطق. واستخدام اللغة المادية التاريخية، يفسر كيف أن دعاة الفوضوية يتسمون بذلك، وفي هذا يبرز نعوم تشومسكي كأبرز نقاد الفكر الثقافي الذي يبرر للسياسة الخارجية الأمريكية[1].

رتب صديق تشومسكي رومان جاكوبسون عام 1955 له فرصة العمل كباحث في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وعلى حد وصف تشومسكي: «لم يكن لي مجال تخصصي محدد أو وثائق في أي شيء»، إلا أن المعهد الذي كان «جامعة علمية لم تكن تهتم آنذاك بالوثائق» كان على الاستعداد لتخطي ذلك النقص. وتقلد تشومسكي وظيفة أستاذ مساعد وعهد إليه بمشروع في الترجمة الآلية التي لطالما انتقدها، وكان يجري في معامل المعهد بتمويل من العسكرية الأمريكية[2].

وعندما كان يجري له المقابلة الشخصية بواسطة مدير المعمل جيروم ويزنر ما كان من تشومسكي إلا أن قال إنه شخصيا ليس مهتمًا بالمشروع، بل لا

---

(1) Ibid., pp. 85 - 86.

(2) Ibid., p. 86.

يرى أي معنى للمشروع. إلا أن ويزنر رأى فى تشومسكي أنه صاحب الأفكار الجريئة، وبالتالي حصل تشومسكي على وظيفة مدرس بالمعهد بدوام كامل؛ حيث كان يقضي نصف الوقت بالمعمل والنصف الآخر فى التدريس[1].

إلا أن المشكلة الأبرز التي واجهها تشومسكي تمثلت – على حد قوله – فى:» ما كان مطلوباً مني عمله في النصف الخاص بالتدريس؟». وبدأ بتدريس بضعة مقررات لطلاب الدراسات العليا فى قسم اللغات الحديثة التى تساعدهم فى شق طريقهم نحو درجة الدكتوراه، وهي التي من حسن الحظ قد ألغيت الآن»،كما عهد إليه أيضًا تدريس مقرر لغوي للطلاب الأصغر على النحو الذي يريده»،وكان تدريس ذلك المقرر بمثابة الفرصة المهمة له بما سمح له من بلورة بعض أفكاره وإجراء مناقشات مع طلابه حول أفكار النحو التوليدي التحويلي.

وكان المعهد مكانًا مناسبًا: «كنت قد بدأت تدريس مقررات فلسفية للطلاب وتمكنت من الإسهام في تأسيس قسم متميز للفلسفة، كان المعهد دائمًا مكانا يتسم بالحرية وإمكانية التجريب دون الشروط الجامدة، لقد كان المكان المناسب لشاب له طموحي وأفكاري». وكانت تلك الفترة مثمرة لتشومسكي وكتب «بصرف النظر عن مشروع الترجمة الآلية، فقد كان معمل أبحاث الإليكترونيات... يوفر بيئة محفزة للتفاعل بين فروع البحث الذي رغبت في القيام به»،وفي ذلك المكان تكون لديه كتاب «جوانب نظرية النحو»[2].

تجلت أهمية تشومسكي عقب عمله في معهد MIT ففي سبتمبر 1956 ألقى تشومسكي فى ندوة بالمعهد ورقة بحثية بعنوان «ثلاثة نماذج لوصف اللغة»، قد تضمنت هذه الورقة «العناصر الرئيسية في الاتجاه الجديد لتشومسكي في دراسة اللغة (تشومسكي والثورة المعرفية) وهناك من رأي في تلك الورقة البحثية وغيرها مما قدم في تلك الندوة بداية بزوغ العلوم المعرفية[3].

وبناًء علي اقتراح موريس هايل عرض تشومسكي بعض محاضراته التي

---

(1) Ibid., p. 86.

(2) Ibid., p.87.

(3) Ibid., p. 88.

كان يلقيها على فان سكونفيلد محرر سلسلة دورية بعنوان Janua Linguarum التي تصدر باللغة الألمانية. ووافق سكونفيلد على طبع المذكرات تحت عنوان "البنى التركيبية" وهي الكتابات التي عارضت اتجاه هاريس وبلومفيلد رغم أن تشومسكي كتب أكثر من مرة:» أثناء كتابة هذا البحث جرت محادثات مطولة بيني وبين زيلج هاريس وكثير من أفكاره واقتراحاته قد استعنت بها في النص،وفي البحث الذي تأسس عليه النص» (6)، ومن الواضح أن تشومسكي قال هذا بدافع الاحترام لهاريس إلا أنه يوضح لاحقًا: «عندما يقرأ أي لغوي النص فسيعرف - دون أن أقول ذلك صراحة - أنني أدعو إلى تغيير الصورة بمجملها من الألف إلى الياء. إلا أنني لم أرغب في التصريح بذلك لأسباب شخصية، ولكن هذا يبدو جليًا في النص لأي قارئ متخصص». وأعمال تشومسكي آنذاك كانت تعد خروجًا عن هيمنة علم اللغة وسعى تشومسكي إلى طرق للوصول إلى «حقيقة اللغة والنظرية اللغوية» أعنى بحثه عن نحو عالمي، وكان جليا لمن يعمل في المجال أن تشومسكي كان يشكل تحديًا خطيرًا. [1]

(1) Ibid., p. 88.

3 – موقف تشومسكي من القضايا السياسية المهمة التي تشغل العالم

يجدر الوقوف على آراء تشومسكي السياسية لما لها من تأثير بارز فى الموقف السياسي العالمي، وفي ذلك يقول مارتي بلات:

« إن لتشومسكي تأثيرًا رائعًا في جيل كامل من الرجال والنساء، لماذا له كل هذا الأثر؟ بسبب واحد هو أن تشومسكي ناقد جرئ للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، أكثر ما يثير دهشتنا حيال تلك الشخصية التزامه الشديد بالصدق ونظرياته ذات المبادئ الإنسانية ووقوفه ضد الظلم والسلطة غير الشرعية. بالإضافة إلى ذلك فقد بورك بقدرة عقلية رائعة وذاكرة تدهشك عندما تراه يتحدث. كرس حياته للدفاع عن الحديث العقلاني، ومن الملاحظ عليه إنصاته بانتباه تام وجدية واضحة إلى أي محاور يحاوره وفي مجموعته «American Power and the New Mandarins»

يكتب تشومسكي في إحدى مقالاته: " إن مسئولية المفكر أن يتحدث الصدق ويكشف عن الأكاذيب هذا على الأقل، وربما يبدو ذلك كافيًا لكي لا ينتقد[1]».

في مقالاته وأحاديثه لا ينتقد النظام الرأسمالي والدولة فحسب، بل يصب هجومه القاسي على الأكاديميين والمفكرين الذين يساندوا النظام الإمبريالي في الولايات المتحدة الأمريكية. أضف إلى ذلك شجبه الممارسة الوحشية الكاذبة لقوة القادة الأمريكيين، بدلاً من مناقشتهم الاهتمامات الاقتصادية. منذ الستينات استمر تشومسكي يكتب ويتحدث بقوة عن دور الولايات المتحدة في إرهاب واستغلال ما يسمي بالعالم الحر؛ ونظرًا لأن طريقة تشومسكي النقدية تدعو إلى التغيير

(1) Martu Blatt, Noam Chomsky, Social Text, No. 9/10, the 60' s without Apology, (Spring - Summer, 1984) ,p.286 - 287.

الجذري، لم يقع في الصمت بعد نهاية حرب فيتنام كما فعل كثير من المناوئين الليبراليين، إذ اعتبر هؤلاء فيتنام تراجيديا قومية. لقد شارك مع إدوارد هيرمان في دراسة من جزأين « الاقتصاد السياسي لحقوق الإنسان « الذي فضح فيها زيف أسطورة أن السياسة الأمريكية تحترم الحقوق المدنية للمواطنين وتدافع عن فرص الاستثمار المادية في الدول النامية. ومؤخرًا يكشف في مجموعة من مقالاته بعنوان: « نحو حرب باردة جديدة» عن ديناميكيات الحرب الباردة « [1].

يرى تشومسكي أن البشر في حاجة إلى الحرية للتقدم، مما يؤدي إلى تنمية القدرات الكامنة، ويعد الحد من القدرة على الاختيار الاجتماعي والأخلاقي أمرًا منافيًا لطبيعتنا. إن أخلاقيات الفرد لا تتماشى مع الفلسفة التي تسمح بالتحكم الاجتماعي. إن إمكانية التشكيل على النحو الذي يحبذه السياسيون والرأسماليون والاجتماعيون والفاشيون يمكن أن تطمس الحواجز الأخلاقية كلية، وهي نتيجة تفسر معارضة تشومسكي على مدى العقود الماضية لأي إنكار لحرية الإنسان. ويمكن أن نلمس هذا في نقده لأعمال «سكنر»، وذلك من ناحيتين، أولهما: علم النفس السلوكي الذي جسده في كتابه «السلوك اللفظي»، والثاني: هو روايتيه «والدان الثاني» و»ما بعد الحرية والكرامة» ويدعو فيهما إلي الهندسة الاجتماعية الكاملة وإلى بناء مجتمع تتحكم فيه التكنولوجيا بدلاً من نماذج الحرية والكرامة المثالية. ويمثل موقف تشومسكي المعارض جانبًا من تراث متحرر يعود تاريخه إلي «همبولدت» الذي يؤكد على وجود حاجات أساسية للتساؤل والإبداع داخل كل إنسان كما أنه ينحدر مباشرة من موقف «باكونين» Mikhail Bakunin(1814 – 1876) المفكر الفوضوي الذي تحدث عن غريزة الحرية، ويقول تشومسكي:" إن رغبة الفرد في الإبداع في ظل الحرية والتخفف من القيود شيء أساسي للبشر".[2].

وتوجد صلة فكرية بين معارضة تشومسكي لفكرة قابلية البشر للتشكل التي تسمح بالتحكم السياسي، وبين معارضته لأفكار الارتباطيين عن العقل والمخ البشري. إن التحديد الوراثي الواضح للعقل البشري يوازي القابلية للتشكل، ويقصد

---

(1) Ibid., p.287.

(2) Neil Smith, Chomsky, p.184.

بالتطويع تهيئة جزء معين للقيام بوظيفة جزء آخر في حالة تعرض هذا الجزء الآخر للتلف. وقد أخذ هذا – فيما بعد – على المواصفات الجينية للأنظمة النموذجية – ومنها النظام اللغوي بصفة خاصة – وذلك لصالح القدرات الكامنة لمخ الطفل حديث الولادة. إن نظرية النمذجة تتمثل في قدرة المخ على تعويض الإصابة في مكان ما عن طريق إعادة توزيع قواه. إذا كان الطفل يعاني تلف في المنطقة المسئولة عن اللغة (أي في الفص الشمالي) فإنه يمكن للفص الأيمن أداء هذه المهمة بدلاً منه. ولا يمكن تحديد النمذجة مسبقًا، ولكنها خاصية تتشكل بفعل البيئة المحيطة بالطفل، وبغض النظر عن إمكانية توظيف النموذج للآليات العصبية فإن فكرة التطويع ذاتها تفترض أن بعض الأجزاء تحدد وظائف معينة مسبقًا، ومن المثير للاهتمام أن الدراسات العصبية مليئة بكثير من التحليلات الدقيقة للعلاقة بين وظائف معينة وجزء معين في المخ لدى أكثر من فرد.[1]

ويتم تناول وظائف معينة في مجالات معينة مثل اللغة والأخلاق وما شابه، بينما يتم استبعاد البعض الآخر ولهذه الحقيقة أهميتها نظرًا لدفعها عن فرضية النمذجة ضد الاتهام بالخواء. أي أن الصلة بين الأخلاق عند تشومسكي والنظريات العلمية تتمثل في جزء منها في أن كل منها نابع من نظرية عامة للعقل البشري تستبعد إمكانية وجود بدائل معينة، ويصف تشومسكي ذلك في بعض الأحيان بقوله: إن حدود قدرات البشر في مجالات كثيرة يمكن توقعها نظرًا لكونها نتاجًا طبيعيًا لقدراتنا في المجالات الأخرى، ومن المجالات التي لم يتم التوصل فيها إلى فهم نظري السلوك الإنساني، فالعقل البشري ربما لم يعد قادرًا علي الوصول إلى تفسير علمي جديد لبعض جوانب السلوك الإنساني، ومن أكثر الأمثلة وضوحًا وتدليلاً على ذلك هو عدم قدرتنا على تسليط الضوء على فكرة الإرادة الحرة – ذلك الموضوع المهم بالنسبة للبشر لكن يستعصي فهمه تمامًا على العلماء. وربما يوجد ما يعلل هذا الجهل: فعقولنا ليست مركبة بطريقة تجعل فهمها شيئًا ممكنًا. ويري تشومسكي أن كافة مجالات القدرة البشرية التي تتحدد وراثيًا لازالت غامضة، إننا لن نتمكن من التوصل إلى فهم علمي يجعلنا نحدد كيفية وأسباب

---

(1) Ibid., p. 184.

تتميز الحس الجمالي لدينا بين أعمال «موزارت» أو «ريجراندث» تمامًا، بناء على ما سبق مثلما لم يتمكن العنكبوت من فهم أسباب وكيفية اختياره بناء شبكته في شكل محدود دون غيره. [1] إن العقل عند تشومسكي – من الناحية السياسية – لا يمكن التحكم فيه.

الإبداعية:

يشير فهم قدراتنا في ضوء النمذجة المقيدة إلى وجود صلة بين الاستخدام الإبداعي للغة والإبداع في المجالات الأخرى، وكما يقول تشومسكي يمكن أن تقدم دراسة اللغة بصيصًا من الأمل في فهم السلوك الذي يخضع لقواعد معينة، وكذا احتمالات السلوك الحر والإبداعي في إطار منظومة من القواعد التي تعكس في جزء منها الخصائص الفطرية للتنظيم العقلي البشري الاجتماعي، يجب أن تشجع حرية الإنسان، أي التطور الإنساني الذاتي والتعبير الإنساني الذاتي[2]. الحرية على رأس المفاهيم المهمة وهي السمة الأساسية والمميزة للبشر، والكمال كما يراه «روسو» من خلال ملكة الكمال الذاتي، وهو قدرة الفرد على التقدم بلا حدود في طريق تحقيقه لذاته. تخضع كافة الكائنات الحية لقيود سماتها الوراثية، بيد أن القيود التي تحكم حركة ضفدعة مثلاً أكثر من تلك القيود التي تحكم حركة الإنسان؛ لأن الأخير يمتاز بالعقل.. ويري «ديكارت» وأتباعه أن العلامة الأكيدة الوحيدة على وجود عقل لدى الكائن هو استخدامه للغة بالطريقة البشرية الإبداعية المعتادة، فالحرية التي يحصل عليها البشر ليست مطلقة ولكنها محدودة بالطبيعة البشرية، فما من شك في أن قدرة الفرد على الوصول للكمال الذاتي يعني أن هناك خصائص وراثية للعقل تحد من تطوره، فمن العبث التحدث عن الإبداعية إذا لم تكن هناك حدود، فبدون وجود نظام معين للقيود لا يوجد عمل إبداعي، فالحرية اللاشعورية وحدها هي القادرة على تحويل تطلعات الفرد للتغير والتطور إلى حقيقة[3].

سبيد أن هذه الأشكال المختلفة من الإبداعية تخضع لعمليات وقيود من شتى

---

(1) Ibid., p. 183.

(2) James McGilvary,Chomsky,.p.4.()

(3)))Neil Smith, Chomsky, p. 184.

الأصناف رغم إمكانية الجمع بين كل منهما في بعض الحالات كاستخدام اللغة مثلا. ويمكننا استئصال تلك التفاصيل المعقدة لبنية الجملة اللغوية ومبادئ النحو العالمي التي تقيدها، ولكننا نكون عندئذ قادرين فقط على تفسير كيفية اختيارنا استخدام تلك البنى عند التعبير عن أفكارنا، وثمة شك في خضوع كل منهما لقيود خصائص العقل البشري. وبالرغم من ذلك الاختلاف الأساسي بين المجالين الذين يعمل فيها «تشومسكي» المجالين العلمي والسياسي، تبدو العلاقة بينهما منظمة ومتسقة بشكل يسمح بمزيد من الفهم لعملياته الفكرية، ولا توجد علاقة بين قناعاته اللغوية والأخلاقية، ولا يزيد وجود هذه الصلة في بعض الأحيان عن كونها محض صدفة، وكما هو واضح في العديد من التعليقات السابقة لـ»تشومسكي» نجد أن أفكاره عن الطبيعة البشرية هي خلاصة تراث عريق متحرر[1].

« الفوضوية»

«إني فوضوي بعض الشيء» (تشومسكي).

عادة ما يشير مصطلح «فوضوي» إلي معنى مخز يصف أشخاص معتوهين لديهم استعداد لقذف القنابل في كل اتجاه. والسبب في هذه الدلالة غير الحميدة يرجع إلى اشتقاق الكلمة من المذهب الفوضوي وهو نظام للأفكار السياسية يجمع أفضل سمات المذهب الاجتماعي والمذاهب الرأسمالي، والفوضى هي حالة من اللاقانونية والافتقار إلى النظام، والمقصود بفوضوية «تشومسكي» هنا هي تلك المعاني[2].

وقد استقى تشومسكي هذا المذهب من «روسو» و»همبولدت» و» برادون» و«رودلف روكر» وغيرهم؛ حيث يشترك جميعهم في اعتبار المجتمع البشري متحرر من قهر قيود السلطة سواء أكانت تلك السلطة في أيدي الكنسية أو الدولة أو ملاك العبيد أو علية القوم أو جهات خاصة. ولم يكن لأي من هؤلاء المفكرين برنامج معين ينحاز له تشومسكي؛ حيث كان كل من « برادون « و»روسو» يحقران من شأن المرأة، ذلك أن « برادون « يعتقد أن القدرات الذهبية للمرأة تعادل ثلث قدرات الرجل، وقد كان «باكونين» يميل إلى التدمير مشجعًا للعنف.

---

(1) Ibid., p. 184.

(2) Ibid., p. 185.

وقد كان «همبولدت» أقربهم إلى قلب تشومسكي، ذلك أنه منظر متميز –مثله تمامًا – في علم اللغة ومؤيد لقيم الحرية. يتشابه تأكيده على ضرورة حرية الفرد وإبداعيته إلى حد مذهل مع تأكيد تشومسكي، وربما يرجع السبب في إضعاف موقفة وانخفاض شعبيته تأييده لسيئات الرأسمالية[1].

وقد أثرت أفكار «رودلف روكر – فى الآونة الأخيرة – في تشومسكي، ويبدأ «روكر» واحدًا من أهم كتبه قائلاً: إن المذهب الفوضوي... يدعو إلى القضاء على الاحتكار الاقتصادي، وكذا المؤسسات الاجتماعية والسياسية المستبدة داخل المجتمع»،ويؤكد أن: «كل شكل من أشكال القوى السياسية يفرض شكلاً ما من أشكال الاستعباد للبشر، ويقدم «روكر» من خلال إعجابه بنقابة العمال في «كاتالونيا» وهجومه الضاري على كافة صور الرأسمالية وتأكيده المستمر على ضرورة الحرية نموذجًا احتذى به تشومسكي في كثير من كتاباته وأنشطته السياسية، ويبدو هذا التشابه في أعلى درجاته عندما نعلم أن أول مقال كتبه «تشومسكي» وهو في العاشرة من عمره كان قبيل سقوط «بارشيلونا» بأسبانيا في الحرب الأهلية[2].

ورغم هامشية الفوضوية كحركة سياسية على المسرح العالمي نجد أن أفكار الفوضويين لاقت نجاحًا على نطاق محدود، ويمكن الإشارة إلى تأثيرها في ضوء أحداث «سياتل» و«جندة» وغيرها من المدن الأخرى. ويمكن إدراك مدى التأثيرات الجسيمة للحكومات التي تستعين بقوة السلاح على نطاق واسع حتى من قبل هؤلاء الذين ينتقلون من حدة الهجوم على تشومسكي، ولقد أيقظ احتجاج الجماهير على أهوال الحرب الفيتامينة العديد من أنصار الدموية في السياسة سابقًا، بل نجحت تلك الاحتجاجات في إقناعهم بالانضمام إليهم في نضالهم، وفي الوقت الذي انتهت فيه الحرب الفتيامية منذ زمن طويل بدأت حروب مماثلة؛ حيث شنت كل من الحكومة الأمريكية والبريطانية هجومًا غير مبرر على العراق، وبذلك تكون الولايات المتحدة وحلفاؤها قد قذفوا القنابل على ما يزيد عن عشرين

(1) Ibid., p. 185.

(2) Ibid., pp. 185 - 186.

دولة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، إن الحرب ضد إساءة استخدام الحكومة للسلطة تحتاج إلى رباطة الجأش، ولا يمل تشومسكي كشف آخر صيحات تلك الحكومات في التملق. ولا يفوتنا في هذا السياق الإشارة إلى أن الحكومة ليست الخطر الأكبر الذي يهدد حرية الأفراد[1].

وكثيرًا ما أشار "تشومسكي" إلى أن معظم الأخطار التي تهدد حريتنا تنبع من لعنة الاستغلال الاقتصادي والسياسي والاستعباد الاجتماعي، وهنا يتسع نطاق تلك التهديدات ليشمل أكثر من مجرد حكومات، ذلك أن تلك الحكومات تخضع ولو للحد الأدنى من المساءلة. وللشركات العالمية الكبرى مواردها وهي تستغل تلك الموارد في زيادة أرباح مالكيها وأصحاب أسهمها. ويقدم هذا في بعض الأحيان فرص عمل بل ومستوي معيشة لائق لعمال البلاد التي تقيم بها تلك الشركات مشاريعها ولكن كما هو واضح من خلال انتقال تلك المشاريع إلى أماكن تنخفض بها أجور العمال – يتعرض الفرد لخطر البطالة بشكل مستمر وقد شملت الأمثلة مؤخرًا العديد من الصناعات بدءا من الأحذية ومرورًا بصناعة السيارات وانتهاءً بالسيطرة على وسائل الإعلام لصالح مجموعة من أصحاب المصالح الذين يسعون لإقصاء المنافسين الصغار من السوق، ونتج عن ذلك تزايد الفجوة بين مستوى معيشة الأغنياء ومستوى معيشة الفقراء، ومن أقوي الأمثلة أيضًا احتكار وزارة الزراعة بالولايات المتحدة وشركة بذور بالميسيسبي لآلية معينة لتخصيب البذور؛ حيث يتم تخصيب البذور التي تنتجها النباتات مما يعني إجبار الفلاحين على شراء بذور جديدة من الشركة كل عام بدلاً من تخزينها من محصول العام الماضي لإعادة زرعها في العام التالي، وسيفوق تأثير الآليات – التي تلجأ لها تلك الجهات في زيادة إرباحها على الصناعة ومعدل الفقر – ما يمكن أن نتصوره[2].

ومن أوضح المواقف التي عبر فيها «تشومسكي» عن رأية بجلاء سلسلة المقالات التي تحمل عنوان «الرجعية، عودة سيطرة رأس المال» والتي نشرت في

---

(1) Ibid., p.186.

(2) Ibid., p.186.

مجلة(زد)، وهي مجلة راديكالية تهدف إلى تكثيف الجهود لصنع مستقبل أفضل[1].

وكثيرًا ما تعرض «تشومسكي» للنقد بسبب فشله في تقديم اقتراحات إيجابية تزيل هجومه على الحكومة والمؤسسات الرأسمالية، غير أن هذا لا يحمل أنصافًا كاملاً، لقد قالها بوضوح:» إنني أمقت تقديم المقترحات؛ لأن كل شخص مطالب باكتشاف الأمور بنفسه ومن ثم يبدأ التحرك بدلاً من الاعتماد على شخص آخر والاكتفاء بالمشاهدة». وعلى الرغم من ذلك يمتاز برؤيته الفوضوية مثله مثل «همبولدت»، حيث يري ضرورة تحريك القوى الاجتماعية من طريق رؤية مستقبلية لهذا المجتمع، هذه الرؤية يجب أن تكون مستقاة من مفهوم الطبيعة البشرية، وتكون رؤية لمجتمع عادل خالي من الظلم. وقد يبدو هذا غير منطقي بيد أن هناك عددًا كافيًا من الأمثلة الناجحة التي تدل علي معقولية هذا الهدف، ومنها الحركة النقابية الفوضوية في أسبانيا قبل الحرب الأهلية ومجالس العمال في «يوغوسلافيا» سابقاً. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يكون فشل أولها وآخرها نتاج التأثير الكبير لكبح جماح المؤسسات وربما يكون تأثير الأفراد المحتمل المضاد لقوى الدولة والهيئات متعددة الجنسيات أقل من المتوقع، فمن الممكن ألا يتفق معظم الأفراد مع «انطونيو جرامسكي» الذي يؤمن بالقوى العظمى للإرادة، غير أنه يمكن الاعتقاد بوجود بديل أفضل لتأييد «تشومسكي» للمشاركة والنشاط الاجتماعي من أجل تحقيق غايات ممكنة:» لا يمكنك أن تفعل شيئًا بمفردك، ولكن إذا انضممت إلي الآخرين يمكنك إحداث تغيير»، ولمزيد من التأكيد على إمكانية إحداث مثل تلك التغييرات يقدم سلسلة من المقالات،منها: «عيون مفتوحة» و«أكذوبة هذا العصر». وربما يبدو هذا الموقف متشائمًا لكنه حلم كائن حي، ذلك أن مجال التغيير بالغ الاتساع، بل إنه حتى وإن لم يكن هناك برنامج سياسي يضاهي أعماله اللغوية يمكن للمرء أن يشاركه حلمه في إمكانية إسهام الدراسة المكثفة للغة في التوصل إلى علم اجتماعي إنساني يكون بمثابة أداة للتغير الاجتماعي [2].

---

(1) Ibid., p.187.

(2) Ibid., p. 187

4 - نقد تشومسكي للسياسة الخارجية الأمريكية

اشتهر» تشومسكي» بمعارضته للسياسة الخارجية لبلده أمريكا. لقد قام على مدار أربعة عقود متتالية بشن سلسلة من الهجمات على ادعاءات وخداع ووحشية السياسات الأمريكية؛ حيث يؤكد في أكثر من مرة على عدم الاتساق بين ما تقوم به الحكومة وما يروج له النظام الرسمي، وتؤكد الدعايا دائمًا على سيادة القيم الأخلاقية في البلاد. وعندما ينظر المرء للدول الأخرى يصاب بخيبة الأمل، إنه من الصعب القبول بنفس التقييم لبلدك حيث يفاجأ الكثير من الناس بحقيقة أن بلادهم تروج لأشياء لا أصل لها من الحقيقة[1].

إن الحقيقة أكثر مرارة من قدراتنا على ابتلاعها. تصدر عن الأمن الدولي تقارير منتظمة تشير إلى انتهاكات موثقة لحقوق الإنسان. يمكن أن يتوقع المرء مشاهدة صور الذعر بدءًا من إيران وحتى العراق، والصين، وجنوب أمريكا، ويبدو أنه من الضروري فى غضون سنوات عدم السماح لأي شخص بدخول دول مثل النرويج وفلندا. يصدم الفرد عندما يشاهد صفحات بأكملها مليئة بانتهاكات تمت في بلده ويصبح رد فعله الفوري عدم التصديق بذلك والتماس الأعذار، ويصبح هذا سهلا في البداية عندما تكون الانتهاكات جسيمة كما هي في بعض الدول، بيد أن هذا يصبح مستحيلاً بمرور الوقت. إن المملكة المتحدة أقل تسلطًا، ومع هذا تشير تقارير الأمن الدولي إلى إساءة معاملة المعتقلين وارتفاع معدلات العنصرية وانتهاك حقوق اللاجئين وطالبي اللجوء السياسي وتسلط الرقابة. وتشمل الأمثلة التي حدثت مؤخرًا في المملكة المتحدة إلغاء حق الأسرة في التئام الشمل، وحرمان اللاجئين من مزايا الرفاهية (ويمكن إعادة هذا الحق بدعوى قضائية)

(1) Ibid., p. 189.

وإعادة تصنيف كثير من اللاجئين على أنهم مهاجرين لأسباب اقتصادية. ولا تعتبر أي من هذه النقاط كارثة بالمعنى الحرفي للكلمة، بيد أن اتباعها في بعض الأحيان يؤدي إلى تعريض آلاف البشر لخطر دون ارتكاب جرم يستحق ذلك[1].

إن الولايات المتحدة أكثر ثراء وقوة من المملكة المتحدة، ومسئولياتها ومقوماتها لارتكاب إثم أو الإتيان بعمل صالح أكبر بكثير. ومن أهم إسهامات «تشومسكي» تقديم توثيق كامل للسجلات الأمريكية، ويتسع هذا الهجوم ليشمل العالم بأسره بدءًا من جنوب شرق أسيا مرورًا بجنوب أمريكا، وتيمور الشرقية وإسرائيل، بدءًا من مزرعة الخنازير في «هايتي» إلى الحروب البريطانية في القرن التاسع عشر. وتناقش كتبه ومقالاته الوضع في أنجولا والأرجنتين وأستراليا والبرازيل وبريطانيا وبروندي وكولومبيا وكندا وتشيلي وكوستاريكا وكوبا والسلفادور وغيرها، ويشير في كل مثال من تلك الأمثلة إلي الدراسات الرئيسية المعروفة تارة وإلى مصادر غير معروفة تارة أخرى، إن الموسوعة تمثل إضافة هائلة في التوثيق تستحق الفخر[2].

ومن الجدير بالذكر ملاحظة أنه لا يلتزم بالمناقشة المجردة، ففي فبراير لعام 2002 ذهب إلى اسطنبول تأييدًا لــ» فاتح تاس» الذي مثل أمام المحكمة بتهمة الدعوة لانقلاب الأقليات في البلاد، أما ما قام به السيد تاس فهو نشر مجموعة من مقالات تشومسكي السياسية باللغة التركية، والتي اتهم فيها تركيا بالقمع الوحشي للأكراد. وقد طلب أحد محامي الدفاع من «تشومسكي» الانضمام إليهم ومعاونتهم في الدفاع، وذلك رغم رفض الادعاء لهذا الطلب، وربما يرجع السبب في العفو عن السيد تاس هو حضور تشومسكي للدفاع عنه[3].

ويحرك تشومسكي في معظم الأحيان إيمانه بأن هذه البلاد قد ذاقت ويلات الولايات المتحدة وحلفائها بشكل أو بآخر. ولا يرجع السبب فى تركيزه على آثام أمريكا الواضحة جهله بما تفعله البلاد الأخرى أو كراهيته للولايات المتحدة، بل

(1) Ibid., p. 189.

(2) Ibid., p. 190.

(3) Ibid., p. 190.

إن السبب في ذلك يرجع إلى أن أمريكا هي القوى العظمي الوحيدة في العالم، ولها القدرة على إلحاق الدمار بشعبها وبالشعوب الأخرى، كما أنه هو ذاته أمريكي الأصل؛ لذا فهو مسئول عما تفعله بلاده باسمه ونيابة عنه، وكلما زادت حرية النشر في الغرب كلما زادت مسئولية إقرار الحقيقة وكشف الأكاذيب. ويعبر تشومسكي عن هذا في مناقشته لشجاعة مذيع الأخبار السوفيتي «فلاديمير دانشيت» الذي أعلن غزو روسيا لأفغانستان من الأستوديو في «موسكو» ذاتها، ويقدم لنا اليابان مثلا آخر لأستاذ التاريخ «سابورد إنتاجا» الذي أمضى 32 عاما في رفع سلسلة من الدعاوي القضائية ضد حكومته التي منعت الكتب التي ألفها من دخول المدارس [1].

وقد أنتقد «تشومسكي» الأنظمة الإسرائيلية المتعاقبة، ولأنه يهودي فإنه من المتوقع أن يدين بالولاء للدولة اليهودية، وقد أدت أوجه النقد هذه إلى اعتباره معاديًا للسامية، فمن يعادي الرأسمالية لابد أن يكون شيوعيًا، وإن عارضت السياسة الجمهورية تكن على الفور من أنصار الديمقراطية فلا يقتنع الكثيرون بإمكانية تعرضك بالنقد لكلا الاتجاهين ونظرًا لهذه الازدواجية السياسية وصف بفقدانه الأهلية [2].

ويدلل على مواقفه السياسية السابقة المقتطفات التالية من كتاباته:

أ - يذكر تشومسكي أن العواقب المتوقعة لانتصار «القيم الأمريكية» في منظمة التجارة العالمية ستكون:

1 - إيجاد «وسيلة جديدة» من أجل التدخل الأمريكي العميق في الشئون الداخلية للدول الأخرى.

2 - استيلاء الشركات التي توجد مراكزها الرئيسية في أمريكا على أكثر القطاعات أهمية في الاقتصاديات الأجنبية.

3 - تحويل الأرباح إلى جيوب رجال الأعمال والأغنياء.

---

(1) Ibid., p. 190.

(2) Ibid., p. 191.

4 – تحويل كلفة هذا التحويل على المواطنين العاديين.

5 – إن هذا الانتصار سيكون سلاحًا قويًا محتملاً ضد خطر الديمقراطية[1].

ب – اعتراضه على موقف الولايات المتحدة من محكمة العدل الدولية:

وجد أن محكمة العدل الدولية ليست المكان الملائم للحكم في اتهامات نيكا راجوا ضد الولايات المتحدة، فقد رفضت الولايات المتحدة السلطة القانونية لمحكمة العدل الدولية، وحين شجبت المحكمة الولايات المتحدة لاستعمالها غير القانوني للقوة، وأصدرت أمرها لواشنطن بأن توقف إرهابها الدولي، وخرقها للمعاهدات، وحربها الاقتصادية غير القانونية، وأن تدفع تعويضات ضخمة، تمثل رد فعل مجلس النواب الأمريكي الذي كان يسيطر عليه الديمقراطيون في تعضيد تلك الجرائم بصورة فورية فيما بادرت كل القوى السياسية الأمريكية إلي اتهام المحكمة ووصفها بأنها «مكان معاد» لأمريكا، وأنها برهنت على عدم حيادها باتخاذها قرار ضد الولايات المتحدة. ولم تورد وسائل الإعلام العامة أي ذكر لقرار المحكمة نفسه تقريبًا، ويشمل ذلك الكلمات التي أوردناها وحكم المحكمة الواضح الذي وصف المساعدات الأمريكية لقوات الكونترا بأنها كانت عسكرية وليست إنسانية» وقد استمر الدعم الأمريكي بالإضافة إلى توجيه الولايات المتحدة لقوات الإرهابيين، حتى تمكنت الولايات المتحدة من فرض إرادتها، وهو ما تسميه دائما «المساعدات الإنسانية».

وقد استخدمت الولايات المتحدة بعد ذلك حق النقض ضد قرار مجلس الأمن الذي يدعو إلى أن تحترم الأطراف كلها القانون الدولي (وهو خبر لم توره وسائل الإعلام). وصوتت وحدها (مع السفادور وإسرائيل) ضد قرار الجمعية العامة الذي يدعو إلى «الامتثال الكلي والفوري» لحكم المحكمة – وهو التصويت الذي لم تورد وسائل الإعلام العامة أي خبر عنه، وعلى هذا النحو تكرر هذا النمط من التصويت في السنة التالية، حين لم يصوت مع الولايات المتحدة هذه المرة إلا إسرائيل وليست هذه الأحداث كلها إلا أمثلة نمطية للكيفية التي تستعمل بها الولايات المتحدة

---

(1) نعوم تشومسكي: «الولايات المتحدة تنتهك مبادئ القانون والدول»، ضمن كتاب العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم، ترجمة حمزة المزيني، مكتبة مدبولي، القاهرة 2003، ص33 – 34.

الأمم المتحدة مكانًا «لفرض» قيمتها الخاصة بها وباختصار فإن العالم الذي كانت الولايات المتحدة تسعى لخلقه على صورتها من خلال الهيئات الدولية إنما هو عالم يقوم على مبدأ القوة. إذ يقتضي «الهيام الأمريكي بحرية التجارة بأنه يمكن لحكومة الولايات المتحدة أن تنتهك الاتفاقيات التجارية حين تريد، فليس هناك أية مشكلة في استيلاء الشركات الأجنبية (واعتبرها أمريكية) على وسائل الاتصال والتمويل وإمدادات الغذاء[1].

ج – نقده لسياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ومساندتها لتركيا:

كان البترول السبب الرئيسي للاهتمام بالشرق الأوسط، وهناك الآن سبب آخر ذو أهمية بالغة وهو المياه؛ حيث ستكون أكثر أهمية في المستقبل حين تنفد مصادر المياه الأخرى. ودور تركيا هنا أكثر أهمية، ذلك أن تركيا والمنطقة الجنوبية الشرقية منها خصوصًا، تمثل مصدرًا رئيسًا للمياه في المنطقة. كما ستستفيد السيطرة على المياه مما أسماه المخططون الأمريكيون قبل خمسين سنة بـــ»قوة حق الاعتراض، وهو ما يشبه تمامًا السيطرة علي البترول، فإذا استطعت أن تمنع تدفق المياه إلى الأقطار الأخرى فسوف ترغمها بذلك على الخضوع. وهذا فيما يبدو هدف مهم من أهداف إنشاء السدود والمشاريع الأخرى [تركيا] أي أن ضمان السيطرة على المياه سوف يكون مسئولية عملاء الولايات المتحدة، وهو ما يعني ضمان السيطرة على المنطقة واستعمال قوة حق الاعتراض ضد العناصر المتمردة[2].

يقوم الدعم الأمريكي الهائل للجرائم التي ارتكبت في التسعينيات في هذه المنطقة على الدور الذي تؤديه تركيا ضمن نظام الهيمنة الأمريكية على المنطقة، لم يكن هذا الدعم صادر عن حب الولايات المتحدة لتركيا، بل ينبع من حبها للخدمات التي يمكن لتركيا أن تؤديها في المنطقة، أما لو استسلمت تركيا «للوطنية المتطرفة» أي الاستقلال فسوف تتعرض للمصير نفسه. والحال نفسه صحيح فيما

(1) المرجع السابق، ص35.

(2) نعوم تشومسكي: «محاضرة في ديار بكر» ضمن كتاب العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم، ص76.

يخص دعم الولايات المتحدة لإسرائيل والدول التابعة الأخرى، ذلك أنه إذا قامت هذه الدول بالوظيفة المنوطة لها فستكون بخير، أما إذا تمردت فسيكون الأمر مختلفًا. ونحن نشهد هذا في العراق، فحين كان صدام حسين يضرب الأكراد بالغازات السامة ويعذب المخالفين لسياسته ويقتل الناس بأعداد كبرى، كان بخير وكانت بريطانيا والولايات المتحدة تدعمانه بشكل مطرد، بل ظلتا حتى بعد ارتكابه لأسوأ الفظائع يمدانه بالوسائل الضرورية لتطوير أسلحة الدمار الشامل، بالإضافة إلى المساعدات والمعونات الأخرى التي كانت في حاجة ماسة إليها، وظل كذلك إلى أن ارتكب خطأ: وهو مخالفة الأوامر. وهذا ليس مقبولاً، لذلك كان من اللازم التخلص منه، وربما كان ذلك من أجل أن يستبدل به شخص آخر على شاكلته ويصبح الشيء نفسه. فيما يخص الدول التابعة الأخرى، إذ يمكن القبول بقياداتها مهما كانت مستويات الجرائم الكثيرة التي ترتكبها، ما ظلت هذه القيادات تقوم بأداء الوظائف المنوطة بها ضمن النظام العالمي، أي ضمان حصول الأغنياء والأقوياء على ما هو حق لهم، أي ثروة المنطقة ومصادرها وأسواقها ونحو ذلك[1].

د - موقفه من دعم الولايات المتحدة لإسرائيل:

وفي الوقت نفسه، ظلت الولايات المتحدة مستمرة في «دعم الإرهاب» إذا استعرنا عبارة الرئيس بوش، وذلك عن طريق تزويد إسرائيل بوسائل الإرهاب والتدمير، ويشمل ذلك مدها بشحنات جديدة من أكثر طائرات الهليكوبتر تقدمًا تقنيًا في ترسانة الأسلحة الأمريكية، وتمثل هذه التصرفات ردود الفعل النموذجية على الوحشية التي تنفذها دولة تابعة، ومن أجل الاستشهاد على هذا نورد مثالاً نموذجيًا واحدًا، ففي الأيام الأولى للانتفاضة الحالية استخدمت إسرائيل الطائرات الهليكوبتر من صنع أمريكا لقصب الأهداف المرئية، وهو ما نتج عنه قتل عشرة فلسطينيين وجرح خمسة وثلاثين، وذلك عمل لا يمكن تصنيفه تحت مسمى الدفاع عن النفس، وكان رد فعل كلينتون على ذلك توقيعه لاتفاقية تعد أكبر عملية شراء للطائرات المروحية العسكرية قام بها سلاح الجو الإسرائيلي طوال عقد من الزمن، بالإضافة إلى شراء قطع غيار لطائرات مروحية من طراز أباتشي الهجومية، وقد ساعدت

---

(1) المرجع السابق، ص79 - 80.

الصحافة في هذا العمل عن طريق التعتيم علي هذه الحقائق برفضها نشر الأخبار عنها، وبعد أسابيع قليلة بدأت إسرائيل باستعمال الطائرات المروحية المصنوعة في الولايات المتحدة في عمليات الاغتيال كذلك. وكان أحد القرارات الأولى لإدارة بوش إرسال طائرات مروحية من طراز لونجيو إلى إسرائيل، وهي أكثر أدوات القتل المتوفرة شراسة، ولم تتناول الصحف هذه العملية إلا بصورة متوارية في صفحات الاقتصاد[1].

هـ - رؤيته للنظام العالمي الجديد:

لقد كان الأيديولوجيون على حق حين دعموا سياسة واشنطن تجاه العراق باعتبار ذلك إيذانا بنظام عالمي جديد. ولعل الدرس الأول الذي تقدمه هذه السياسة يتمثل في أن الولايات المتحدة لا تزال دولة خارجة عن القانون، يشهد عليها في ذلك حلفاؤها وزبائنها الذين يفهمون حقًا أن القانون الدولي حيلة وقناع يضعه الأقوياء على وجوههم حين الحاجة، ويحددون درجة الشفافية الملائمة لكل حالة. أما الدرس الثاني فيكمن في أن ذلك السلوك له من الحصانة ما يحميه لدى المجتمع الثقافي الذي له من الحدود القليلة التي يمكنه أن يخدم بها السلطة. وعلينا أن نلتفت إلى دكتاتوريات العالم الثالث لنستمع إلى الحقيقة البدهية التي نتجاهلها في المجتمعات المتحضرة ومفادها أن النظام العالمي الجديد «جديد» فقط في تبنيه سياسات قديمة من الهيمنة والاستغلال مع اختلافات شكلية عارضة، بهدف الإبقاء على دول وشعوب العالم في أماكنها «الصحيحة» التي تخدم مصالح الغرب. قد تكون القوارير جديدة، لكن الخمر هو ذاته.. قديم معتق[2].

وقد خلص مجلس الأمن القومي الأمريكي في يناير 1958م إلى دعم إسرائيل لمعارضة المد القومي العربي؛ لأنها الدولة الوحيدة المخلصة للغرب في الشرق الأوسط. ونظر المحللون الأمريكيون إلى إسرائيل خلال عقد الستينات كحاجز فعال

---

(1) نعوم تشومسكي: «الولايات المتحدة – إسرائيل – فلسطين» ضمن كتاب العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم، ص164.

(2) نعوم تشومسكي: النظام العالمي القديم والجديد ترجمة عاطف معتمد عبد الحميد، نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، 2007، ص39.

أمام ضغوط الناصرية وتأثيرها المتنامي في شبه الجزيرة العربية والأردن وقد دعم نجاح إسرائيل في حرب 1967م المفهوم الذي تكوّن لدى الأمريكيين من أن إسرائيل قوة استراتيجية يمكنها خدمة المصالح الأمريكية عن طريق تقويضها للقوى القومية الاستقلالية في المنطقة. وقد حقق ذلك بالتالي دعمًا إضافيًا مع قيام إسرائيل بردع المحاولات السورية بتوجيه دعم عسكري للفلسطينيين في الأردن عام 1970م حين اعتبرت واشنطن ذلك تهديدًا للمملكة الهاشمية ومن على شاكلتها من دول الزبائن والحلفاء. ووجدت هذه الأفكار لنفسها مكانًا في المقولات الفلسفية لهنري كسينجر التي أقرت بأن الولايات المتحدة «توقفت عن لعب دور شرطي العالم» وخولت بالتالي «دولاً أخرى للاضطلاع بذلك الدور في محيطها الإقليمي « (على نحو ما أشار وزير الدفاع ميلفين لاريد)، ويفهم من ذلك أن تبقى قيادة الشرطة العالمية في واشنطن. وبتعبيرات هنري كسينجر، التي أشرنا إليها من قبل، فإن الدول الأخرى بوسعها السعي إلى تحقيق «مصالحها الإقليمية» على ألا يخل ذلك «بالإطار العام للنظام الدولي» الذي تتزعمه الولايات المتحدة. وصارت إسرائيل في تلك الفترة مثلها مثل إيران تلعب دور شرطي المنطقة وتتلقى الدعم السري[1].

وبعد أن قام مستوطن يهودي ذو أصل أمريكي بقتل 30 فلسطينيًا في مدينة الخليل في 25 فبراير 1994م صوتت الأمم المتحدة على القرار 280 الذي دعا إلى اتخاذ تدابير لحماية الفلسطينيين المدنيين. وباستثناء الولايات المتحدة فإن الدول الأربع عشرة الأخرى الأعضاء في مجلس الأمن صوتوا لصالح القرار. لكن إدارة كلينتون، والتي عطلت التصويت على القرار ثلاثة أسابيع بذرائع مختلفة امتنعت عن التصويت بسبب فقرات بعينها مثل تلك التي تؤكد على «ضرورة حماية الفلسطينيين من المذابح التي يتعرضون لها». وعلى نحو ما يلاحظ دونالد نيف فإن إدارة كلينتون تراجعت مرة أخرى عن موقف مبدئي للولايات المتحدة بتحفظها على فقرتين في القرار حيث رفضت تسمية الأراضي المحتلة بالأراضي الفلسطينية ورفضت إدماج القدس الشريفة ضمن الأراضي المحتلة. ففي الماضي كانت الولايات المتحدة تشارك العالم في تسمية «كافة الأراضي الفلسطينية أراضي

(1) المرجع السابق، ص301.

محتلة من قبل إسرائيل منذ عام 1967م، بما فيها القدس» (على نحو ما كان موقفها في القرار 694 لعام 1991م). وبالتالي فقد استكثرت إدراة كلينتون تسمية الرأضي المحتلة بالأراضي الفلسطينية، على نحو ما فعلت مادلين أولبريت سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة؛ وذلك لأن هذه الأراضي «أرض متنازع عليها» وليست أراضي فلسطينية بشكل قاطع، وذلك حسب مبدأ كلينتون الجديد.(1)

وباختصار فإن ما تمارسه واشنطن من عنف وقهر لشعوب الشرق الأوسط لا ينفصل عن موكب الهيمنة العام الذي تمارسه على العالم. وقد ازداد هذا الدور وضوحًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وإن لم تختلف فحوى الأفكار وطبيعة المبادئ. صحيح أن المبادئ الحاكمة للسياسة الأمريكية قد واجهت بعضًا من التحدي والتغيير، لكن واشنطن كانت بالمرصاد في كل مكان. وليست واشنطن وحدها التي تحتقر قرارات الشرعية الدولية أو تستخف بها، لكنها الأقوى على كل حال والأكثر حرية على فعل كل ما ترغب فيه رغم أنف الجميع. وأخذًا بعين الإعتبار الطاعة العمياء التي تبديها الطبقات المتعلمة في الغرب، فإن واشنطن سعت إلى فعل ما يروق لها واثقة أن صورتها لن تصاب بسوء، وهذه القوة وذلك التبجح لا يجعلانا متفائلين بأنه إذا ما ظهرت قوة أخرى منافسة فإن شيئًا ما سيتحسن إلى الأفضل(2).

أهم مؤلفاته:

تنوعت مؤلفات تشومسكي وشملت مجالات معرفية على رأسها علم اللغة والفلسفة والسياسة وسوف أورد أسماء الكتب، وأترك المقالات لتظهر فى قائمة المراجع.

1) البنى التركيبية، صدر في عام 1957م، يعد هذا الكتاب كتابًا فاصلاً في تاريخ علم اللغة لأنه أحدث ثورة في تاريخ ذلك العلم.

2) قضايا معاصرة في النظرية اللغوية، صدر في عام 1964م.

3) جوانب من النظرية النحوية، صدر في عام 1965م.

---

(1) المرجع السابق، ص321.

(2) المرجع السابق، ص323.

4) علم اللغة الديكارتي، صدر في عام 1965م.

5) اللغة والعقل، صدر في عام 1968م.

6) دراسات في علم الدلالة في النحو التوليدي، صدر في عام 1972م.

7) تأملات حول اللغة، صدر في عام 1975م.

8) اللغة والمسئولية، صدر في عام 1979م.

9) القواعد والتمثيلات، صدر في عام 1980م.

10) فى القوة والأيدولوجيا، صدر فى عام 1987م.

11) اللغة ومشاكل المعرفة، صدر في عام 1988م.

12) ماذا يريد العم سام؟ صدر فى عام 1992م.

13) النظام العالمي القديم والجديد، صدر فى عام 1994م.

14) الحرب الباردة، صدر فى عام 1997م.

15) آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، صدر في عام 2000م.

مما لا شك فيه أن البيئة المحيطة بالفرد تؤثر فى نشأته وثراء فكره، ولقد ساعد جو الحرية والإبداع الذى ترعرع فيه تشومسكي على تنمية مواهبه وقدراته العقلية، وزاد من إيمانه بالحرية والمساواة والإخاء بين البشر، وحفزه على الإبداع الفكرى فى مختلف المجالات المعرفية مثل علم اللغة والفلسفة والسياسة وعلوم الإدراك.

الفصل الثاني

ثورة تشومسكي في علم اللغة

1 - تمهيد.

2 - مفهوم الثورة في العلم.

3 - البنيوية اللغوية: سماتها وأهدافها وعيوبها.

4 - ثورة تشومسكي اللغوية.

5 - آراء النقاد في ثورة تشومسكي.

6 - ثورة تشومسكي ثورة معرفية.

7 - أثر تشومسكي في الثورة في علم النفس.

8 - تعقيب.

1 - تمهيد

يطرح هذا الفصل التساؤل التالي:»هل أحدث تشومسكي ثورة في علم اللغة؟ « لقد تباينت ردود الفعل حول ذلك التساؤل، بين مؤيد ومعارض، فعلى حين يقول جيفري سامبسون في كتابه المدارس اللغوية: « إن أي لغوي في هذه الأيام يقيس مركزه الفكري بالنسبة لمركز نعوم تشومسكي، يقال دائما أن تشومسكي أحدث ثورة في علم اللغة، والاستعارة السياسية مناسبة هنا». يدعم ذلك التوجه روبرت لونجاسري R.Longacre المتبني لرؤية مختلفة في النحو عن رؤية تشومسكى، لقد كتب أن « الحقل اللغوي اهتز بعمق بسبب تشومسكى» ويوضح جوهر ثورته في كونها تعهد بإنشاء نظرية لغوية تفسيرية[1]يقف في الاتجاه المقابل عالم الاجتماع ستيفن موراي S.Murray قائلا: " إن تشومسكي لم يصنع ثورة بكتابة "البنى التركيبية»، بالأحرى أدار هو ورفاقه انقلاب بلاطي في بداية 1960م». وفي ذلك يكرر آراء رايمو أنتيلا Raimo Anttilaوبنسون جراي Bennison Gray في أنها ليست ثورة لكنها مجرد موقف، ويعتقد آخرون أن نظرية تشومسكي لا تمثل تخاصم جوهرى مع النظريات السابقة عليها بل بالأحري مجرد انفصال حدث في بداية 1960م عندما بدأ تشومسكي حملته هو ورفاقه ضد الفونيما المستقلة، أو في منتصف هذا العقد عندما بدأ بوضوح في اعتناق التيار " العقلانى" بوصفه أساسًا فلسفيًا لنظرياته اللغوية[2].

في خضم ذلك التباين في المواقف تجاه عمل تشومسكي ولحسم تلك القضية، فسوف أتعرض للمعايير العلمية التى وضعها فلاسفة العلم موضحين ما يميز

---

(1) Frederick J. Newmeyer, " Has there Been A Chomskyan Revolution in Linguistics?, " ,In Language , Vol.62, No1. (Mar, 1986), p.1.

(2) Ibid., p.2

الثورات العلمية عن غيرها، مطبقة تلك المعايير على عمل تشومسكي، راجية أن يقدم هذا الفصل إجابة لهذا التساؤل: هل يعد إسهام تشومسكي في علم اللغة ثورة علمية بالمعنى الفلسفي؟ أي: هل أحدث تحولاً عقليًا وفلسفيًا في التعامل مع اللغة؟ بناءً على ما تقدم، من الضروري الوقوف على المقصود بالثورة في العلم ومعاييرها.

2 - مفهوم الثورة في العلم

يقول برنارد كوهن Bernard Cohen: "إن هناك جذورًا تاريخية لمفهوم الثورة في العلم، فعلى الرغم من اعتقاد مؤرخي العلم بعصرية مفهوم الثورة في العلم, إلا أن هناك منذ ثلاثة قرون تقليد يصف التغير العلمي بوصفه تتابعًا للثورات, ففي القرن الثامن عشر, عندما ظهر هذا التقليد لأول مرة, كان هناك بعض الخلط والغموض حول معنى كلمة ثورة في علاقتها، ليس فقط بالعلم ولكن أيضًا في علاقتها بالأحداث السياسية، مع ذلك كانت تشير كلمة ثورة في ذلك القرن إلى كسر الاتصال أو إلى أي تغير دنيوي ذو أهمية حقيقية. مع استمرار المفهوم القديم للثورة بوصفها تعاقب الظواهر الدورية, التعاقب المستمر للمد والجذر, أو نوع من الدوران والعودة. بعد عام1789 سيطر المعنى الجديد للثورة، أي: التغير الجذري والبعد عن الأنماط التقليدية أو المقبولة من الفكر والاعتقاد والفعل والسلوك الاجتماعي أو التنظيم السياسيِ أو الاجتماعي. بذلك أصبح هناك تحولان لمفهوم الثورة، أولاً: المصطلح العلمي أُخِذَ من الفلك والهندسة ليطبق على التغير العام في الأنشطة الثقافية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ثانيًا: اكتسب المصطلح في هذا الاستخدام معنى جديد مختلف تمامًا عن المعنى الأصلي للثورة المشتق من الكلمة اللاتينيةrevolution،وهو العودة، أي:العودة في الزمن»[1] بناءً على ذلك اكتسب مفهوم الثورة في ذلك القرن المعنى المتعارف عليه الآن أي التحول أو التغير الجذري في النسق الفكري السائد – سواء كان علميًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا...الخ إلى نسق فكري مغاير له رؤية جديدة تضطر العاملين في المجال الذي حدث فيه ذلك التغير إلى الوقوف ولو لبرهة – للنظر من جديد في ذلك المجال برؤية قد تعارض ذلك التغير أو تدعمه.

---

(1) Bernard Cohen, "The Eighteeth - Century Origins of the Concept of Scientific Revolution," Journal of the History of Ideas, vol. 37, No.2. (Apr - Jun.,1976),p p.257 - 258.

يقول فلوريس كوهن عن الثورات العلمية:» إن مصطلح الثورات العلمية مصطلح عام، يرمز إلى الفكرة الفلسفية عن عملية تطور العلم، أي أن الكشف العلمي يتقدم عموما بطريقة مضطربة. يحدث التقدم في العلم – بناء على وجهة النظر السابقة – نتيجة للقفزات مفضلين ذلك على التقدم بناء على إضافة مقادير صغيرة. «[1]يتضح من ذلك الحديث أن هناك اتجاهين مختلفين حول مفهوم الثورة في العلم، الاتجاه التراكمي، واتجاه التحول الجذري.

الاتجاه الأول: يمثله أصحاب النظرة التراكمية، حيث يكتسب مفهوم الثورة في العلم لديهم رواجًا بوصفه مصطلحًا تقنيًا في العلوم الدقيقة، ذلك لأنه يكتسب معنى مغاير تمامًا من هذا القول الدرامي المفاجئ الذى يذهب إليه أصحاب التحول الجذري المتطرف، فالثورة في العلم تعنى العودة من جديد، إنها تعاقب دائري مثلها مثل فصول السنة، من هنا نجد أن الثورة في العلم تتضمن الثبات والاستمرار داخل كل تغير، إنها التكرار النهائي، إنها نهاية كل بداية جديدة، وبذلك تحدث الثورة في العلم نتيجة تراكم التجديدات والتطورات والتحسينات التي تدخل على العلم والمعرفة العلمية [2].

إن القول بأن اتصال المعرفة العلمية واستمراريتها يأتي في صورة تطور تراكمي، هو أكثر الآراء شيوعا بين مؤرخي العلم والعلماء، ويمكن القول أن هذا التيار هو الجذر أو البذرة الأولى لتاريخ العلم الحديث الذى بدأ مع ثلاثينيات القرن التاسع عشر على يد وليم هيويل 1866 - 1794) Willam Whewell) الذى ألف سفرًا ضخمًا يضم عدة مجلدات بعنوان "تاريخ العلوم الاستقرائية وفلسفة العلوم الاستقرائية" [3]. حيث يرى أن تقدم العلم يتم عن طريق التعميم المتوالي من الحقائق الجزئية إلى الحقائق العامة، بحيث لا يتم إسقاط الحقائق القديمة أبدًا بل يتم تعديلها عن طريق تتابع الاكتشافات بحيث تصبح جزءًا دائمًا من المعرفة:"

(1) H. Floris Cohen , the Scientific Revolution: A Historiog Raphical in Quiry. Chicage: the University of Chicago Press, 1994,P.21.

(2) خالد قطب:منطق التقدم العلمي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص140.

(3) شوقي جلال: على طريق توماس كون – رؤية نقدية لفلسفة تاريخ العلم في ضوء نظرية توماس كون. سلسلة كراسات مستقبلية، الناشر المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، 1997م، ص42.

لا تلغي أو تعارض الحقائق القديمة لكن تمتد أو يتم التوسع فيها، ربما يظهر تاريخ كل علم على أنه تتابع للثورات، إنه في الحقيقة سلسلة من التطورات». يحدث التقدم أثناء ما أسماه «الحقب الاستقرائية « حينما تتفاعل الأفكار الواضحة والحقائق المتميزة على نحو إبداعي[1]. تبدأ الحقبة الاستقرائية بالحقائق والأفكار التي تكتسب تدريجيًا الوضوح والتسلسل المنطقي وتؤسس المرحلة للاكتشاف ويتبع ذلك التوسع والامتداد في مضامين الاكتشاف. أخيرًا يعوق مراحل التقدم العلمي ما يسمى بـــ»فترات الركود»عندما تغيب الحقائق المصدق عليها والأفكار الواضحة واستنباط المبادئ العامة والمتسلسلة منطقيا فيحدث الركود والعقم الفكري[2].

هناك أيضًا عالم الفيزياء الفرنسي والفيلسوف ومؤرخ العلم بيير موريس دوهيم(1861 - 1916) الذي له بحثان رائدن في مجال تاريخ العلم عنوانهما « ليونار دافنشي « و»نظام العالم» صدرا في مطلع هذا القرن ويعارض فيهما رأي المدرسة الوضعية المنطقية إذ يؤكد أن النظرية العلمية لا تفسر فقط بل تصف القوانين التجريبية، وأن العلم عملية متصلة من خلال التراكم البطيء للقوانين التجريبية وتطور النظرية [3]، وبذلك يهاجم بشكل محدد الفكرة القائلة بأن العلم يتطور عن طريق سلاسل الاكتشافات المفاجئة وغير المتوقعة[4].

الاتجاه الثاني: يمثله أصحاب التحول الجذري في فلسفة العلم، حيث يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن الثورة في العلم إنما تتضمن في البداية قطع كل اتصال في العلم والتحول إلى نظام ونسق جديد مختلف تماماً وبطريقة جذرية عن النظام القديم المألوف، إن الثورة في العلم « تعني تقدم مكثف شديد الفاعلية وانتقال جذري إلى مرحلة أعلي آن أوانها لانتهاء المرحلة السابقة، أو استنفاد مقتضياتها، وهذا

---

(1) David C.Lindberg," Conception of Scientific Evolution: from Bacon to Butterfield - Apreliminary Sketch. In " Reappraisals of the Scientific Revolution",(ed.)by David C. Lindberg and Other, Cambridge: Cambridge University Press, 1990,pp11 - 12.

(2) Ibid., p.12.

(3) شوقي جلال: على طريق توماس كون، ص42.

(4) David C Lindberg., " Conceptions of Scientific Evolution, ".p.14. ()

هو المقصود على وجه الدقة من القول بالتقدم الثوري للتقدم العلمي.[1] ويمثل هذا الاتجاه كل من فيلسوفا العلم كارل بوبر وتوماس كون.

يرى بوبر أن تقدم العلم يتم كسلسلة من التحولات أو الثورات التي تحدث بغير رابطة داخلية[2]. فقد كان رفضه للاستقراء يعني رفضه اعتبار التقدم العلمي نموًا للوقائع المتراكمة كمكتبة متزايدة باستمرار، وأخذه بمنطق التكذيب يعني أن العلم ينمو عن طريق الثورات، فالبحث العلمي سلسلة مستمرة من الثورات الدائمة، تهدم وتغير وتعيد البناء عن طريق خلق فروض جديدة دائمًا، وترفض الفروض القديمة وتحل محلها الفروض الجديدة[3].

ولكي تكون النظرية الجديدة اكتشافًا أو خطوةً إلى الأمام يتعين أن تصارع سابقتها، أو أن تقضي على الأقل على قدر من النتائج المتصارعة. لكن هذا يعنى منطقيًا أن تناقض سابقتها، أي أن تطيح بها، وبهذا المعنى يكون التقدم ثوريًا، ومع تعدد النظريات واطراد الصراع والتناقض يظل العلم في حالة ثورة دائمة [4] وفي ذلك الصدد يقول بوبر: « لا بد للتقدم العلمي أن يكون ثوريًا، وأن يكون شعاره حقًا هو شعار كارل ماركس» الثورة على الدوام»، ومع ذلك لا بد من أن تكون الثورات عقلانية، سواء أكانت النظرية الجديدة أفضل من سابقتها أم لا، وهذا لا يعنى بالطبع أننا قد لا ننزلق إلى الخطأ، فكم من طرق عديدة إذا قررنا اتباعها انزلقنا في ارتكاب أخطاء جسيمة».[5]

لقد بدأ توماس كون نظريته عن الثورة في العلم بالتمرد على الصورة القديمة للعلم والتي تضع التطور العلمي في الإطار التراكمي، ويمكن عرض عناصر الصورة القديمة بإيجاز على النحو التالي:

---

(1) خالد قطب: منطق التقدم العلمي، ص140.

(2) يمني طريف الخولي:فلسفة كارل بوبر – منهج العلم – منطق العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.ص483.

(3) المرجع السابق، ص482.

(4) شوقي جلال:على طريق توماس كون، ص39.

(5) كارل بوبر: "عقلانية الثورات العلمية" ضمن كتاب الثورات العلمية، تحرير إيان هاكينج، ترجمة السيد نفادي، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص145.

1 – الواقعية: بمعنى أن العلم محاولة لاكتشاف عالم واقعي واحد ثابت، وأن الصدق مستقل عن فكر الناس.

2 – الفصل: أي القول بالتمايز الحاد بين النظريات العلمية وبين غيرها من أنواع المعتقدات.

3 – التراكمية: أن التطور المعرفي هو عملية إضافات، حيث تضاف معارف جديدة إلى معارف قديمة على نحو ميكانيكي وكأنها إضافات عددية ويكتمل البناء باطراد.

4 – التمايز بين المشاهدة والنظرية.

5 – المشاهدة والتجربة هما أساس الفروض العلمية والنظريات.

6 – النظريات لها بنية استدلالية.

7 – المفاهيم العلمية دقيقة محددة ذات معنى اصطلاحي ثابت.

8 – سياق للتبرير وسياق للاكتشاف. أي أن هناك تمايزًا بين الملابسات النفسية أو الاجتماعية للاكتشافات، وبين الأساس المنطقي لتبرير الاعتقاد في الوقائع المكتشفة.

9 – وحدة العلم: هناك علم واحد عن عالم واقعي واحد، والعلوم يمكن ردها إلى بعضها، علم خاص فعام فأعم. [1]

ويقدم توماس كون صورة جديدة منتقدًا بذلك صورة التراكم العلمي، ولم يكن ذلك من خلال أدلة تاريخية بل بمساندة أدلة من المذاهب الفلسفية. ولكن ما هي الصورة الجديدة التى أراد كون إظهارها للعلم؟ في الواقع يمكن أن تتضح عناصر هذه الصورة من خلال تناول المفاهيم التالية:

1 – العلم القياسي والثورة، تقليد قياسي ثم تحول كيفي، أو علم قياسي، ثم أزمة فثورة، ثم علم قياسي جديد، والعلم القياسي هو: اطراد في تطبيق تقنيات ناجحة، أو هو نشاط حل ألغاز، ويتسم بأنه محافظ، وظهور الشذوذ من شأنه أن

---

(1) شوقي جلال: على طريق توماس كون، ص56.

يفضي إلى أزمة هي السبيل إلى الثورة.

2 – النماذج الإرشادية: كل علم قياسي له نموذج إرشادي يتحرك في إطاره والنموذج الإرشادي له معنيان: الإنجازات العلمية المعترف بها عالميًا، وتمثل في حقبة من الزمن، المشكلات والحلول النموذجية عند مجتمع الباحثين العلميين, أو مجموعة القيم المشتركة والالتزامات بين الباحثين أعضاء المجتمع العلمي.[1] وتتسم هذه الإنجازات بسمتين أساسيتين هما: –

أولا: أن تكون هذه الإنجازات جديدة بدرجة كافية لجذب المجموعة الباقية من المؤيدين بعيدًا عن الأنماط المنافسة من النشاط العلمي.

ثانيا: أن تكون هذه الإنجازات مفتوحة النهاية، بحيث تترك كل أنواع المشكلات لكي يقوم مجموعة الممارسين بحلها، وجدير بالذكر أن كون يطلق مصطلح النماذج على الإنجازات العلمية التى تتسم بهاتين السمتين، والنماذج ليست شيئًا مما يقبل التكرار، بل هي تظهر وتختفي ليحل محلها نموذج آخر مختلف، عندما يظهر نموذج ويصبح هو السائد تكون الفترة أو الزمن الذى يسود فيه، هو ما يسمي بالعلم القياسي، وإذا ما حدث تغير أو ظهر نموذج آخر تكون قد حدثت بذلك ثورة علمية وانتقال من نموذج إلى نموذج آخر. [2]

إن أهم سمة من سمات النموذج وجود وجهة نظر فردية مقبولة بصفة عامة، ومهما دامت وجهة النظر فردية فإنها لا تتكرر؛ لأن الانتقال من نموذج إلى نموذج آخر يمثل انتقالاً من وجهة نظر إلى وجهة نظر أخرى مختلفة عنها. وبذلك يكون من سمات النموذج أيضًا عدم التكرار، وفي ذلك يقول كون: « النموذج في العلم نادرًا ما يكون شيئًا قابلًا للتكرار كما هو، بل إنه أشبه بحكم قضائي في القانون العام، إنه شيء من أجل مزيد من التوضيح والتحديد تحت شروط جديدة أكثر إقناعًا»، ومن السمات المميزة للنموذج اتصافه بالقبول العام أو المشترك وانه يقدم

---

(1) المرجع السابق، ص56.

(2) سهام النويهي: تطور المعرفة العلمية: مقال في فلسفة العلم، طبع في شركة إخوان رزيق للطباعة، القاهرة، ص80.

التقاليد للبحث العلمي[1].

تكتسب النماذج مكانتها من كونها أنجح من النماذج الأخرى المنافسة لها، من حيث كونها قادرة على حل بضع مشكلات اعترف فريق العلماء بأنها مشكلات جادة، بيد أن كونها أنجح من سواها لا يعني أنها ناجحة بصورة كاملة في حل مشكلة واحدة ولا بصورة متميزة مع أي مجموعة كبيرة من المشكلات، أن نجاح أى نموذج سواء كان هذا النموذج هو تحليل أرسطو للحركة أو حسابات بطليموس لمواضع الكواكب أو استخدام لافوازيية للميزان أو حساب ماكسويل رياضيا للمجال الكهرومغناطيسي إنما يكون بداية وإلى حد كبير وعدًا بنجاح يمكن الكشف عنه في عدد من الأمثلة المختارة التي لا تزال غير كاملة، وقوام العلم القياسي هو التحقيق الفعلي لذلك الوعد تحققا يتم إنجازه عن طريق توسيع نطاق المعرفة بالحقائق التي يكشف عنها النموذج بوصفها حقائق ملهمة على نحو متميز؛ وذلك عن طريق زيادة نطاق الملائمة بين تلك الحقائق وبين تنبؤات النموذج وعن طريق المزيد من دقة وإحكام النموذج ذاته[2].

بناء عليه تحدث الثورة العلمية عندما يحتوي النموذج الحالي على أمثلة معاكسة «أشياء شاذة», بحيث تقود تلك الأشياء الشاذة إلى نموذج جديد يستطيع التكيف مع تلك الأشياء الشاذة. وبعبارة كون: «غالبًا ما يعوق العلم القياسي النمو الطبيعي للمستجدات الأساسية لأنها تدمر عناصره الأساسية بشكل ضروري، مع ذلك تكفل الطبيعة الحقيقية للبحث العادي أن الجديد لا يخمد لفترة طويلة, فلم يعد الباحث يستطيع تجنب الأشياء الشاذة التي دمرت الاتجاه الموجود للممارسة العلمية، من ثم تبدأ الأبحاث الاستثنائية في توجيه الباحث أخيرًا إلى سلسلة جديدة من الأسس التي تكون بمثابة أساس جديد لممارسة العلم»[3]

إذن يتم التحول من نموذج إلى نموذج آخر نتيجة للتزايد المستمر في عدم مقدرة النموذج القديم على حل المعضلات, أي أن الفشل المتكرر لتقليد العلم

---

(1) المرجع السابق، ص90.

(2) توماس كون: بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 1992م، ص57 - 58..

(3) Bent Jacobsen, Modern Transformational Grammar, Oxford: North – Holland.1986, p.1.

القياسي في حل مشكلة ما أو متناقضة هو ما يؤدي إلى ثورات علمية وفي ذلك يقول كون: «عندما يواجه العلماء متناقضات أو أزمات فإنهم يتخذون اتجاهًا مختلفًا نحو النماذج المتواجدة، وطبقًا لذلك تتغير طبيعة البحوث, تتكاثر البناءات المتنافسة، والرغبة في محاولة التعبير على عدم الاقتناع, واللجوء للفلسفة لمناقشة الأساسيات، كل ذلك يمثل عوارض الانتقال من البحث السوي إلى البحث الشاذ». بناء عليه يتخذ تطور العلم عند كون الدورة التالية: فترة طويلة من العلم القياسي ثم فترة قصيرة للعلم الثوري ثم تبدأ بعدها فترة جديدة للعلم القياسي.[1]

3 – العلم الثوري: يمكن تعريف العلم الثوري بأنه الفترة التي تحدث فيها الاكتشافات والاختراعات، بينما العلم القياسي هو الفترات الطويلة المستقرة في تاريخ العلم مما يعني أن العلم الثوري هو الحالة العرضية أو الغريبة في تطور العلم، وعادة ما تبدأ الثورات مع ظهور المتناقضات في النموذج السائد، ومعرفة وإدراك المتناقض ما هو إلا إدراك ووجود واقعة ما في الطبيعة تناقض التوقعات المستنبطة من النموذج الذي يسود العلم القياسي، وقد تنتهي المتناقضة إذا أمكن تحويلها إلى المتوقع.[2]

بناء على ما تقدم فإن الثورة في العلم كما يحددها كون هي عبارة عن مجموعة من التعهدات الجديدة التى تظهر داخل العلم ذاته؛ حيث تهدف هذه التعهدات أو الاعتقادات إلى وضع أساس جديد لممارسة العلم، هذه السلسلة من الأحداث الخارجة عن المألوف هى التى تسمي الثورة في العلم، ويؤكد توماس كون على الصفة التحولية التي تميز الثورات في العلم؛ حيث يرى أن الثورة في العلم هى تلك النقاط التحولية الأساسية في التطور العلمي، حيث يؤدي هذا التحول إلى حدوث تطور مهم في المشكلات الموجودة على البحث العلمي، وأيضًا في المعايير التى يحدد على أساسها المتخصصون في العلم، ما ينبغى أن يروه كحل لمشكلة علمية ما.[3]

لقد خضعت نظرية توماس كون عن الثورات العلمية للفحص الدقيق، ويبدو

---

(1) سهام النويهي: تطور المعرفة العلمية, ص101 – 102.

(2) المرجع السابق، ص98.

(3) خالد قطب: منطق التقدم العلمي, ص149 – 150.

أن عددًا قليلاً من فلاسفة العلم قبل هذه النظرية حتى في إطارها الواسع، وتعد فرضية تماثل الاعتقاد أكثر نقاط النظرية ضعفًا فمن الواضح أنه لا يوجد نظرية علمية، حتى أكثر النظريات ثورية, حازت على القبول العام كما أشار لاري لودان larry laudan: "نحن نتكلم عن الثورة الداروينية في علم أحياء القرن التاسع عشر على الرغم من أن عددًا قليلاً جدًا من علماء الأحياء في النصف الأخير من القرن التاسع عشر كانوا دارونيين، إننا نتكلم عن الثورة النيوتونية في فيزياء القرن الثامن عشر على الرغم من أن معظم فلاسفة تلك الفترة لم يكونوا نيوتينيين".[1]

ويتساءل ما المعيار الاجتماعي الذي يميز الثورة العلمية؟ يزودنا لودان بإجابة هامة: لا تحدث الثورة العلمية بسبب قبول كل أو غالبية المجتمع العلمي لتقليد البحث الجديد لكن بالأحرى تحدث الثورة العلمية عندما يُولد تقليد البحث الجديد اهتمامًا كافيًا داخل مجاله مهما كانت التزامات البحث الجديد، لقد خلق نيوتن ثورة لأنه منذ نشر كتابه "Principle and Oplicts" شعر معظم العاملون في حقل الفيزياء بضرورة التعامل مع وجهة نظر نيوتن. فقد حاول العديد منهم إيجاد حجج مقنعة ضد النظام النيوتوني, لكنه لم يحز على القبول العام, لكن طور نيوتن بالفعل اتجاه طبيعي جديد لا يمكن تجاهله, بنفس المنحى, وجد علماء الأحياء في أواخر القرن التاسع عشر سواء الدارونيون أو معادو التطور أنفسهم يناقشون مزايا الدارونية وعيوبها. وإن شئت أن تضع ذلك فى عبارة عامة قل تحدث الثورة العلمية عندما يضطر العلماء اعتبار البحث الجديد المهمل أو المتجاهل من قبلهم منافس جاد لهم أنفسهم أو لزملائهم بوصفه نقطة بحث يتناولها الحقل من أجل التطوير.[2]

الآن بعد عرض المقصود بالثورة في العلم عند بعض فلاسفة العلم هل يعد إسهام تشومسكي في علم اللغة ثورة علمية بالمعنى الفلسفي وفقًا لمعايير فلاسفة العلم؟ أي هل أحدث تحولاً عقليًا وفلسفيًا في التعامل مع اللغة؟ للرد على ذلك التساؤل يجدر التعرض للمدرسة اللغوية التي كانت مسيطرة على حقل علم اللغة في أوائل القرن العشرين حتى جاء تشومسكي وثار عليها, فقد كانت المدرسة البنيوية اللغوية لها سمات وأهداف محددة تهدف إليها من وراء دراسة اللغة.

---

(1) Frederick J. Newmeyer," Has there Been Chomskyan Revolution in Linguistics?",p.29.

(2) Ibid.,p.30.

3 - البنيوية اللغوية:
سماتها وأهدافها وعيوبها

سمات البنيوية اللغوية: (1)

1 - كان الاهتمام مركزًا على التركيب الشكلي أو البنية الظاهرية للغة، وقد تم إنجاز كبير في وصف النظام الصوتي لعدد من اللغات الحديثة, واستعملت لذلك الأجهزة الحديثة التي أصبحت متوافرة في ذلك القرن، كما وصف النظامان الصرفي(أي: التركيب الداخلي للمفردات) والنحوي (أي: التركيب الداخلي للجمل) للعديد من اللغات وصفًا تفصيليًا في عدد من المؤلفات، وبعبارة أخرى يمكن القول إنه قد تم اكتشاف قواعد جديدة لكل لغة من اللغات الأوروبية الحديثة على وجه الخصوص, استنادًا إلى الدراسات التي أجريت على عينة كبيرة من كلام الناس لتلك اللغة. فاختفت أو كادت تلك السمات وحتى التقسيمات القديمة لأجزاء الكلام مثلما اختفى كثير من المفاهيم اللغوية التقليدية الأخرى واستبدلت بتعبيرات ومفاهيم جديدة نابعة من علاقة المفردات بعضها ببعض داخل الجمل, بغض النظر عن العالم الخارجي التي تشير إليه المفردات والجمل.

ولذلك فقد أصبحت القواعد الجديدة لتلك اللغات قواعد وصفية لا معيارية، فكل ما يقوله أغلبية الناس ويقبلون به كلام سليم بغض النظر عن اللغة المكتوبة التي تستعمل في الأدب وخلافه، فلم يعد هناك معيار للصواب والخطأ مفروض على أفراد المجتمع, بل أصبح كل ما يقوله مجتمع معين يعتبر لغة سليمة لا غبار عليها وتستحق التسجيل في كتب القواعد، ولم يستبعدوا من ذلك إلا كلام السوقة, وأولئك الذين يتكلمون لهجات محلية خاصة بأفراد جماعة معينة أو حي معين أو

---

(1) نايف خرما - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر1978, ص92 - 89.

مهنة معينة.

2 – تأثر علماء اللغة في هذه الحقبة بالمذهب السلوكي في علم النفس الذي كان سائدا في أوربا وأمريكا والذي كان يهتم بدراسة ظاهرة السلوك فقط على أساس أنه مكون من عادات مختلفة, تتكون عن طريق المثير والاستجابة والتدعيم والتكرار حتى يثبت الصحيح أو المتعارف عليه منها فيتخذه الإنسان في حياته. وقد أجرى كثير من هؤلاء العلماء مثل ثورندايك في أمريكا وبافلوف في روسيا التجارب العديدة على الحيوانات لإثبات نظرياتهم، وقد ظهر تأثر علماء اللغة بهذا المذهب فأخذوا ينظرون إلى اللغة على أنها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى، وبناء على ذلك فإن من الممكن دراسة تركيبها من ناحية وتعليمها من ناحية أخرى على هذا الأساس، وكان من أشهر من قال بذلك العالم سكينر صاحب الكتاب الشهير "السلوك اللفظي"، وقد كان لهذا التأثر بمذهب علم النفس السلوكي نتيجتان:

أولاً: النظر إلى ظاهر اللغة ودراسة ذلك الظاهر فقط، مثلها في ذلك مثل أي عادة سلوكية أخرى.

ثانيًا: إهمال دراسة المعنى على اعتبار أنه ليس مظهرًا خارجيًا يمكن النظر فيه بالمنهج العلمي الموضوعي المستخدم في العلوم الطبيعية. لقد أهمل اللغويون هذا الجانب الأساسي من جوانب اللغة وبذلك جردوها من أهم مظاهرها وأهم أهدافها.

3 – ركز اللغويون في هذه الفترة كل اهتمامهم على اللغة المنطوقة وأهملوا اللغة المكتوبة إهمالاً كبيرًا. لقد اعتبروا اللغة نظاماً صوتيًا بالدرجة الأولى، وصبوا كل اهتمامهم على هذا النظام على اعتبار أنه المظهر الأول والأساسي للغة.

4 – ونظرًا للتركيز على ظاهر اللغات, فقد قامت دراسات مقارنة من نوع جديد من حيث المنهج والهدف تختلف تماما عما كان يجري في القرن التاسع عشر، فقد كان منهج البحث هو مقارنة لغتين لإيجاد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية، وكان الهدف منها هو التوصل إلى أفضل الطرق لتعليم اللغات الأجنبية، وكانت النظرية السائدة أو نقاط الاختلاف بين اللغة الأصلية واللغة الأجنبية التي يرغب الطالب في تعلمها هي التي تشكل

العقبة الرئيسية في سبيل إتقانها, ولذلك ينبغي على الدارس والمدارس إعطائها أكبر قسط من العناية والاهتمام. لقد ظهرت في هذه الفترة دراسات مقارنة عديدة لظاهر اللغات الأوروبية الحديثة وبعض اللغات الحية الأخرى التي لها قيمة بحد ذاتها بغض النظر عن الهدف الذي ترمي إليه.

ويمكن إجمال أهداف علماء اللغة في المذهب السلوكي فيما يلي:

1 – وصف اللغة الحية المنطوقة لدى الفرد أو الجماعة.

2 – تحديد نطاق اللغة بواسطة وصف صورة اللغة من حيث هي سمة موضوعية فردية قابلة للتحقق وقابلة للملاحظة, من ثم يوضع المعنى في منزلة ثانوية.

3 – يتم تنفيذ هذا البرنامج الوصفي بوسائل متمثلة في الإجراءات التصنيفية والموضوعية الدقيقة التي تسمح للمحلل أن يشتق نحو اللغة من مجموعة المعلومات المسجلة بطريقة آلية إلى حد ما، وتتم هذه العملية عادة في أربع مراحل كما يلي:

أ – تسجيل مجموعة المعلومات من حيث هي تمثل اللغة موضوع الدراسة.

ب – تجزئة مجموعة المنطوقات إلى مستويات صوتية، بحيث تصنف الوحدات الأصغر ذات المغزى للصوت – الفونيمات، ثم في المستوى التالي تتحد الفونيمات في المورفيمات الحاملة للمعنى، في المستوى الأعلى تنضم المورفيمات معًا لتشكل الكلمات وفئات الكلمات مثل العبارة الاسمية والعبارة الفعلية، أما في المستوى الأعلى تتابع فئات الكلمات إلى الجمل الممكنة وأنواع الجمل.

ج – الاستماع إلى مخزون الصور الموجود في كل مستوى وصياغة توزيع لتلك الصور.

د – تصنيف صور ومنطوقات اللغة موضوع الدراسة بالطريقة التصنيفية حيث يعتقد أنها قادرة على تجنب معيارية النحو التقليدية وكونها متماسكة علميًا.[1]

من ثم لم يعد يتألف النحو لدى علماء اللغة في المذهب السلوكي من

---

(1) Eddy Roulet, Linguistic Theory, Linguistic Description and Language Teaching, Translation by Christopher N.Cendlin, London: Longman Group Limited, 1976, p.20.

مجموعة من القواعد كما في حال النحو التقليدي، لكن بالأحرى يتألف من قائمة من البني، وأصبح محتواه يدرس المنطوقات المسجلة في الحقل؛ لذلك ركز النحو البنيوي جل اهتمامه على وصف اللغة في الاستعمال لدى جماعة معينة وفي وقت محدد، أي اللغة المنطوقة التي يحتاجها البشر من حيث هي أداة الاتصال بينهم.(1)

بناء عليه اعتبر معظم اللغويين البنيويين هدف علم اللغة هو تصنيف عناصر اللغات الإنسانية، وذلك قبل نشر تشومسكي كتابه " البنى التركيبية "، فقد كان علم اللغة آنذاك نوعًا من علم النبات اللفظي، كما كتب هوكيت تأكيدًا لذلك في عام 1942م أن " علم اللغة علم تصنيفي" حيث يقوم عالم اللغة بوصف اللغة.(2) أكد كل من بلوش وتراجر على وجهة النظر السابقة وذلك في " موجز التحليل اللغوي"؛ حيث وصفا عالم اللغة على النحو التالي: " هو العالم الذي تعد اللغة موضوع دراسته، ومهمته تحليل وتصنيف حقائق الكلام، كما يسمعها منطوقة من المتكلمين المحليين أو كما يجدها مسجلة في الكتابة ". بل كتب جوز أن الحديث عن تفسير اللغة لا يعد جزءًا من النظرية اللغوية، وفي ذلك يقول:" نحن نحاول أن نصف بدقة لا نحاول أن نفسر، وأي حديث عن التفسير هو كلام غير دقيق ببساطة... ولا يعد جزءًا من النظرية اللغوية"(3).

بناء على ما سبق تجسد هدف النظرية اللغوية في إمداد اللغوي بسلسلة من الطرق الدقيقة، أي سلسلة من إجراءات الكشف التي يستعملها لاستنباط الفونيمات والمورفيمات من مجموعة المنطوقات، على حين كان لدراسة معاني الجمل أو استعمالات متكلمي اللغة للجمل مكان صغير في مشروعهم بل تكاد تكون مهملة. فقد فسروا المعنى على نحو علمي فأنماط السلوك محددة بالمثير والاستجابة مع إغفال دراسة الكيانات العقلية ووضعوها خارج المجال العلمي الجاد، والأسوأ إسقاطهم للمعرفة التامة للمتكلم بالعالم من حوله. وحصر هدف دراستهم في

---

(1) Ibid., pp. 21 - 22.

(2) John Searl, "Chomsky 's Revolution in Linguistics", On Noam Chomsky: Critical Essays, (ed.) by Gilbert Harman, Gardencity, New york,: Anchor Press,1974, pp.2 - 3.

(3) Terence Moore and Other , Understanding Language - Towords A Post Chomskyan Linguistcis, London: MacMillan press, 1982,pp.23 - 24.

الحقائق اللغوية.[1]

كان إصرار علم اللغة البنيوي على استخدام المناهج الموضوعية للتحقق وإجراءات الكشف ورفض السماح بالتحدث عن المعنى أو الكائنات العقلية أو الملامح غير القابلة للملاحظة، وراء ثورة تشومسكي فقد اشتق علم اللغة البنيوى من العلوم السلوكية مدخلاً لدراسة الإنسان، وأيضًا اتبع الفرضية الفلسفية للوضعية المنطقية، لقد تربى تشومسكي في هذا التقليد في جامعة بنسلفانيا كطالب لكل من زيلج هاريس ونيلسون جودمان.[2]

ويمكن إجمال عيوب النحو البنيوي كما يلي:[3]

1 – قدمت الأنحاء البنيوية أوصافًا ناقصة للنسق النحوي للغة، فقد زودت بمخزون من الصور والتركيبات التي تظهر في مجموعة محددة بشكل ضروري، ولم تزود بالقواعد اللازمة لتأليف مدى غير محدود من الجمل النحوية. لم يؤكد أحد أن قوائم البني الأساسية الموجودة في النحو التوزيعي لا تؤلف أدوات عمل جيدة لبداية عملية تعلم اللغة من خلال مناهج سمعية بصرية أو مناهج سمعية لغوية، لكن لو قبل الشخص – على الرغم من ذلك – أن معرفة اللغة هي القدرة على فهم وإنتاج منطوقات غير متناهية فإن ذلك الفهم يحتاج إلى تتبع مرحلة أكثر أهمية تتناول الاستعمال الإبداعي للغة، وذلك ما أخفق فيه النحو البنيوي كما بين تشومسكي؛ لأنه لم يستطع تقديم أيّ تفسير مقنع للإبداعية.

2 – أعطت الأنحاء البنيوية أهمية زائدة للحقائق النحوية الثانوية (على سبيل المثال القواعد الصرفية) كما أعطى النحو التقليدي أهمية كبيرة للحقائق المكتوبة، وهكذا أهملت أهمية التعميم.

3 – عالجت العلاقات التركيبية معالجة سطحية جدًا، وقد نالت هذه العلاقات بعض العناية في الأنحاء التقليدية، ولم تقدم الأنحاء البنيوية قواعد إنتاج البنى الأساسية فى اللغة مثل البنية التقريرية الايجابية(أو السلبية) المبنية للمعلوم أو

---

(1) John Searle, “Chomsky ’s Revolution in Linguistics,” p.3.

(2) Ibid.,p 4.

(3) Eddy Roulet, Linguistic Theory , Linguistic Description and Language Teaching.pp.27 - 29.

المبنية للمجهول وهذه القواعد تساعد فى تعلم الإنسان للغة وتوضح كيفية الانتقال من بنية إلي أخرى.

لقد أصبح من الواضح أن الأنحاء البنيوية لا تقدم معلومات كافية للتلاميذ عن كيفية صياغتهم البني الجديدة، وخصوصًا المعقدة التي لم يزودهم بأسسها التعليم المنهجي للكتابة.

4 – بقدر ما تصف الأنحاء البنيوية البنية السطحية للجمل، فإنها لا تعطي تفسيرًا كافيًا على نحو واضح للحقائق النحوية الهامة. في الحقيقة لا تبدو المناهج البنيوية للتصنيف قادرة على تفسير كل العلاقات الداخلية داخل الجمل أو العلاقات التي تمتلكها الجمل المختلفة، ولقد أوضح المثال المشهور عند تشومسكي هذه النقطة على النحو التالي:

1 – John is easy to please.

2 – John is eager to please.

فإنه يقدم نفس البنية وهذا يأتى عكس حدس المتكلم المحلي الذى يضع في الجملة الأولى جون كمفعول به مباشر للفعل، وتعنى الجملة: سهل للبعض أن يسعد جون، بينما يوظف جون في الجملة الثانية كفاعل للفعل، وتعنى الجملة: أن جون شغوف أن يسعد شخصًا ما. إن هذا الاختلاف في تركيب الجملة يأتى بشكل واضح من حقيقة أن اللغة الانجليزية تسمح لنا بصياغة العبارة الاسمية من الجملة الثانية، ولكنها لا تسمح بهذه الصياغة من الجملة الأولي.من ثم ليس هناك طريق سهل أو طبيعي في تفسير هذه الحقائق داخل افتراضات البنيويين.

سلسلة أخرى من الحقائق التركيبية تكون فيها الافتراضات البنيوية غير كافية لمعالجة وجود بعض الجمل الغامضة؛ حيث يشتق الغموض من البنية التركيبية وليس من الكلمات في الجمل، مثال ذلك: I Like her cooking فعلى الرغم من حقيقة أن الجملة لا تحتوي على كلمات غامضة وتركيبها النحوي بسيط جدا يتألف من اسم – فعل – ضمير ملكية – اسم، فإن الجملة في الحقيقة غامضة؛ لأنها يمكن أن تعني أشياء كثيرة مثل إننى أحب ما تطبخه، أحب أسلوب طبخها، أحب حقيقة أنها تطبخ، أو إننى أحب حقيقة أنها طباخة. فهذه الجمل غامضة

تركيبيًا، فمعنى أي جملة محدد بمعاني الكلمات المكونة للجملة وتكوينها النحوي. كيف يمكن أن تفسر تلك الحالات التي نجد فيها جملة واحدة تحتوي كلمات واضحة لها عدة معان مختلفة؟ لم يكن لدى اللغويين البنيويين شيء أو كان لديهم القليل ليقولوه حول هذه الحالات، ولذلك تجاهلوها ببساطة.(1)

5 – أدت المفاهيم المتجاهلة عن درجة النحوية والانحراف إلى عدم تزويد النحو البنيوي بوسيلة وصفية كاملة لمجالين يلعبان دورًا مهمًا جدًا في تعلم اللغة وعلم اللغة التطبيقي، وهما: تحليل الخطأ والتحليل الأسلوبي، لقد قام هيرندون بوضع المشكلة كما يلي: « كل صور الكتابة الابداعية والخيالية تسمح للكاتب بحرية التعامل مع الأنساق النحوية الإنجليزية، فحينما تكسر القواعد من قبل الشعراء والكتاب، فمن الضروري القول: إن هذه القاعدة كسرت بالفعل مع التحديد وأن هناك استخفافًا من الكاتب، ومن الأفضل توضيح ذلك للدارسين لينظروا بحرص للقواعد المكسورة ويفهموا تأثير الانحرافية(2).

6 – لا يقدم النحو البنيوي الأسس المقنعة لحقلين مهمين آخرين لعلم اللغة التطبيقي في تعلم الأطفال، وهما: الترجمة والتحليل التبايني contrastive anal-ysis فطالما كان التركيز على الصفات الفردية لكل لغة والحفاظ على مستوى البنية السطحية للمنطوقات، فمن الصعب تأسيس مستوى متوسط بين انساق لغتين أو أكثر(3).

7 – إن إقصاء معالجة المعنى من قبل علم اللغة البنيوي، استنادًا على أنه غير قابل للمعالجة بشكل موضوعي من قبل المناهج العلمية، منع بشكل مؤثر توفير المعلومات الضرورية للتعلم المنهجي للمعجم (4).

---

(1) John Searle, “ Chomsky’s Revolution in Linguistics” p.20.

(2) Eddy Roulet, Linguistics Theory, Linguistic Description and Language Teaching,p.33.

(3) Ibid., p.33.

(4) Ibid., p.34.

4 - ثورة تشومسكي اللغوية

جاء إنجاز تشومسكي لثورته في علم اللغة نتيجة إيمانه العميق بأن الحقيقة الرئيسة لأي نظرية لغوية هي: قدرة المتكلم الناضج علي إنتاج جمل جديدة. ملائمة للموقف الذي يتحدث فيه، وقدرة المتكلمين الآخرين علي فهم تلك الجمل مباشرة برغم جدتها بالنسبة إليهم، وذلك لأن معظم تعبيراتنا اللغوية سواء للمتكلمين أو للمستمعين هي جمل جديدة. حينما نفهم اللغة فإن تصنيف الجمل تؤدية بسهولة وطلاقة بدون أدني صعوبة أو تردد بشكل يلائم كل الأغراض العملية والنظرية. لا يتضمن الفهم الكامل للغة فقط القدرة علي الفهم المباشر لعدد غير محدود من الجمل الجديدة الكاملة، لكن يتضمن أيضا القدرة علي تحديد الجمل الشاذة ووضع التفسير الملائم لها، وذلك لأن التكرار والاستظهار في استعمال الجمل عامل ضئيل الأهمية في الاستعمال العادي للغة، فمن الواضح أن «الحد الأدنى من الجمل المستعملة معظمها جمل عفوية أو وليدة لحظتها»، وهذا الاعتقاد يدعم القول أن أحد الأخطاء الجوهرية فى علم اللغة القديم كان التعامل مع المنطوقات الإنسانية بوصفها شيئا يعاد إنتاجه عن طريق الذاكرة [1]. أي أنه حول بؤرة البحث اللغوي من مجرد التعامل مع اللغة المنطوقة من حيث هي كيان مستقل عن الإنسان المبدع للغة إلي التعامل مع اللغة بوصفها بنية عقلية داخلية يلعب حدس المتكلم أو المستمع دورًا مهمًا في إبداعها وإنتاجها، وذلك لأن الحدس اللغوي للمتكلم أو المستمع هو المقياس المطلق الذي يقرر صحة ودقة أي قواعد مطروحة أو نظرية لغوية أو اختبار عملي[2].

أضف إلي ذلك تسليم تشومسكي بمثالية النحو –idealization of gram

---

(1) Noam Chomsky ,Current Issues in Linguistic Theory,The Hague: Mouton, 1967,p.7.

(2) نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو, ترجمة مرتضى جواد باقر, الناشر جامعة البصرة ص 43 - 44.

mar أي أن النحو بنية إدراكية تتفاعل مع أنساق المعرفة والاعتقاد الأخرى، وطبيعة ذلك التفاعل بعيدة عن التسليم بوجود الأنساق المستقلة، فلكل نسق بنيته الخاصة التي تتفاعل مع الأنساق الأخرى بطريقة ما، والمثالية والتجريد لا مفر منهما للبحث الجاد لكن يجب تبريرهما علي أسس تجريبية. يكمن جوهر مثالية النحو فى إنه بنية إدراكية لها مبادئ وخصائص معينة تتفاعل مع البني الأخرى، ويمكن تبرير ذلك عن طريق النجاح في تحديد المبادئ التفسيرية للنحو [1]. يظهر ذلك في قول تشومسكي: «من الممكن قبول صحة مثالية النحو بوصفه نسقًا له بنيته. وخصائصه الخاصة وفي نفس الوقت قبول وجهة النظر المتضمنة القول بأن النسق الفعلي لنحو أي لغة لا يتم تجديده بمعزل عن مسائل الحقيقة والاعتقاد بذلك ربما نؤلف نظرية عن النحو ذات بارامتيرات معينة علي نطاق أوسع، بناء عليه لو أقحمت مسائل الحقيقة والاعتقاد في النحو الخاص، لكانت هذه وجهة نظر مقبولة، والسبب وراء ذلك أن دراسة اللغة جزء من مشروع عام: هو رسم تفاصيل بنية العقل»[2]. سعي تشومسكي جاهدا إلي الوصول بعلم اللغة إلي المرحلة التفسيرية وفي سبيل ذلك قدم رؤية عقلية فلسفية جديدة تدعم دراسة اللغة، فليس الهدف عند تشومسكي دراسة اللغة كغاية في حد ذاتها ولكنها وسيلة لغاية أبعد وهي إلقاء الضوء علي الطبيعة البشرية ككل، ولتحقيق ذلك يجب في البداية دراسة العقل الإنساني، وهنا تكمن ثورة تشومسكي الحقيقية، وفي ذلك يقول: أحد أسباب دراسة اللغة بالنسبة لي شخصيًا أن ننظر إلي اللغة وفقا للعبارة التقليدية أن اللغة «مرآه العقل»، أنه من الممكن عن طريق دراسة اللغة أن نكشف المبادئ المجردة التي تحكم بنيتها واستعمالها تلك المبادئ الكلية الآتية من الضرورة البيولوجية وليست مجرد عرض تاريخي مشتق من الصفات العقلية للجنس البشري. إن معرفة اللغة الإنسانية هي إنجاز عقلي غير عادي للإنسان [3].

لقد ساهم تحول اهتمام علم اللغة عند تشومسكي إلي دراسة الحدس اللغوي

---

(1) Noam Chomsky , Essays on Form and Interpretation, New york: Horth - Holland 1977, p.36.

(2) Ibid., p.37.

(3) Ibid., p.37.

في انتقال علم اللغة من المرحلة الوصفية إلي المرحلة التفسيرية، وأصبح هدف عالم اللغة الوصول إلي الكفاية التفسيرية، وتلك أعلي مرحلة يصل إليها العلم. يقول تشومسكي:» يمكن القول بأن نظرية لغوية ما تفي بشرط الكفاية التفسيرية إذا هي نجحت في اختيار قواعد ذات كفاية وصفية علي أساس من المادة اللغوية الأولية، ويعني هذا أنها في هذا النطاق تقدم تفسيرًا لحدس المتكلم الأصلي اعتمادًا علي فرضية تجريبية فيما يخص الاستعداد المسبق الفطري للطفل لكي يطور نظرية من نوع معين كمعالجة الأدلة التي تقدم له» [1].

بناء على ما سبق يحدد تشومسكي أهداف النظرية اللغوية فيما يلي:

من أهداف النظرية اللغوية، أننا يجب أن نهتم ببعض الظواهر التي كانت مستبعدة من الدراسة فى علم اللغة الوصفي في تلك الفترة: هذه الظواهر ترتبط بما يسمي في بعض الأحيان «الاستعمال الإبداعي للغة» الذي يفهم بوصفه الاستعمال العادي للغة. هذه الفكرة لم تعالج عن نحو منهجي من قبل النحو التقليدي أو علم اللغة البنيوي، علي الرغم من وجود اهتمام سابق لدي همبولدت وبول وجسبرسن وآخرين. صحيح أن الأنحاء التقليدية قدمت أمثلة لا حصر لها من البني المعقدة، لكنها لم تقدم مبادئ واضحة تحدد هذه البني أي تحدد ما هو صحيح منها وينتمي إلي اللغة وما هو غير صحيح ولا ينتمي إلي اللغة.

في الواقع، هذه المسألة لم تتأثر بشكل جاد، لأن جسبرسن – كما افترض لم يكن لدية انطباع بأن هناك شيئا ما جوهريًا مفقودًا في تصوره النحوي علي الرغم من إدراكه أهمية ما يدعوه «التعبيرات الحرة « وفي تقديمه لأمثلته التي لا حصر لها فإنه يعتقد أنه قدم تفسيرًا للغة، في الحقيقة أن تفسيراته لم تكن كافية لأنها تحتكم ضمنيا إلي ذكاء القارئ أي قدرته علي فهم واستعمال هذه الأمثلة وغالبا يعتمد تفسيره في ابداع وفهم الصور الجديدة علي إضافة القارئ معرفته الحدسية للغة. أن الأنحاء البنيوية لم تخضع البنيات التركيبية شديدة التعقيد للدراسة كما فعلت الأنحاء التقليدية.

إن إسهام ذكاء القارئ المفترض مسبقًا من قبل الأنحاء السابقة يجب أن

---

(1) نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ص48

يخضع للدراسة والتفسير كنا نأمل فى اكتشاف المبادئ الأساسية للغة. هذا هو الهدف الأول للنحو التوليدي ويمكن صياغته فى مصطلحات نفسية على النحو التالي: ما هي طبيعة المعرفة الحدسية اللاوعية التي تسمح لمتكلم اللغة باستعمال لغته؟ يتمثل الهدف الثاني في بناء نظرية تفسيرية. ولقد ظهر الهدف الثالث واضحا في نهاية الخمسينات، يتمثل في اعتبار المبادئ العامة للغة خصائص بيولوجية تغطي النسق الذي يخضع له اكتساب اللغة..... أي تفترض أن ما يمتلكه المتكلم هو جزء من تكوينه البيولوجي الذي يقدم المبادئ العامة للنحو التحويلي ويقدم بعض الصور البديلة للإنجليزية والتي سيعرفها لأنه يستطيع استنتاجها من تكوينه البيولوجي.

لذلك فإن عمل تشومسكي يسعي للإجابة عن السؤالين:

أولا: ما هو نسق المعرفة اللغوية المتحقق والمتمثل داخليًا لدي الشخص الذي يعرف قليلا عن اللغة؟

ثانيا: كيف نستطيع تفسير نمو هذه المعرفة وإمكانية الحصول عليها؟

ويمكن صياغة هذا السؤال في مصطلحات نفسية كما يلي: كيف تكتسب هذه المعرفة اللغويه؟ أو كيف نستطيع تفسير ظاهرة اللغة؟.[1]

كيف حدث ذلك التحول لدى تشومسكي؟

حاول تشومسكي عندما كان طالبًا في الدراسات العليا في ببنسلفانيا تطبيق المناهج التقليدية لعلم اللغة البنيوي في دراسة علم التراكيب، لكنه وجد أن هذه المناهج التي تعمل جيدًا مع الفونيمات والمورفيمات لا تعمل جيدًا مع الجمل. فكل لغة تمتلك عددًا متناهيًا من الفونيمات وعددًا كبيرًا جدًا من المورفيمات المتناهية، ويمكن وضعها في قائمة، ولكن عدد الجمل في أية لغة طبيعية مثل الفرنسية أو الإنجليزية غير متناهي، فليس هناك حدود لعدد الجمل الجديدة التي يمكن انتاجها. وبالنسبة لكل جملة مهما كان طولها ففي الإمكان دائمًا إنتاج جملة أطول، ومن

(1) ((Noam Chomsky, Language and Responsibility: Based on Conversation with Mistsou Ronat, Translated from Frenesh by John Viertel , Newyork: Pantheon Book,1979, pp.108 - 111.

العسير داخل كيان علم اللغة البنيوي تفسير تلك الحقيقة، أعني: امتلاك اللغات الطبيعية لعدد لامتناهي من الجمل.[1]

لم يكن العبء المنهجي لعلم اللغة هو توضيح التقنيات لاكتشاف وتصنيف العناصر اللغوية وأن الأنحاء مخازن لهذه العناصر وتصنيفاتها. بدلا من ذلك، يرى تشومسكي النحو من حيث هو نظرية لجمل اللغة، ويعتبر أهم مشكلة منهجية هي بناء نظرية عامة عن البنية اللغوية فيها خصائص الأنحاء والأوصاف البنيوية والمستويات اللغوية المشتقة منها بطريقة مجردة[2]

إن إخفاق نموذج علم اللغة البنيوي في تعامله مع اللغة، وظهور أمثلة شاذة تستدعي النظر والتأمل الدقيق فيما هو موجود، أدي إلي ضرورة إيجاد نموذج علمي جديد يجيد التعامل مع مشكلات النموذج السابق، ومن هنا جاء كتاب تشومسكي «البنى التركيبية» كرد فعل ضد البنيوية، بل وجاء مبشرًا بذلك النموذج الجديد أي بحدوث الثورة خصوصًا لأنه يؤكد في ذلك الكتاب أن اللغة سلسلة غير متناهية من الجمل ومن المستحيل الوصول إلى نظرية لغوية ملائمة عن طريق الملاحظة المباشرة للمعلومات، ومن ثم عدل هدف الوصف اللغوي بدلاً من الهدف التصنيفي، أي تصنيف العناصر عن طريق سلسلة عمليات تجري على مجموعة المنطوقات، لابد أن يكون هدف الوصف اللغوي بناء نظرية تفسر العدد اللامتناهي لجمل اللغة الطبيعية، بناء عليه سوف توضح مثل هذه النظرية سلسلة الكلمات التي تكون الجمل وسلسلة الكلمات التي لا تكون الجمل، وتقدم وصفًا للبنية النحوية لكل جملة [3]

من ثم تجسدت ثورة تشومسكي في علم اللغة في الانتقال بالنحو من مرحلة الوصف إلى مرحلة التفسير؛ حيث يرى في كتابة « البني التركيبية « أن اهتمامنا الرئيسي خلال مناقشة البنية اللغوية هو مشكلة تبرير الأنحاء. أن نحو اللغة L هو نظرية أساسية عن L, فإذا كانت النظرية العلمية تقوم على عدد محدود من

---

(1) John Searle. "Chomsky 's Revolution in Linguistics," p.4.

(2) Ibid., p. 194.

(3) Ibid., p. 6.

الملاحظات وتسعى لربط ظواهر الملاحظة والتنبؤ بالظواهر الجديدة عن طريق بناء قوانين عامة بلغة البني الافتراضية مثل (في الفيزياء) الكتلة, والإلكترون، على نحو مشابه يقوم نحو الإنجليزية على مجموعة متناهية من المنطوقات (الملاحظات) التي تحتوي على بعض القواعد النحوية (القوانين) المذكورة في العبارات والفونيمات المحددة للإنجليزية (البني الافتراضية)، تعبر هذه القواعد عن العلاقات البنيوية بين جمل مجموعة المنطوقات والعدد اللامتناهي من الجمل المولدة من قبل النحو (التنبؤات)، أن مشكلتنا هي تطوير وتفسير معيار لاختيار النحو الصحيح لكل لغة، أي النظرية الصحيحة لتلك اللغة [1].لكن كيف يتم تطوير وتفسير معيار لاختيار النحو الصحيح كما يرى تشومسكي؟ في ذلك السبيل يتسائل: ما العلاقة بين النظرية اللغوية العامة والأنحاء الخاصة التي تنتج عنها؟ مؤكدًا أن مدخله النحوي سوف يختلف بوضوح عن كثير من نظريات البنية اللغوية[2]. لذلك قام بوضع ثلاثة مطالب للرد على ذلك التساؤل داعمًا المطلب الثالث، وذلك كما يلي:

المطلب القوي الذي يمكن أن يوضح العلاقة بين نظرية البنية اللغوية والأنحاء الخاصة هو أن النظرية يجب أن تقدم طريقة ميكانيكية وعملية لبناء النحو بشكل فعلي يعطي مجموعة المنطوقات, دعنا نقول أن مثل هذه النظرية تزودنا بإجراء الكشف للأنحاء.

المطلب الضعيف أن النظرية يجب أن تقدم طريقة ميكانيكية وعملية بإمكانية تحديد هل النحو المقترح لإعطاء مجموعة المنطوقات هو في الواقع أفضل نحو يتألف من مجموع هذه المنطوقات، أم هناك نحو أفضل منه؟ هذه النظرية لا تهتم بالسؤال كيف يبني هذا النحو؛ إنها تمدنا بإجراء القرار للأنحاء.

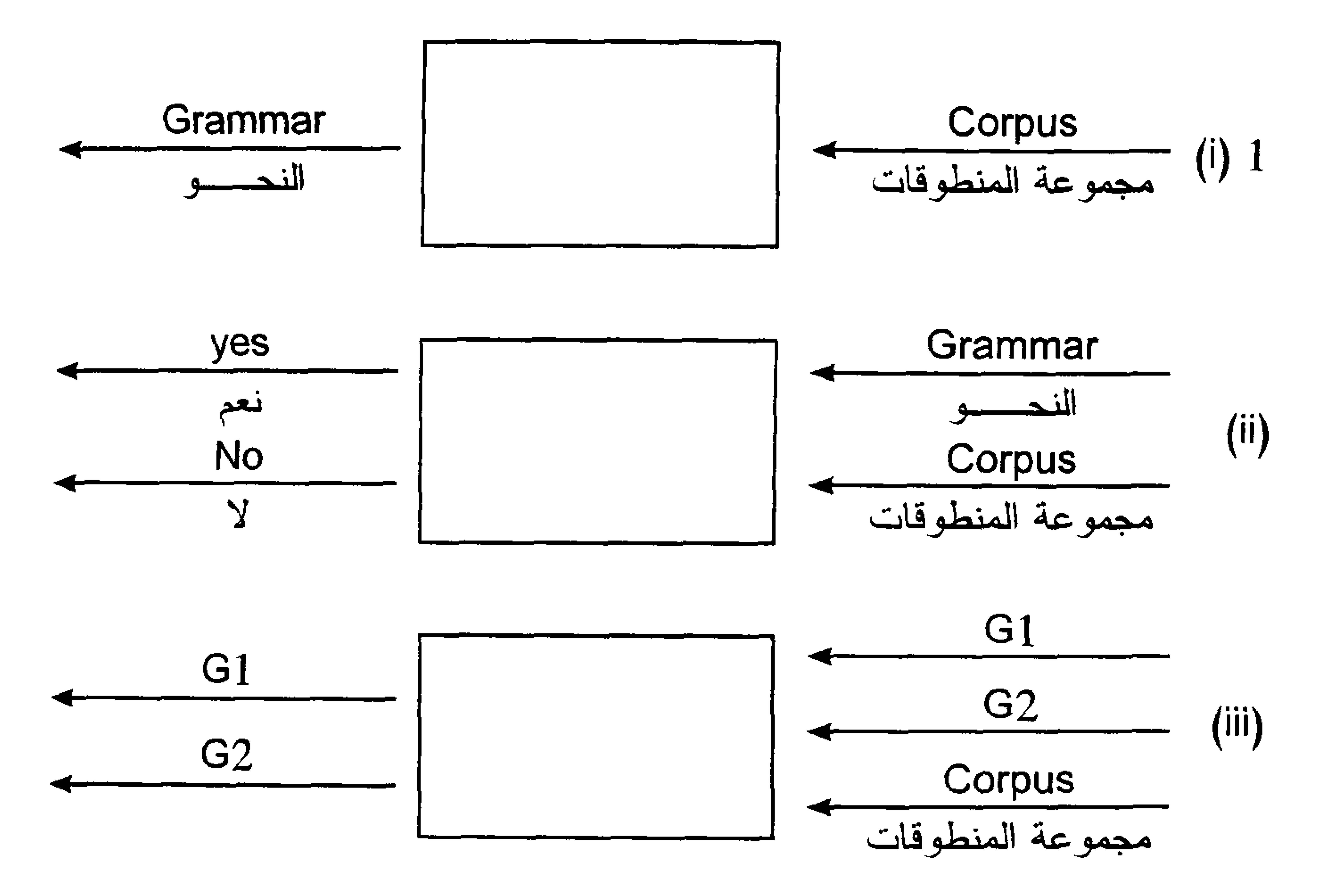
أما المطلب الأضعف أن تقدم النظرية مجموعة المنطوقات ونحوين مقترحين G1 – G2، يجب أن تخبرنا أي نحو أفضل لتحليل المنطوقات. في هذه الحالة ربما هذه النظرية تزودنا بإجراء التقييم للأنحاء.

---

(1) Noam Chomsky, Syntactic Structures,The Hague: Mouton,1957, P.49.

(2) Ibid., p.50.

هذه النظرية يمكن تمثيلها بيانيًا كما يلي:



يمثل الشكل (1) (i) نظرية بوصفها آلة معها مجموعة المنطوقات مدخل والنحو مخرجها من ثم هي النظرية التي تزود بإجراء الكشف. يمثل 1 (ii) جهازًا معه النحو ومجموعة المنطوقات كمدخل والإجابات (نعم) أو (لا) مخرج لأن النحو صحيح أو غير صحيح من ثم تمثل نظرية تزودنا بإجراء القرار للأنحاء. يمثل الشكل1(iii) نظرية مع الأنحاء G1 وG2 ومجموعة المنطوقات كمدخل والنحو الأكثر تفضيلاً من G1 وG2 كمخرج، من ثم تمدنا النظرية بإجراء التقييم للأنحاء[1].

يتبنى تشومسكي إجراء التقييم للأنحاء, وفي ذلك يقول جون ليونز «إن النظرية اللغوية – عند تشومسكي – ليس أمامها إلا دور المسوغ للقواعد النحوية في اللغات المختلفة؛ لذلك مضى يدبر الأمر للوصول إلى معيار يمكن الحكم به على أن قواعد نحوية معينة هي أفضل القواعد لتحليل المادة اللغوية، ولكنه انتهى إلى أن هذا الهدف – أي وضع نظام محدد ثابت للتحليل اللغوي – هدف طموح

---

(1) Ibid.,p p.50 - 51.

جدًا وأن أقصى ما يمكن أن تطمح إليه أي نظرية لغوية هو أن تقدم لنا معيارًا أو إجراءً تقييميا يمكن عن طريقه أن يختار من بين الإجراءات أفضلها في التحليل اللغوي, ومعنى هذا أننا لا نستطيع الحكم بأن وصفًا معينًا لمادة لغوية هو الوصف الصحيح بشكل مطلق, وإنما نستطيع القول بأن هذا الوصف أفضل أو أكثر صحة من أي وصف أخر لنفس المادة اللغوية لا أكثر ولا أقل» (1).

بناء عليه، أصبح وصف اللغة الطبيعية عنده نظرية استدلالية صورية formal deductive theory تحتوي على سلسلة قواعد نحوية في إمكانها توليد سلسلة غير متناهية من جمل اللغة، ولن تولد ما ليس بجمل، وستقدم وصفًا للبنية النحوية لكل جملة؛ ولذلك سميت هذه النظرية " النحو التوليدي " لأن هدفها بناء جهاز يولد فقط كل جمل اللغة (2).

لم يكتف تشومسكي بتعديل هدف علم اللغة، بل قام بتعديل مفهوم المنهج وموضوع البحث، لقد أكد أن أية لغة تحتوي على عدد لا نهائي من الجمل يستحيل حصره حتى إذا ما اشتملت على كثير من الجمل قدر ما هناك من جمل في كل كتب مكتبة الكونجرس فلا تزال صغيرة إلى حد بعيد؛ لذلك من الأجدر بموضوع البحث الملائم لعلم اللغة التخلي عن السلسلة المختارة بشكل عشوائي أو اعتباطي من الجمل من أجل دراسة معرفة المتكلم الضمنية للغة «أي قدرته التي تمكنه من إنتاج وفهم جمل لم يسمعها من قبل» (3).

لقد لخص جون سيرل ثورة تشومسكي في المخطط التالي: (4)

	البنيوية	**النحو التوليدي**
موضوع البحث	مجموعة المنطوقات	معرفة المتكلم كيف ينتج ويفهم قدرته اللغوية

(1) جون لوينز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص81.

(2) John Searle. "Chomsky 's Revolution in Linguistics" , p.6.

(3) Ibid., p.7.

(4) Ibid., p.7.

الهدف	تصنيف عناصر مجموعة المنطوقات	تحديد القواعد النحوية الضمنية التي تؤلف الجمل
المناهج	إجراءات الكشف	إجراءات التقييم Evalution procedures

وفي ذلك يقول نيل سميث:» يمكن إيجاز ثورة تشومسكي في علم اللغة في كونه قام بنقل العلم من المرحلة الوصفية إلى المرحلة التفسيرية أى: مرحلة صياغة القوانين والمبادئ اللغوية التي تحكم سير اللغة، بذلك أصبح من المقبول القول بأن علم اللغة دراسة علمية لا تمدنا فقط بالأوصاف اللغوية لكن تمدنا بالتفسيرات لتلك الأوصاف. هناك عدة جوانب لهذا القول يجدر الوقوف عليها: أولاً: يقدم علم اللغة نظرية عامة تفسر «لماذا» تأخذ اللغات هذا الشكل دون غيره، إن كل لغة هي مثال خاص للملكة الكلية للعقل وخصائصها الأساسية فطرية.ثانيا:يجب أن تقدم النظرية فروضاً قابلة للاختبار، ويقوم عالم اللغة، مثل عالم الفيزياء أو عالم الأحياء، بمعالجة البيئة اللغوية تجريبيًا ليرى ما يحدث ويقرر بشكل حاسم لماذا نخطْئ. وتجارب اللغوي ليست عادة ذات تقنية عالية مثل التجارب في العلوم الطبيعية، لكن على الأقل تسمح بالتجريب: فإذا استلزم تحليلك أن متكلمي الإنجليزية سوف يجدون أن الجملة John speaks fluently English مقبولة مثل الجملة John speaks English fluently , إذن فهو تحليل خاطئ ويجب أن يحل محله تحليل أفضل.[1]

ومن النقاط التى ساعدت على بروز ثورته في علم اللغة افتراضه الرئيس والمهم أن مفهوم اللغة عنده يبحث في لغة الفرد ولم يهتم بلغة المجتمع أو لغة جالية أو عصر، يشير هذا المفهوم الخاص إلى لغة الأنا الداخلية , بناء علية نظر إلى علم اللغة بوصفه جزءًا من علم النفس المعرفي، أى: البحث فيما يعرفه الفرد – أى فرد – بفضل كونه متكلمًا للغة، ينتج عن ذلك أننا لو أردنا وصف مما تتألف معرفتنا للإنجليزية (أو أية لغة أخرى) على وجه الدقة , فإننا في حاجة إلى أن

(1) Neil smith, Chomsky, p.7.

نبعد عن اعتيادنا الخاص للتعبيرات القديمة والشعرية والتركيز على لب المعرفة المنعكس في استعمالنا العادى للغة.[1]

يمكن إجمال النقاط الثورية في فكر تشومسكي فيما يلي: [2]

1 – معظم جمل اللغة التي يقابلها المتكلم/ المستمع خلال حياته يصادفها مرة واحدة فقط. يعني ذلك أن معظم الجمل المستخدمة فعليًا هي جمل جديدة، هذه هي الحقيقة الرئيسة التي يجب أن تزود بها أية نظرية لغوية.

2 – يصل مستخدم اللغة من حيث المبدأ إلى سلسلة غير متناهية من الجمل.

3 – مع أن مستخدم اللغة يعرف نحو لغته (أو يعرف لغته) فإنه لا يعرف أنه يستطيع ضمنيًا أن يخبر الآخرين عن معرفته على نحو واضح، إن مهمة وصف اللغة يمكن أن توضيحها بكونها تحديد ما يجب أن يعرفه الفرد لكي يعرف اللغة، ويؤلف هذا الجزء الرئيس من المعرفة القدرة عند مستخدم اللغة.

4 – يعكس أداء مستخدم اللغة – وهو ما يقوله ويسمعه فعليًا – قدرته اللغوية، وتجدر الإشارة إلى أن النظرية عن الأداء ليست هي نفسها النظرية عن القدرة, الاهتمام الرئيسي لدى علم اللغة هو الاهتمام بالقدرة. علاوة على ذلك، يعتمد أيّ بحث عن نظرية صحيحة عن الأداء على ما ننجزه في البحث عن نظرية صحيحة عن القدرة.

5 – الأداة الملائمة للبعد عن العوامل غير ذات الصلة لغويًا في الأداء هي تخيل «المستمع/ المتكلم المثالي» في مجتمع متكلم متجانس, أي المتكلم / المستمع الذي يعرف لغته بشكل دقيق ولا يتأثر بأي من هذه الشروط غير ذات الصلة النحوية مثل قصور الذاكرة, الذهول, تحول الانتباه والاهتمام أو الأخطاء في تطبيق معرفته للغة في الأداء الفعلي.

6 – طالما أن القدرة عند المتكلم حقيقة عقلية mental reality فإن علم اللغة عقلاني على نحو ضروري.

---

(1) Ibid.,P.9.

(2) Charles F. Hoekett ,The State of the Art, Mouton:the Hague, 1986, pp. 38 - 42.

7 – الاعتبارات الاحتمالية تلائم الأداء وليس القدرة, بالطبع أن مستخدم اللغة لديه بعض المعرفة بالاحتمالات، لكن هذه المعرفة تؤلف الحقيقة العقلية المختلفة عن نحو اللغة, معرفة الاحتمالات بالإضافة إلى العوامل المتنوعة الأخرى تؤثر فعليًا في الأداء، لكن ليس هناك سبب لافتراض أنه لا يوجد شيء يمكن فعله مع تنظيم النحو.

8 – التمييز بين الجمل النحوية وغير النحوية يطبق على القدرة وليس الأداء، إن درجة القابلية للمنطوقات المؤادة فعليًا موضوع مختلف.

9 – حالة المعنى meaningfulness مثل الصحة النحوية تتعلق بالقدرة، لكنهما مختلفان لأن بعض الجمل صحيحة نحويًا لكنها بدون معنى وهناك جمل غير صحيحة نحويًا ذات معنى, على الأقل بمعنى أنه عندما تؤدي في موضوع معين فإنها تنقل المعلومة الموكل لها نقلها.

10 – نحو اللغة هو نسق متناهي يضيف سلسلة غير متناهية من الجمل (جيدة الصياغة) على نحو أكثر تحديدًا, نحو اللغة هو نحو محدد جيدًا.

11 – ليس هناك حساب معروف يحسب أو يكتشف نحو اللغة: « ليس هناك تقنيات صياغة كافية تكون معروفة للحصول على المعلومات الموثوق فيها المتعلقة بحقائق البنية اللغوية «لا يمكن أن تنشأ معرفة البنية النحوية من قبل تطبيق العمليات الاستقرائية خطوة بخطوة (التجزئة, التصنيف, الإجراءات البديلة, التداعي... الخ) من أي نوع ثم تطويرها داخل علم اللغة أو علم النفس أو الفلسفة.

12 – مع ذلك كل فعل تقريبًا يؤدي بشكل ناجح مهمة اكتساب اللغة، بناء عليه يجب أن يأتي الطفل إلى هذه المهمة على الأقل يمتلك نسقًا فطريًا لإنتاج سلسلة ضخمة غير متناهية من أنحاء اللغات الإنسانية الممكنة, وقدرة فطرية على الانتقاء من هذه السلسلة, انتقاء النحو الصحيح للغة الجماعة.

13 – الصياغة الواضحة للنسق المنتج للنحو الفطري تؤلف النحو العام (أو النظرية اللغوية العامة) لو لدينا تلك النظرية ثم قمنا بوصف أي نحو محدد، فإن ذلك سوف يستلزم فقط أن نضع القيم المناسبة لبعض المتغيرات في النحو العام.

14 – النسق المنتج للنحو الفطري هو نسق محدد جيدًا.

15 – من المعقول على الأقل أن نحو اللغة يتألف من ثلاث مكونات: (أ) المكون التركيبي «يحدد سلسلة غير متناهية من موضوعات صورية مجردة كل منها يجسد كل المعلومات ذات الصلة بالتفسير الفردي لجملة معينة، لأداء ذلك فإن كل موضوع صوري مجرد يجب ألا يكون فقط سلسلة من المولدات، لكن بالإضافة إلى ذلك يكون وصفًا بنيويًا محددًا. (ب) المكون الفونولوجي «يحدد الصورة الصوتية للجملة المولدة بواسطة القواعد التركيبية». (ج) المكون الدلالي» يحدد التفسير الدلالي للجملة».

16 – في البحث عن نحو اللغة, ربما يفترض الفرد وجود أنحاء مصاغة على نحو واضح متعددة للغة. البحث يتألف على نحو ملائم بواسطة (10) ويوجه بشكل مفيد بواسطة (15) النحو المفترض للغة يكفي "ليصف على نحو صحيح القدرة الجوهرية للمتكلم المحلي المثالي".النحو الكافي وصفيا للغة له مبادئ تمتد لتتطابق مع النظرية اللغوية العامة من النوع المذكور في (13)

17 – يبحث الفرد أيضًا عن النظرية اللغوية العامة الصحيحة (13)، النظرية المفترضة في هذا البحث هي كافية وصفيًا لو جعلت النحو الكافي وصفيًا متاحًا لكل لغة طبيعية. النظرية العامة الكافية وصفيا هي كافية تفسيريًا لتمتد تقريبًا إلى النسق المنتج للنحو الفطري والقدرات الفطرية الأخرى للطفل.

5 – آراء النقاد في ثورة تشومسكي

اختلفت آراء النقاد في ثورة تشومسكي بين مؤيد وعارض وسوف أعرض للجانبين معا. يرى فريدريك نيومير أن هناك أسبابًا تجعل من كتاب «البنى التركيبية» كتابًا ثوريًا وهي:

1 – ما يجعل من «البنى التركيبية» ثوريًا هو مفهومه عن النحو بوصفه نظرية عن اللغة تخضع لنفس قيود بناء وتقييم أي نظرية في العلوم الطبيعية. قبل 1957, كان وجود نظرية صورية غير تجريبية في العلوم الإنسانية أمر مستحيل، ليس ذلك فقط في علم اللغة. بل وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية، لكن استطاع تشومسكي إيضاح أنها نظرية ممكنة في علم اللغة إن الكتاب ثوري لأنه ليس مجرد تدريب في الفلسفة التأملية للعلم، لكنه بالأحرى توضيح للإمكانية العملية للنظرية غير التجريبية للبنية اللغوية، لقد كرس نصف الكتاب للدفاع عن الجزء الصوري لنحو الإنجليزية[1].

2 – وضع ذلك الكتاب العلاقات التركيبية في قلب اللغة، بتركيزه على علم التركيب وكان قادرًا على وضع قاعدة لتفسير السمة الأكثر تمييزًا للغة الإنسانية، وهي الإبداعية. إن الأهمية الثورية لمركزية علم التركيب لا يمكن أن يبالغ فيها، فالأنساق الصرفية والصوتية مغلقة ومتناهية بشكل أساسي, ومهما كان تعقدها فإن دارستها لا تقود إلى فهم قدرة المتكلم على التجديد اللغوي أو حتى تفسر لانهائية اللغة. مع ذلك فإن التفسيرات المبكرة استبعدت علم التركيب عن اللغة. بالنسبة لسوسير, معظم العلاقات التركيبية تعزى إلى الكلام كما بالنسبة لعلماء لغة مدرسة براغ الذين عالجوها من منظور الجملة الوظيفية، أما عن زيلج هاريس فكان قد بدأ في آخر 1940 دراسة التحليل الصوري للعلاقات التركيبية، لكن التزامه التجريبي بتطوير إجراءات آلية متطورة من أجل التحليل النحوي قاده إلى إهمال ما تتضمنه

(1) Frederick J Newmeyer, " Has there Been Chomskyan Revolution in Linguistics,".p3.

دراسات هذه العلاقات من فهم للإبداعية اللغوية[1].

3 – لقد حقق تشومسكي بكتابه "البنى التركيبية" ثورة حقيقية في حقل علم اللغة، فإذا ما طبقنا معيار توماس كون على ثورة تشومسكي، كان فى مقدورنا القول كما قال جون سيرل: تمثل ثورة تشومسكي إلى حد ما النموذج العام الموصوف في كتاب توماس كون « بنية الثورات العلمية. « إن النموذج أو المثال المقبول لعلم اللغة وجه إلى حد ما عمل تشومسكي، فمع زيادة أعداد الأمثلة المعاكسة والبيانات الغريبة التي لم يستطع النموذج الحالي آنذاك التعامل معها حيث تعددت مشكلات النحو البنيوي، قدم تشومسكي نموذجًا جديدًا محدثًا بذلك تحولاً عقليًا فلسفيًا في التعامل مع اللغة. فقد تغيرت النظرة إلى اللغة من كونها عادة متعلمة، بل من مجرد كونها سلسلة من المثيرات والاستجابات إلى كونها بنية داخل العقل الإنساني لها ملكة محددة فطريًا هي ملكة اللغة، وفي ذلك الصدد يقول نيومير: «إننا نخلص من ذلك إلي أن كتاب البنى التركيبية ذو تأثير ثورى فى حقل علم اللغة، وتأثير ثوري بالمعنى الاجتماعي على حد سواء، ومع ذلك فالمسألة معقدة؛ لأن مؤرخي العلم يقدمون المعايير المتعارضة لتمييز الثورات الناجحة، على سبيل المثال، يؤكد توماس كون في «بنية الثورات العلمية» (1970) أن المعيار الأساسي تماثل الاعتقاد المنتج داخل المجتمع العلمي داخل النموذج الجديد، لو كان كون على حق، إذن لن توجد ثورة علمية في علم اللغة؛ لأن بيرسيفال(1976) يوضح أن التحليل اللغوي في الماضي أو الحاضر لم يُمنح قبولاً عامًا وخاصة النحو التوليدي، فلم يحصل النحو التوليدي على قبول عام بين اللغويين في جميع أنحاء العالم، انه ليس إطارًا تصوريًا مشتركًا بين كل اللغويين» تبدو النتيجة المحتومة: أن ثورة تشومسكي « لو كانت موجودة فإنها ليست من نفس نمط ثورة كون»[2] وفى ذلك يقول بيرسفال: «ما يسبب مشكلة هو البعد الاجتماعي للنماذج. لم يحصل النحو التوليدي على موافقة متماثلة بين كل اللغويين عبر العالم: لم يكن هناك الإطار المفاهيمي الذى يتشارك فيه كل أعضاء المهنة، وهناك مشكلتان بهذا الخصوص. أحداهما أن كثيرًا من علماء اللغة وضعوا نظرياتهم تحت النحو التطبيقي، النحو

---

(1) Ibid., pp.3 - 4.

(2) Ibid., p.29.

النظامي؛ التحليل الخطي، وانتمي بعضهم إلي البنيوية الأوربية...الخ. والأخرى، حتى من التزم بالنحو التوليدي فقد انقسموا إلي عدة من المدارس». [1]

ويمكن الرد على ذلك الرأى على النحو التالى: « نحن نعرف أنه توجد ثورة صنعها تشومسكي في علم اللغة ولكن ليس بسبب أن كل لغوي في العالم، كان مرة أو الآن نحوي توليدي، لكن توجد ثورة لأن أي لغوى يتمنى أن يحقق قبولاً عامًا لنظريته الجديدة في اللغة، يجب عليه أن يوضح أن نظريته أفضل من نظرية تشومسكي»[2]

ومن القائلين بعدم وجود ثورة قام بها تشومسكي في علم اللغة، وإن وجدت فإنها ثورة لا تماثل نموذج كون في حديثه عن الثورات العلمية، «مورتن ونستون» حيث يفند في مقاله» هل هناك ثورة علمية حدثت في علم اللغة» الحجج التي تؤكد وجود مثل هذه الثورة على النحو التالي: أصبح من المألوف الادعاء أن هناك ثورة علمية حدثت في علم اللغة نتيجة لإسهامات نعوم تشومسكي في نظريات علم التركيب، ثورة ساهمت فى إحداث تغيرات هامة فى النظرية اللغوية وفلسفة العقل. على الرغم من أن لقب «ثورة « أطلق على هذه التطورات تقريبًا منذ البداية، إلا أن الفكرة شُجعت على نحو واسع منذ ظهور كتاب توماس كون «بنية الثورات العلمية» في بداية الستينات في نفس الوقت الذي كانت فيه تعزز نظرية النحو التوليدي التحويلي وضعها بوصفها مدرسة مسيطرة في علم اللغة، وجذبت انتباه المجتمع العلمي والعقلي على نحو أوسع... لقد ظهرت ادعاءات أن ثورة تشومسكي في علم اللغة تطابق تفسير كون للتطور العلمي منذ رأي المتحمس سكلار حيث قال: « إن ما حدث في علم اللغة منذ تشومسكي يماثل تقريبًا وصف كون لكيفية حدوث الثورة العلمية»، بالنسبة لكاتز وبيفر يؤكدان أن « الثورة التحويلية تطابق تفسير توماس كون « وعلى الرغم من شعبية وجهة النظر السابقة فإن الإدعاء السابق غير مقنع لأن هناك جملة من السمات المتعددة المهمة في تفسير كون

---

(1) W. Keith Percival, The Applicability of Kuhn's Paradigms to the History of Linguistics. Language, Vol. 52,No.2. (Jun., 1976), p.289.

(2) Frederick J. Newmeyer, ' Has there Been A Chomskyan Revolution in Linguistics", p.30.

لا تتفق مع تاريخ علم اللغة [1].لو أخذ هذا التفسير على محمل الجد وطبق على التاريخ المعاصر لعلم اللغة، فنحن نفترض أن الفترة الثورية للنحو التوليدي بدأت في 1957، مع نشر كتاب «البنى التركيبية» لتشومسكي، وهذا العمل حل الأزمة في النموذج السابق وزودنا بنموذج جديد بوصفه نموذجًا للحاضر، مع ذلك لم يكن هناك ثورة لتشومسكي في علم اللغة، لأنه ليس من الواضح على الإطلاق النموذج القديم الذي حل محله النحو التوليدي، ومن المشكوك فيه أن الوضع الحالي لعلم اللغة يمكن أن يوصف بوصفه علم سوي عادي؟[2].لو كان هناك أزمة من نوع نموذج كون، سوف يتوقع الفرد أن المجتمع العلمي سوف يستقبل تشومسكي بأذرع مفتوحة بدلاً من ذلك لقد واجه صعوبة في إيجاد ناشر، وعندما شرح آرائه في مقابلات مهنية، قوبل عمومًا اتجاهه بالغموض والرفض، ولم يفهم أحد تماما على ماذا كان يعترض [3].

يواصل ونستون تفنيده قائلاً: « ربما يظهر اعتراضي هنا أنني أبالغ في قضيتي ضد وجود أزمة قبل تشومسكي، وأنني أتجاهل حالات أعتبرها حجة لمستوى التحويلات (على سبيل المثال الأفعال المساعدة الروابط والجمل والمبني للمعلوم والمبني للمجهول) بوصفها من الشواذ في النموذج القديم الذي يتنبأ به تفسير كون. الفكرة خاطئة لأن مثل هذه الأمثلة لا ينظر إليها بوصفها شاذة قبل تشومسكي وحلت بنجاح طبقًا لمنهج تحليل المكون المباشر التوزيعي, يجب أن نذكر أن مفهوم القواعد التحويلية قدم في علم اللغة من قبل هاريس، بالنسبة لهاريس كانت التحويلات أدوات مساعدة تستخدم لجعل النص طبيعيًا لذلك الأنواع المتكافئة توزيعيا يمكن تحديدها، لكن عندما أعاد تشومسكي تفسير النحو بوصفه نسقًا توليديًا أي بوصفه أجهزة صورية قادرة على توليد كل وفقط جمل اللغة الصحيحة، فإن هذه الحالات أصبحت شاذة، بمعنى آخر لم يخلق تشومسكي

---

(1) Mortone Winston, “Did a (kuhnian) Scientific Revolution Occur in Linguistics?,” Proceedings of the Biennial Meeting of the Philosophy Scientific Association, vol 1.1976, p. 25.

(2) Ibid., p.26.

(3) Ibid., p.27.

مفهوم جديد عن النحو فقط، لكنه بذلك جعلنا على وعي بحدود بنية العبارة، وبهذه الطريقة لم يكن هناك أزمة في علم اللغة قبل تشومسكي» [1].

يري روبرت ليز أن كتاب تشومسكي «البني التركيبية» جعل علم اللغة قادرًا على تخطي مرحلة ما قبل العلم الوصفي إلى العلم البديهي وفي ذلك يقول: « يعد كتاب تشومسكي «البني التركيبية» أحد المحاولات الجادة من قبل عالم لغة حاول وضع علم اللغة ضمن تقليد النظرية العلمية، نظرية شاملة عن اللغة تفهم بنفس فهم النظريات البيولوجية والكيميائية. إنها ليست إعادة تنظيم للمعلومات داخل نوع جديد من قائمة المكتبة أو فلسفة تأملية أخرى عن طبيعة الإنسان واللغة، بل بالأحرى إنها تحليل دقيق لحدوسنا حول اللغة في نسق بديهي صريح، يسمح باشتقاق النظريات منه بحيث نقارن النتائج الواضحة مع المعلومات الجديدة والحدوس الأخرى وتقوم جميعها بوضوح على النظريات الصريحة عن البنية الداخلية للغة». ويمثل رأى ليز الواقع الفعلي الذى حدث في علم اللغة، فمع تشومسكي بدأت المرحلة التفسيرية في علم اللغة، مرحلة أكثر نضجًا بل مرحلة تكاملية الزاويا. فلم تعد دراسة اللغة تتم بمعزل عن المجالات العلمية والاجتماعية والثقافية الأخرى، بل تدرس بنية اللغة في تكاملها مع البنية العقلية والمحيط الاجتماعي للفرد.

لقد أعلن فوجلين أنه حتى لو حقق كتاب «البنى التركيبية» جزءًا واحدًا فقط من أهدافه لأنجز ثورة كوبرنيقية[2]، فمثلما غيرت الثورة الكوبرنيقية النظر إلي الكون وحقيقته، غيرت ثورة تشومسكي وجهة النظر السائدة عن اللغة.

يقول أيضا برنارد بلوش: أحد رواد علم اللغة: « يبدو أن تشومسكي يسير في المسار الصحيح، ولو كنت شابًا لصرت في زمرته لقد عبر عن المنظور اللغوى على نحو صحيح، فاللغة عنده ليست وسيلة عامة للاتصال أو كلمة فارغة شاملة كل الأنساق الرمزية، بالأحرى إن جوهر اللغة هو خاصية علم التركيب أى

(1) Ibid., p.28.

(2) Howard Gardner, The Minds New Science: A History of the Cognitive Revolution, New York - Basic Books, Inc, 1983, p.190.

القدرة الفريدة لدى الجنس البشري على تجميع وإعادة تجميع الرموز اللفظية في أنواع محددة لخلق عدد غير محدود من الجمل المقبولة نحويًا[1].

على الرغم من التباين الواضح في المواقف إزاء ثورة تشومسكي فقد جاء اهتمام تشومسكي باللغة اهتمامًا يخالف سابقيه، حيث ركز على اللغة في أكثر معانيها تجريدًا، بينما فحص أصحاب علم اللغة البنيوي ما يقوله الأفراد فعليًا وركزوا على الكلمات المنطوقة. اعتبر اللغة قدرة مجردة نستطيع لمحها في الصورة غير الصحيحة نحويًا في مخرجات الفرد. ويؤكد أيضا تمشيا مع نزعته الصورية أنه يجب على عالم اللغة أن يركز على هذه المثالية أي الصورة الأفلاطونية وإهمال الأخطاء السطحية، التردد، زلات اللسان، ضعف الذاكرة، وما شابه ذلك، وفقًا لذلك يتضح أن تشومسكي كان غريبًا عن السلوكية في ذلك الوقت[2].

---

(1) Ibid., p. 190.

(2) Ibid., p. 191.

6 - ثورة تشومسكي ثورة معرفية

لقد حدثت ثورتان معرفيتان وهما الثورة المعرفية الأولي في القرن السابع عشر والثورة المعرفية الثانية في منتصف القرن العشرين. ويرى برنارد بارز في كتابه: " الثورة المعرفية في علم النفس " أن الثورة المعرفية مثال حي على الثورة العلمية[1].ويصادق تشومسكي على ذلك الرأي مصرحًا بأن ما ندعوه الثورة المعرفية الأولى كانت جزءًا من الثورة العلمية العامة لثورة جاليليو ،وأشار إلى وجود ملامح مهمة مشتركة بين الثورة المعرفية المعاصرة وسابقتها[2]. قام تشومسكي ببيان أوجه التشابه بين الثورة المعرفية الأولى والثورة المعرفية الثانية،ويمكن حصر ذلك التشابه فيما يلي: أولا: الافتتان بحدود الآلة، لقد جسد القرن السابع عشر والثامن عشر الانبهار بأن الآلات التي صنعها العمال الماهرون أعجوبة حقيقية لكل فرد، فنشأ عن ذلك السؤال: هل البشر أكثر تعقيدًا من الآلات؟هذا التساؤل لا يزال موضوعًا للمناقشة حتى اليوم. كان ذلك السؤال جوهر الفلسفة الديكارتية،...فقد نشأ العلم الديكارتي إلى حد ما من أحجية الاختلاف بين البشر والآلات. فدارت الأسئلة حول طبيعة الإنسان والعالم الطبيعي وصولاً إلى خلود الروح، وثبات حقائق الدين، وهكذا لم تعد هذه الموضوعات بسيطة» [3].

فقد جعلت الثورة في العلوم الطبيعية في ذلك الوقت الثورة الديكارتية أمرًا ضروريًا، أي: ضرورة إيجاد نظرية جادة عن العقل، أي أن ثورة ديكارت ثورة معرفية أدت إلى تحول معرفي في النظر إلى الإنسان , ففي الخلفية تؤمن « الفلسفة الآلية بأن العالم آلة معقدة ألفها فنان معلم استنتج المبدأ الأساسي من

(1) Bernard J. Baars, The Cognitive Revolution in Psychology, New York: The Guilford Press, 1986,p.9.

(2) Noam Chomsky, Powers and Prospects: Refections on Human Nature and the Social Order, London:Pluto Press, 1996, p.1.

(3) Ibid., p. 2.

الحس المشترك البسيط:حتى يتحقق النجاح لبرنامج «الرؤية الآلية العالم « فمن الضروري تخليص العلم من التعاطف والكراهية والإسكولاتية والصور الجوهرية والنظريات الصوفية الأخرى البالية، وإيضاح أن تلامس الآلات فيه الكفاية. في ذلك الإطار حاول الديكارتيون البرهنة على إن رؤية العالم آله تمتد إلى كل من العالم العضوي واللاعضوي بصرف النظر عن البشر الجزء الجوهري من الفسيولوجيا وعلم نفس الإنسان، لكن بالرغم من ذلك يتجاوز البشر حدود أي آله ممكنة، لهذا السبب يختلف البشر بشكل جوهري عن الحيوانات التي تعد مجرد الآت، فإذا وضعت الآلة في حالة معينة أو موقف خارجي محدد فلن تفعل سوى أنها مجبورة للتصرف بطريقة معينة. لكن تحت ظروف مشابهة فإن الإنسان «يحث ويميل « لفعل ذلك. ربما يتجه الناس لفعل ما يميلون أو يحثون لفعله، ربما سلوكهم قابل للتنبؤ والتفسير العلمي، لكن نظريات السلوك تفتقد دائما النقطة الحاسمة: أن الشخص يستطيع الاختيار بطريقة أخرى. [1]

وعلى هذا النحو لم يعد الإنسان مجرد ألة، بل هناك جوهر آخر لا يخضع للتفسير الآلي الميكانيكى الذى يخضع له الكون بأكمله, ذلك الجوهر هو العقل، ويماثل ذلك ما حدث في الثورة المعرفية الثانية من تحول معرفي من دراسة السلوك بوصفة مجرد سلسلة من المثيرات والاستجابات التى يخضع لها الإنسان بشكل آلي، إلى أهمية دراسة العقل وحالاته والاهتمام بالمنظور العقلي، فجاء التحول من دراسة السلوك ومنتجاته إلى دراسة الآليات الداخلية التى تدخل في كيفية تفسير وفهم وإنتاج السلوك، معبرًا أصدق تعبير عن الثورة المعرفية الثانية, فلم يعد موضوع البحث السلوك ومنتجاته، مثل مجموعة المنطوقات، أصبح ذلك السلوك مجرد معلومات تقدر أهميتها وفق ما تزود به من أدله تقع في دائرة الاهتمام الفعلي وأصبح ما يمثل بؤرة البحث الآليات الداخلية للعقل وطرق تشكلها وكيفية معالجتها للتمثيلات واستخدامها في أداء السلوك وتفسير الخبرة[2]، لم يعد سلوك الإنسان سلسلة من المثيرات والاستجابات أو الفعل ورد الفعل، بل أعمق

(1) Ibid., pp. 2 - 3.

(2) Noam Chomsky, " Language and Cognition," in The Future of the Cognitive Revolution,(ed.) by David Johnson ,1997)p.17.

من ذلك بكثير إنه دراسة البنية الداخلية للعقل الإنساني.

يجدر هنا التنبيه إلى الدور الذى لعبته اللغة في الثورتين المعرفيتين, ففي الثورة المعرفية الأولى قامت خصائص اللغة بدور رئيس بالنسبة لديكارت وأتباعه, حيث اعتبرت القدرة على استعمال اللغة بالطريقة العادية هى المعيار على امتلاك العقل وبذلك يتخطي الإنسان التفسير الآلي للعالم[1] أما فى الثورة المعرفية الثانية اعتبرت اللغة الإنسانية هى الخاصة التى ينفرد بها الإنسان , ويتم الانطلاق منها لإلقاء الضوء على العقل الإنساني ومن ثم الطبيعة البشرية وكان محور ذلك الاهتمام بالسمة الإبداعية لاستعمال اللغة.

لذلك سعى تشومسكي دوما إلى التأكيد على صلة ثورة ديكارت بعلم اللغة، وأن أرائه الفلسفية عن اللغة ساهمت في اهتمام نحوي بورروبال بالنحو الفلسفي وتأكيد الصلة بين علم النفس وعلم اللغة في ذلك الوقت مما أثار حفيظة البعض ودعا جلبرت هيرمان إلى مناقشة ذلك الادعاء في مقالته «مراجعة كتاب اللغة والعقل» متسائلا هل الثورة الديكارتية ذات صله بتاريخ علم اللغة على النحو الذي افترضه تشومسكي؟ [2]

يرى تشومسكي أن جوهر ثورة ديكارت هو رفضها التفسير الآلي الطبيعي للغة واعتبار العقل وظواهره التفسير الحقيقي للغة، يكمن هذا النوع من النظرة وراء وجهة النظر العامة التي جاءت معروفة بالنحو الفلسفي أو الكلي كما بدأ ذلك النحو من قبل لدى نحوي بورروبال في الجزء الأخير من القرن السابع عشر. على سبيل المثال تميز نظرية بور رويال بين البنية السطحية للجملة التي تطابق مع صوتها عن ما يسميه تشومسكي بنيتها العميقة. إن البنية العميقة لجملة « الله غير مرئي خالق العالم المرئي « تتألف من نسق من ثلاث قضايا هي « الله غير مرئي « إنه هو خلق العالم «، « وأن العالم مرئي «. يقترح تشومسكي أن ما يميز هذه النظرية لبورروبال عن نظرية الحذف المطورة من قبل نحوي عصر

---

(1) Ibid., p.3.

(2) Gilbert Harman ,"Review of Language and Mind," In On Noam Chomsky Critical Essays (ed.) by Gilbert Harman. Gardencity, New York: Anchor Press, 1974, p.201.

النهضة سنكتيس « أنهم انفصلوا من قبل الثورة الديكارتية ». نظرية بورروبال نظرية نفسية لأن « التحولات التي تربط البنيات السطحية والعميقة هي عمليات عقلية حقيقية. بينما طبقًا لتفسير تشومسكي فإن نظرية الحذف المطورة بواسطة سنكتيس هي « أحد التقنيات العديدة، التي تطبق بوصفها حالات مبرهنة ليس لها تمثيل عقلي ضروري من حيث هو سمه للذكاء العادي» [1]

يتضح مما سبق إصرار تشومسكي على صلة ثورة ديكارت بعلم اللغة، ويقدم جلبرت هيرمان عدة نقاط تدعم ذلك الرأي كما يلي: [2]

(1) على الرغم من المحاولات التي سعت إلى تفسير سمات اللغة داخل النظريات النفسية قبل ديكارت، فقد شهد القرن السابع عشر نجاحات في علم الميكانيكا وعلم وظائف الأعضاء والعلوم الطبيعية الأخرى التي شكلت تهديدًا لعلم النفس، بينما يلاحظ تشومسكي أنه هناك العديد من النواحي السطحية التي فيها المناخ العقلي اليوم يشبه مناخ القرن السابع عشر في أوروبا الغربية، إحداها الحاسمة بشكل خاص في السياق الحالي الاهتمام الكبير جدًا بإمكانيات وقدرات الآلات، المشكلة التي فتنت عقل القرن السابع عشر تمامًا كما لدينا الآن.

(2) لقد أكد ديكارت أن بعض مظاهر للعقل لا تخضع للتفسير الآلي أو الفسيولوجي ومنها الاستعمال العادي للغة، قاد ذلك الاعتقاد ديكارت إلى افتراض أنه لا يوجد تفسير على الإطلاق يستطيع تقديمه لمظاهر العقل التي توضح قوة النموذج السائدة. لم يتصور ديكارت علم مستقل للعقل متعذر تحويله إلى علم فيزيائي وعندما حاول تفسير آلام الروح قدم تفسير فسيولوجيًا ظاهراتياً.

(3) لكن الفلاسفة تأثروا بديكارت خصوصًا لوك وليبنتز وحاولوا تطوير علم نفس مستقل، لقد قبلوا الحجة الديكارتية بأن بعض مظاهر العقل لا يمكن تفسيرها فسيولوجيا لكنهم رفضوا وجهة النظر السائدة أن التفسير الوحيد الصحيح هو التفسير الفيزيائي. لقد كانت هذه سمة الثورة الديكارتية عن العقل وهى أن العقل لا يمكن اختزاله إلى علم فيزيائي في ذلك الوقت. بكلمات أخرى، يدعي

(1) Ibid., pp. 202 - 203.

(2) Ibid., pp. 203 - 204.

تشومسكي أن سينكتس منفصل عن بوررويال ليس فقط بسبب الثورة الديكارتية بل أيضًا بسبب الثورة في العلوم الطبيعية التي جعلت الثورة الديكارتية ضرورة لوجود أية نظرية جادة عن العقل.

كان عالم اللغة الدنمركي أوتو جسبرسن الوريث البارز لهذا التقليد الذي حاول البرهنة منذ 75 عام على أن الهدف الرئيسي لعلم اللغة هو اكتشاف « مفهوم البنية « للجمل التي بتمثلها كل متكلم والتي تمكن من إنتاج وفهم التعبيرات الحرة الجديدة تمامًا على المتكلم أو المستمع حتى في تاريخ اللغة يجد مفهوم البنية في عقل المتكلم طريقه بدون تعليم، فليس هناك سبيل لتعليم ذلك المفهوم إلى أي شخص حتى لو عرفنا ما هي، لا يستطيع الوالدان فعل ذلك، حتى علماء اللغة لديهم فهم محدود لما يقبع وراء السطح الخارجي للظواهر. ينمو مفهوم البنية بطريقة ما في العقل مزودا بوسائل الاستعمال غير المتناهي للقدرة على صياغة وفهم التعبيرات الحرة الجديدة[1]. توجهنا هذه الملاحظة إلى مشكلة أكثر عمقًا في دراسة اللغة، تتمثل في اكتشاف أساس هذا الانجاز القابل للملاحظة في العقل الإنساني، يقود الاهتمام بهذه المشكلة إلى دراسة النحو الكلي. يعتقد جسبرسن أنه من الممكن تصور نظرية عن النحو الكلي لعلم التركيب لكن ليس في الإمكان تصور نظرية عن النحو الكلي لعلم الصرف الذي يتنوع بين اللغات على نحو عارض[2].

إن الفكرة الجوهرية التي تم تمثيلها مرة ثانية في الثورة المعرفية الثانية هي صياغة وليم فون همبولدت في أوائل القرن الثامن عشر ومضمونها:» إن اللغة استعمال لامتناهي لوسائل متناهية» قول يبدو متناقضًا، بمعنى أنه يجب على الوسائل أن تكون متناهية لأن المخ متناهي، لكن استعمال هذه الوسائل غير متناهي بلا حدود. حيث يستطيع الشخص دائمًا أن يقول شيئًا جديدًا دون ترتيب التعبيرات، أثناء الاستعمال العادي يمكن انتاج عدد ضخم أو هائل غير متناهي من الجمل والتعبيرات بعيدًا عن أية إمكانية للتخزين لذلك تفسير فكرة استعمال اللغة

(1) Noam Chomsky.Powers and Prospects , pp. 7 - 8.

(2) Ibid., p. 8.

اللا متناهي بالتخزين مسألة مستحيلة[1].

كان في منتصف القرن الثامن عشر مفهوم» الاستعمال اللامتناهي للوسائل المتناهية» مفهوم جيد على الأقل في أحد جوانبه؛ فقد كان جزءًا من أسس الرياضيات وقاد إلى اكتشاف معلومات ضخمة عن القدرة على اتخاذ القرار، الكمال، الصدق الرياضي وشكل أساس نظرية الحاسوبات. هذه الأفكار مفهومة ضمنيًا في هندسة إقليدس والمنطق الكلاسيكي لكن أصبحت واضحة وثرية فعليًا مع أواخر القرن التاسع عشر ومع بداية القرن العشرين، في 1950 استطاعوا بيسر تطبيق المشاكل التقليدية للغة التي كانت تبدو من قبل متناقصة[2].

من ثم أصبح مفهوم البنية في العقل بمثابة إجراء توليدي، وعبارة عن شيء متناهي متميز بنظام لا متناهي من التعبيرات الحرة. كل بنية عقلية لها صورة ومعنى محددان، وفقًا لذلك المعنى يزود الإجراء التوليدي «باستعمال لامتناهي للوسائل المتناهية «. أصبح النحو الخاص دراسة هذه الإجراءات التوليدية للإنجليزية، المجرية، السواحلية أو مهما يكن، أما النحو العقلي أو الكلي هو دراسة الأساس الفطري لنحو تلك اللغات في العقل عندما تقدم له معلومات مبعثرة، محدودة وغامضة من الخبرة، مثل هذه المعلومات تظل بعيدة جدًا عن تحديد لغة أخرى بدون قيود أولية دقيقة وصارمة[3].

هناك جانب آخر تتشابه فيه الثورة المعرفية المعاصرة مع سابقتها يتمثل في إحياء البنية الفطرية، أو الأفكار الفطرية، وترجع هذه الأفكار إلى أفلاطون الذي أقر أن ما يعرفه الناس لا يمكن أن يكون نتيجة الخبرة، بل يجب أن نصل إلى نقطة بعيدة المدى ممثلة في المعرفة القبلية، وعلى الرغم من أن هيوم زعيم تجريبي لكن ببحثه في علم الطبيعة البشرية أدرك أنه يجب اكتشاف تلك الأجزاء من معرفتنا المشتقة من « اليد الأصيلة للطبيعة «، أي: معرفة فطرية بلغة أخرى[4].

---

(1) bid., p. 8.

(2) Ibid., p. 8.

(3) Ibid., p. 10.

(4) Ibid., p. 10.

أما في الثورة المعرفية المعاصرة وفي حالة اللغة فإن ملكة اللغة هي المكون الخاص في المخ الذي كرس خصيصًا للغة، هذا النسق الفرعي للمخ له حالة أولية محددة وراثيًا مثل كل مكونات الجسم الأخرى: الكلية، النسق العصبي. وهكذا تعد دراسة تلك الحالة الأولية رؤية معاصرة للنحو الكلي (الفلسفي، العقلي) التقليدي، هذا الجانب من البيولوجيا يبدو أقرب للتماثل عبر الجنس البشري[1].

---

(1) Ibid., p.13.

7 - أثر تشومسكي في الثورة في علم النفس

فيما بين 1955 و1965 حدثت ثورة في علم النفس، وكانت هناك إرهاصات لها قبل 1955. لكن معظم أراء قادة هذا الحقل تؤكد أن هذا العقد كان حاسمًا في تاريخ علم النفس. من الجدير بالذكر أن الثورة المعرفية لم تكن دراماتيكية ولا حتى مجازية، علاوة على ذلك، على خلاف ثورة واطسن لم يكن هناك وعي بذلك التحول المعرفى، بل لم ينتبه أحد لوجود تلك الثورة حتى بعد ما أصبحت حقيقة، فلم يعلن أصحاب علم النفس التجريبي عن صنع الثورة، وإنما تبين لهؤلاء فجأة أنهم يخرجون على قوانين النظرية السلوكية وأعلنوا ذلك على مضض. لقد تم فهم الثورة المعرفية بعدما حدثت[1].

لم يكن علماء النفس يتحدثون عن التمثيل العقلي بل يتحدثون عن « الذاكرة ولا عن الوعي بل يتحدثون عن « انتقاء الانتباه»، ولا عن تنظيم المعنى، بل يتحدثون عن « ملامح دلالية. لكن الأفكار الجديدة اكتسبت قوة دفع، فالمصطلحات النظرية مثل التمثيل العقلي وتنظيم الوعي والحديث عن الوعي على حدود المواقف التجريبية[2]، وبذلك حدث تحول معرفى مهم في مجتمع البحث واتجه بعيدا عن السلوكية إلى نظرية الإدراك أو معالجة المعلومات « هذا التحول يشار إليه بوصفه الثورة المعرفية في علم النفس[3]. فالموضوعات والظواهر المرفوضة لأنها غير علمية أصبحت مرة ثانية الموضوع الحيوي للتفكير والتجريب، والكثير من موضوعات علم النفس في القرن التاسع عشر عند وليم فوندت ووليم جيمس

---

(1) Bernard Baars, The Cognitive Revolution in Psychology ,p. 141.

(2) Ibid., p.142.

(3) Ibid., p.1.

وغيرهما أصبحت موضوعات للبحث مرة أخرى[1].

حدثت الثورة المعرفية في علم النفس وعلم اللغة وتأثر كلاهما بالآخر، فكان لنقد تشومسكي كتاب سكيزً السلوك اللفظي « تأثيره العظيم بين علماء اللغة وعلماء النفس في ذلك الوقت في إيجاد حقل جديد يسمى علم النفس اللغوي، الحقل الذي كانت تتشكل معالمه ومن أبرزها دراسة اللغة بمصاحبة مجهودات علماء النفس وعلماء اللغة في ميدان واحد متماسك. على الرغم من إن علماء النفس اللغوي بدأوا على نحو سلوكي، إلا أنهم انفتحوا على الأفكار الجديدة وتبنوا الفكر المعرفي، تبني علماء النفس اللغوي التعاون بين تشومسكي وجورج ميللر، وأثر جورج ميللر فى الثورة المعرفية بارز جدًا حيث نقل وجهة نظر تشومسكي بين علماء النفس التجريبي[2].

فقد كان ميللر أحد أول العلماء الواعيين بعمل تشومسكي خارج حقل علم اللغة، ففي بداية 1960، اعتنق أفكار تشومسكي فى علم اللغة وساعد في تحول علم النفس اللغوى إلى الخلفية التحويلية عند تشومسكي. لقد حاول ميللر وتلامذته اكتشاف الطرق التي يفسروا بها « الحقيقة النفسية « للتحويلات: لقد افترضوا أن الخطوات التي بواسطتها تولد وتحول الجملة نظريا تكون مدركة أيضًا من قبل الفرد في عملية فهم أو إنتاج الجمل [3].

أوضح تشومسكي وميللر في مقال مشترك أنه من المستحيل أن نكتسب كل الجمل التي نستطيع تكلمها وفهمها عن طريق الاشتراط، فمن الواضح أن تلك الجمل لا يمكن أن تتعلم من قبل الاشتراط أو أي وسائل أخرى مماثلة [4]بدأ علماء النفس اللغوى بعد مناصرة ميللر لتشومسكي – في دراسة الجملة بالكامل، في حين أنهم في السابق كانوا يركزون فقط على الكلمات المفردة والارتباط بين الكلمات، لكن لو فهمنا اللغة من حيث هي سلسلة من القواعد القادرة على توليد الجمل، فإن الجمل هي الوحدات الملائمة للدراسة[5]، وذلك ما عبر عنه فكر تشومسكي.

---

(1) Ibid., p.2.

(2) Ibid., p.187.

(3) Howard Gardner, The Mind's New Science , p.182.

(4) Bernard Baars, The Cognitive Revolution in Psychology, p. 188.

(5) Ibid., p.193.

8 - تعقيب

قامت الثورة في علم اللغة على يد تشومسكي نتيجة التطور الذي يتم داخل العلم نفسه؛ لأن القائمين على أي علم يسعون دومًا إلى الوصول بالعلم إلى مرحلة التفسير، أي: مرحلة صياغة القوانين ووضع النظريات العلمية، وذلك ما حدث داخل علم اللغة؛ حيث وصل علم اللغة إلى مرحلة التفسير، إنها مرحلة النضج الداخلي للعلم.

تحتاج هذه المرحلة إلى عالم ذو عقلية خاصة، عقلية تشربت بمبادئ المرحلة السابقة وشعرت بضرورة الحاجة إلى التطور والتغير؛ وذلك نتيجة لإخفاق نموذج تلك المرحلة عن مسايرة ركب التقدم العلمي من ناحية ومن ناحية، أخرى إخفاقه في مواجهة مشاكله الخاصة، ومن ثم تصبح الثورة ضرورة ملحة، وذلك ما حدث داخل نسق علم اللغة، فهناك ثورة علمية في مختلف الميادين غيرت وجهة النظر السائدة عن الكون وظهرت مفاهيم جديدة. كانت هناك رغبة في الوصول بعلم اللغة إلى مرحلة التفسير، وذلك ما حدث على يد تشومسكي، أصبح هدف علم اللغة بناء نظرية تفسيرية عامة عن اللغة «نظرية النحو الكلي»، بالإضافة إلى ذلك أحيا التراث العقلاني، لأن في الإمكان دراسة العقل داخل ذلك التراث، فالثورة العلمية المعاصرة ما هي إلا نتاج لذلك العقل الإنساني، فمن المستحيل الإبقاء علي الإطار التجريبي الذي ينظر إلى العقل باعتباره صفحة بيضاء ليس له دور سوى تلقي الانطباعات من الخارج، بناء عليه أصبح من الضروري الاهتمام بدراسة ذلك العقل معجزة الإنسان الحقيقية، إذن حدث تغير معرفي فيما يتعلق بعلم اللغة ساعد في أحداث الثورة المعرفية الثانية. هنا يجدر القول أن الثورة المعرفية الأولى والثورة المعرفية الثانية حدثتا نتيجة للاعتراف بوجود العقل وأهميته والسعي إلى دراسته ودراسة بنياته، وذلك على يد كل من ديكارت وتشومسكي.

وعلى حد تعبير تشومسكي فقد كان المكان والزمان مناسبين لهذا التجديد في

هذه الاهتمامات القديمة، أي: دراسة اللغة والإدراك، وكان هناك اهتمام بالغ في ذلك الوقت وفي هذا المكان بمشروع العلوم الموحدة، وهو مدخل طبيعي عام لكل المشكلات التي يمكن تحليلها بالأسلوب العقلاني. لقد ساهم تطور نظرية الكم في شرح معظم الفيزياء وكل الكيمياء، حتى اندمج كلاهما فيما يشبه الكيمياء الواحدة كما يقول ديراك وهيزنبرج، ولعل أحد الخطوات الأخيرة للأمام تمثلت في شرح وتفسير طبيعة الحياة بمفاهيم الكيمياء الحيوية، وقد اتخذت عمليات ربط المستويات المختلفة للعلوم سبلاً متنوعة، فأجزاء كبيرة من علم الأحياء أصبحت مندرجة تحت ما يعرف بالكيمياء الحيوية، في حين أن الفيزياء توسعت وتعقدت لتشمل الكيمياء، وقد أدت هذه الإنجازات إلى محو العديد من المفاهيم الغامضة، وفي نفس الوقت فإنها قدمت أفكارًا جديدة عن طبيعة العالم المادي، كما كانت هذه الفترة فترة من النشاط التقني المحموم خاصة مع انتشار أجهزة الحاسب الآلي الرقمية، وعزز ذلك انتشار الأدوات الفكرية لنظرية المعلومات والعلوم السلوكية والاتصالات. وفي الحقيقة كان هناك عنصر من الانتصار في الثقافة السياسية، والذي ساهم بلا شك في الإحساس بأن العوائق والحواجز المانعة للتقدم تتساقط باستمرار؛ وفي هذا الإطار كان من الطبيعي أن نواجه أكبر تحدي تالي بعد توحيد العمليات العضوية وغير العضوية، ألا وهو العقل الإنساني وتجلياته، فقد كانت التربة خصبة لحدوث تلك الثورة[1].

---

(1) Noam Chomsky," Language and Cognition,". p.16.

الفصل الثالث

نقد السلوكية

1. تمهيد.
2. الإطار الفلسفي النفسي لظهور السلوكية.
3. السلوكية المنهجية(واطسون - سكينر).
4. السلوكية اللغوية(ليونارد بلومفيلد).
5. السلوكية المنطقية(كارناب - همبل).
6. السلوكية التحليلية(جلبرت رايل).
7. تشومسكى ناقداً للسلوكية.
8. عقلانية تشومسكي.
9. تعقيب.

1 - تمهيد

فلسفة اللغة عند تشومسكى هى تصور عقلاني لطبيعة اللغة؛ حيث تبنى المدخل العقلاني رافضًا المدخل التجريبي، موضحًا بذلك الصلة الوثيقة بين العقل واللغة، على حين تجاهل المدخل التجريبي تلك الصلة تمامًا، وعلى هذا النحو فإن التزامه الصريح بالعقلانية يعني أن الحديث عن العقل هو حديث عن المخ في مستوى التجريد، وتفسير المبادئ التي تشكله يدخل في التفسير الناجح والمتبصر للظاهرة اللغوية. وفقًا لذلك الفهم ليست العقلانية مسحة تصوف أو فكرة أنطولوجية مشكوك فيها، بل بالأحرى تقع العقلانية داخل الممارسة المعيارية للعلوم الطبيعية، وفي الواقع العقلانية ليست إلا مدخل للعلوم الطبيعية يطبق على علم اللغة» [1]. وفى ذلك الصدد يقول تشومسكي:» النظرية اللغوية عقلانية طالما أنها تتعلق باكتشاف الحقيقة الفعلية الضمنية للسلوك الفعلى، والاستعمال الملاحظ للغة أو افتراض الاستعدادات للاستجابة، العادات وهكذا، ربما تزودنا بالدليل على طبيعة الحقيقة العقلية، ولكنها لا تؤلف بالتأكيد الموضوع الفعلى لعلم اللغة. [2] واهتم الفلاسفة واللغويون بدراسة الظاهرة اللغوية مركزين فيها على سطحيتها أو علاقة اللغة بالعالم الخارجى مغفلين الدور الذي يقوم به العقل – البنية الادراكية العقلية الداخلية – في تناولها، ولذلك انصب اهتمام تشومسكى على التمثيل الداخلي للغة بالعقل /المخ واقفًا أمام طوفان التجريبية السلوكية معيدًا للعقلانية زهوًا جديدًا، وإن كانت عقلانية مختلفة تحمل لقب العقلانية الجديدة. بذلك وضع تشومسكى نفسه ضمن سلسلة الفلاسفة العقلانيين بدءًا من أفلاطون، وديكارت، وليبنتز في الفلسفة،ومدرسة نحو بور رويال وفون

---

(1) Noam Chomsky, "On the Nature, Use and Acquisition of Language " in Language and Meaning in Cognitive Science " (ed.) by Josefa Toribio and other, New york: Garled and Publising, Inc, 1998, p.1.

(2) Noam Chomsky, " Methodological Preliminaries " In " Readings in the Psychology of Language " (ed.) by Lean Jakobovits, Newjersey: Prentice Hall, Inc, 1965, p. 86.

همبولدت في علم اللغة دامجًا الفلسفة مع علم اللغة مولدًا نوعًا مختلفًا من فلسفة اللغة ينصب اهتمامه على العلاقة بين اللغة والعقل.

يؤكد جون ليونز " أن تشومسكى ومن معه حينما يعزون مبادئ توليدية للغة، فإنهم بذلك يدعمون تصورهم أن اللغة تزودنا بدليل على العقلانية: أي الاعتقاد في وجود العقل. ومن الخطأ تصور أن العقلانية تتكافئ مع المثالية أو الثنائية. ووفقًا لهذا الفهم الخاطئ يستخدم بلومفيلد مصطلح العقلانية. ولكن تشومسكى وأتباعه ليسوا مثاليين وليسوا على نحو ضرورى ثنائيين، ما يؤكدون على أن اكتساب واستعمال اللغة لا يمكن أن يفسر بدون الرجوع إلى المبادئ التي تعد الآن في متناول هدف التفسير الفسيولوجى للكائنات الإنسانية, إنهم لا يسلمون بأن العقل كيان غير فيزيائي متميز عن المخ أو أي جزء آخر من الجسم. من ناحية أخرى يرفضون توسيع الأحكام المنهجية لعلماء النفس السلوكيين الذين يصرون على أن كل شئ يوصف بأنه عقلي نتاج للعمليات الفيزيائية البسيطة «. [1] وذلك يوضح أن العقل ودوره في اكتساب المعرفة عمومًا والبنية اللغوية خصوصًا هو ما يحدد مسمى عقلاني أو تجريبي.

إن لعقلانية تشومسكي جانبين أولاً: جانب سلبى يتمثل في أنها ضد الفيزيائية أو ضد المادية وفى سياق الأفكار السائدة في علم اللغة وعلم النفس أنها ضد السلوكية. والسلوكية ضرب من ضروب المادية تحاول حصر موضوع علم النفس فى السلوك الإنسانى ومظاهره وتفسر كل أنواع السلوك – بما يتضمن الكلام – على أساس تحديد العمليات الفسيولوجية والبيوكيميائية. [2]، ثانيًا: الجانب الإيجابى يتمثل في أهم المشاكل الرئيسية في فلسفة العقل أي ما يتصل باكتساب المعرفة. وعلى نحو أكثر تحديدًا الجزء الذى يلعبه العقل في اكتساب المعرفة ومن ناحية أخرى ما دور خبره الإحساسات فى المعرفة. الفلاسفة الذين أكدوا على دور العقل مثل أفلاطون وديكارت يعرفون على نحو تقليدى بالعقلانيين والذين يصرون على أهمية الخبرة أو المعطى الحسىsense – data يعرفون بالتجريبيين. [3]وسوف

---

(1) John Lyons, Language and Linguistics, Cambridge:Cambridge University Press, 1999, p.242.

(2) Ibid., p.242.

(3) Ibid., p. 244.

يتناول هذا الفصل عرض الجانب السلبى، والإشارة إلى مفهوم عقلانية تشومسكي وسيعرض الفصل التالي الجانب الإيجابي في فلسفته.

وتجدر هنا الاشارة إلى السمات الفارقة للعقلانية عن التجريبية لتكون الصورة حاضرة واضحة أمام عين القارئ ماذا نعنى بأن فيلسوفًا ما عقلاني أو أنه تجريبي؟ يتخذ الفيلسوف مسمى عقلاني أو تجريبي بالنظر إلى موقفه المعرفي.

أولاً: التجريبية Empiricism

هي النظرية التي تعتبر الخبرة، وليس العقل، مصدر المعرفة. وبهذا المعنى فإنها تعارض العقلانية. [1] ومن الممكن دعم أطروحة التجريبية العامة « أن كل معرفة مشتقة من الخبرة» استنادًا إلى: (1) أن كل ما نعرفه يتعلق مباشرة بالخبرة الحسية أو مشتق منها عن طريق وسائل تجريبية صارمة مثل التعلم، التداعي أوالاستدلال الاستقرائي.أو (2) كل ما نعرفه يعتمد على الخبرة الحسية، لذلك كل مواد المعرفة مشتقة مباشرة من الخبرة الحسية.(3) كل ما نعرفه يعتمد على الإدراك الحسي، حتى الاعتقاد بأننا نستطيع أن نعرف بعض الأشياء قبليًا، أي أن امتلاك الخبرة هو شرط قبلي عام للقول بامتلاك مثل هذه المعرفة. [2]

يمكن صياغة النظرية التجريبية في الحدود التالية: [3]

1) يدعم التجريبيون التصور التالي:إن الإحساسات تزود العقل بكل المواد التي تشكل المعرفة حول العالم. يعتقد لوك – على سبيل المثال – أن العقل صفحة بيضاء (خال من الأفكار) عند الميلاد وأن الإحساسات تزوده بكل الأفكار البسيطة التي تعد مكونات ذرية لأفكارنا المعقدة عن العالم، في حين يدعى هيوم أن أكل أفكارنا منسوخة مباشرة من الانطباعات الحسية أو مركبة كلية من الأفكار التي هى نفسها منسوخة.

2) يزعم التجريبيون أن الكائنات الإنسانية ليس لديها ملكات عقلية فطرية

(1) D.W. Hamlyn, " Empiricism ", in " The Encyclopedia of Philosophy ", (ed.) by Paul Edwards, volum one. New york: the MacMillan Company & the Free Press,1989, p.499.

(2) Ibid., p. 501.

(3) Fred D'Agostion, Chomsky's System of Ideas, Oxford: Clarendon Press,1988,p. 96.

تمدنا بأسس لمعالجة المعلومات التي تزودنا بها الإحساسات، خصوصًا،هذه الملكات التي تجعلنا قادرين على فهم الهوية، التشابة، التعاقب في الأفكار المتاحة في الإحساس، على سبيل المثال يؤكد لوك على وجود ملكات أو قوى طبيعية لإدراك الأفكار المتشابهه أو الأفكار المختلفة.

3) يؤكد التجريبيون أنه لا توجد علاقات بين الأفكار أو الإحساسات السابقة على الخبرة في الإدراك الحسي لتسلسلها المنطقي.

4) يدعي التجريبيون أن الأفكار أو الإحساسات تتداعى على نحو كلي باعتبارها نتيجة لخبرة تواصل اقتراناتها في الإحساسات.فعلى سبيل المثال، إن أفكارنا المعقدة عن الجواهر مؤلفة من اتحاد الأفكار البسيطة التي نلاحظ تواجدها باستمرار.

ثانيا: العقلانية Rationalism

تشير إلى وجهات نظر مختلفة عن الأفكار، لعل أبرزها وجهة النظر الفلسفية التي تؤكد على قوة العقل القبلي على فهم الحقائق الجوهرية عن العالم وتتوجه للنظر إلى العلم الطبيعي من حيث هو مشروع قبلي بشكل أساسي. [1]يتبع العقلانيون مثل ديكارت التقليد الذي يرجع إلى أفلاطون حيث يؤكد أن العقل الإنساني عند الميلاد يحتوي فعليًا على بعض الأفكار الفطرية التي تشمل فكرتنا عن وجود الله وأيضًا القضايا والمبادئ (مثل مبدأ عدم التناقض في المنطق). هذا يتضمن في الواقع ان هناك لغة فطرية – لغة التفكير – تلك اللغة التي تعرفها كل الكائنات البشرية عند الولادة. إن مصطلح معرفة غامض في هذا السياق لأنه من الواضح أن الأطفال الصغار لا يمتلكون أي وعي واضح بالمبادئ مثل قانون عدم التناقض ومن ثم ذهب لوك وآخرون إلى رفض فكرة الأفكار الفطرية بالكامل. مما جعل أصحاب مذهب الفطرية يردون على ذلك الرفض بالقول بأن المعرفة تكون حاضرة ضمنيًا – على سبيل المثال – اقترح ليبنتز في « مقالات جديدة في الفهم الإنساني « أن هناك تماثلا بين العقل الإنساني عند الميلاد وقالب من الرخام لم يشكل، قابل لاستقبال أي شكل يختاره المثال. إن نحت مطرقة المثال

(1) Bernard Williams, " Rationalism ," in " the Encyclopedia of Philosophy,p.69.

يشبه المدخلات الحسية: فبدونها لا يوجد فن النحت، وأيضًا دون المدخلات الحسية لا توجد معرفة، لكن مع ذلك إذا كان نحت المطرقة ضرورة فإن النحت الداخلي ضروري أيضًا لتفسير الشكل النهائي. التجريبية الساذجة التي تلجأ إلى المدخل الحسي فقط يجب أن تدرك أنه مدخل غير كافٍ لتفسير معرفة بعض المبادئ الكلية والأساسية في المنطق والرياضيات والبناء الفطري السابق للعقل الإنساني. (1)

يمكن صياغة النظرية العقلانية في الحدود التالية: (2)

1) يدعي العقلانيون أن كل أو بعض أفكارنا فطرية فينا، على الأقل بمعنى أننا نولد ومعنا ميل طبيعي لتأليفها من الخبرة الحسية التي تزودنا فقط بفرصة عمل ذلك، ولكن الخبرة الحسية ليست هي السبب، على سبيل المثال، يدعي ديكارت أن أفكارًا معينة فطرية بهذا المعنى، في حين يعتقد ليبنتز أن الإحساسات تزودنا فقط بالفرصة لإثارة الأفكار الفطرية فينا،و أكثر من ذلك، أننا لا نتعلم شيئا من الخبرة التي لا تعطينا بالفعل فكرة سابقة على الخبرة.

2) يؤكد العقلانيون أن لدينا استعدادات فطرية سابقة على الخبرة التي تربط بعض الأفكار مع الأفكار الأخرى بطرق معينة. يؤكد ديكارت أننا نستنتج أفكارًا معينة من أفكار أخرى ليس عن طريق تعلم فعل ذلك، ولكن عن طريق نوع من الحساب الطبيعى.

إن الأولوية في المذهب التجريبى للخبرة الحسية، إذن دور الحس سابق على ملكات أو قوى العقل،أما الأولوية في العقلانية للعقل، والخبرة الحسية ليست إلا مثير أو منشط لما وجد في العقل من أفكار ويدعم كاتز ذلك قائلًا: « ينكر العقلاني الجدال التجريبى المتمثل في القول أن كل أفكارنا تأتي من الخبرة الحسية، يؤكد بدلاً من ذلك ان الخبرة الحسية تؤدي دور المنشط لمثل هذه النزعات، الاستعدادات، العادات أو القوى الطبيعية، على سبيل المثال، لننتقل من أفكار لسنا على وعى بها كامنه زودنا بها على نحو فطرى إلى أفكار فعلية نكون على وعى

---

(1) J. Cottingham, " Rationalism ", in " The Encyclopedia of Language and Linguistics", (ed.) by R.E. Asher. Volume 7.Oxford: Pergaman Press,p.3442

(2) Fred DeAgostion, Chomskyes System of Ideas,p.98.

بها، إننا في حاجة إلي دور الإحساسات «. [1]

يرى كاتز أيضًا أن أساس الجدال بين العقلانية والتجريبية، لا يتمثل فيما هو متصور أن التجريبية فشلت في عزو مبادئ فطرية للعقل، ولكن بالأحرى أن هذه المبادئ التي تلائم الوضع الفطري عند التجريبيين لاتضع أية قيود جوهرية على الأفكار التي تحدد باعتبارها مكونات الأفكار المعقدة أو لا تعطى أية قيود صورية في بنية التداعيات التي تربط الأفكار معًا لتكون فكرة معقدة. ففي الفرض التجريبى، أن المبادئ الفطرية مجرد وسائل تجميعية تضع عناصر الخبرة معًا, تزود هذه المبادئ الآلات بالارتباطات التأسيسية المتداعية. [2]، وبمعنى آخر المبادئ الفطرية عند التجريبية مبادئ سلبية لا تقوم بدور إيجابي فى اكتساب المعرفة عمومًا، على عكس المذهب العقلاني حيث تمثل المبادئ الفطرية» الأفكار الفطرية» الدور الإيجابي الفعال في اكتساب المعرفة.

لقد اعتنق كينث ستيرن Kenneth Stern في كتابه " اللغة والفلسفة " نفس الرأى، حيث يقول: "لو صح فهمى لتشومسكي، لا يكمن الخلاف في إقرار المذهب التجريبي وجود البني الفطرية أم لا، ولكن بالاحرى يكمن الخلاف في هل هذه البني تملى علينا أنواع الاعتقادات والفروض التى لدينا عن العالم. طبقًا للمذهب التجريبي، حدود هذه الاعتقادات أو الفروض تحدد لنا ذلك عن طريق حدود أجهزتنا الحسية مع تجاهل الاختلافات العقلية الاساسية بين الناس، أما طبقًا لتشومسكي، توجد حدود جوهرية وضعت عن طريق البنية الفطرية للعقل الإنسانى، وإن وجود مثل هذه البنية الفطرية نعرفه عند فحصنا طبيعة اللغة، وحقائق معينة حول لغة الإنسان ونمط اكتسابها، وذلك ممكن تفسيره فقط بافتراض مثل هذه البنية الفطرية،...... على نحو أساسي تبدو الفكرة عند تشومسكى أن الشخص يجب أن يفسر التشابه في اللغات الإنسانية (على سبيل المثال الكليات اللغوية)، بقدر اهتمامه بتفسير وجود الاختلافات بين اللغات الإنسانية، وذلك لا

(1) Jerrold Katz , Philosophy of Language ,.New york: Harper& Raw, Publishers,1966, p.244.

(2) Ibid., pp. 192 – 193.

يمكن أن يفسر وفقًا للمبادئ التجريبية". [1] من ثم يتفق كاتزوستيرن في أن الخلاف بين العقلانية والتجريبية يتمثل في إغفال التجريبية لدور العقل بملكاته الفطرية في اكتساب اللغة خصوصًا والمعرفة عمومًا.

إذن ما يميز موقف تشومسكي العقلاني عن الموقف التجريبي إعطائه العقل دورًا حاسمًا وكبيرًا وفعّالا في اكتساب الأفكار – أكثر حسمًا وأكثر فعالية على أية حال، مما يسمح به التجريبي، فكما يقول كوبر :» لا يوجد شيء عقلاني حول الفطرية، ما يصف العقلانية بذلك زعمها أن أفكارًا أو عناصر المعرفة حاضرة في العقل استنادًا إلى فعاليات يمتلكها العقل, وذلك يؤيد أن العقلانيين يدركون إدراكًا كاملاً أجزاء العقل المميزه باعتبارها عقل أو فهم, وبالمثل فإنه لا يوجد شيء عقلاني في مفهوم الحس الأخلاقي الفطرى الذى بدون أية مساعده من الخبره الحسية العادية يؤلف الخصائص الأخلاقية القابلة لحدسها «. [2] وبذلك يتضح صحة وضع تشومسكي في الإطار العقلاني ولكن ما الأسباب التي جعلته يتبنى العقلانية وينبذ التجريبية؟ يتضح ذلك من خلال عرض السلوكية الممثلة للمذهب التجريبي فى ذلك الوقت.

لقد كانت نقطة الانطلاق الحقيقية فى فكر تشومسكى قيامه بنقد المدرسة السلوكية خصوصًا فى مقالته «مراجعة السلوك اللفظي لسكينر» في 1959، حيث كان تشومسكى تجريبيًا بلومفيليدًا في بداية حياته ثم تحول ضد الاتجاه السلوكى التجريبى في اللغة (سكينر) وضد الاتجاه التجريبى للبنيوية الأمريكية (بلومفيلد). فطالما أن المعلومات اللغوية القابلة للملاحظة المباشرة هي موضوع البحث اللغوى عند السلوكيين عمومًا، مما نتج عنه قصر الوصف اللغوي على الظاهرة اللغوية السطحية، [3] وذلك ما اعترض عليه تشومسكي لأنه يبحث في عمق الظاهرة اللغوية في كيفية تشكل التركيبات اللغوية داخل العقل الإنساني. مما أثار ذلك عبقرية عقليته باحثا عن الأسس العقلانية للظاهرة اللغوية مصرحًا

---

(1) Ibid.,p. 193.

(2) David Cooper, Knowledge of Language ; New York: Humanities press,Inc, 1975 , pp. 22 - 23.

(3) ()Hadumod Bussman, Routledge Dictionary of Language and Linguistics, p. 35.

دعمه للوجه الإبداعى للاستعمال العادي للغة (الإبداعية creativity)، وداعمًا القدرة اللغوية competence linguistic أي أن يكون المتكلم أو المستمع على معرفة بلغته. حيث منحها جل اهتمامه وقدمها على الأداء اللغوى performance linguistic أى الاستخدام الفعلى للغة في مواقف واقعية، ويعتبر الأداء أو الإنجاز اللغوى انعكاسًا مباشرًا للكفاية أو القدرة اللغوية. [1] ولقد أولى تشومسكى عنايته للقدرة على الأداء, ويمثل ذلك جزءًا جوهريًا من عقلانيته، على خلاف الفلاسفة وعلماء اللغة الذين منحوا الأداء أسبقية على القدرة.

(1) Noam Chomsky, Aspect of the Theory of Syntax, Cambridge: Mass Mit Press,1965, p.4.

2 – الإطار الفلسفي النفسي لظهور النزعة السلوكية

لقد اشتقت السلوكية من الحجة التالية – وفقًا لتصور مارك ليفينسكي – طالما أن الخبرات الخاصة بالفرد – سواء العقلية أو النفسية – من المستحيل على الأفراد الآخرين معرفة طبيعتها وما يمتلك منها، لذلك لو استخدم كائن حي في حالة عقلية ما بعض الخبرات، فلن يتأتى لأى كائن آخر معرفة تلك الحالة العقلية، ومن ثم فإن كلمات التصورالعقلي التي تشير إلى الخبرات الداخلية، لن تستطيع تعلم معانيها سواء تمكنا من تطبيقها على نحو صحيح أو خاطئ. لكننا فى الغالب نعرف أن الآخرين غاضبون، متلهفون، وهكذا. بناء على ذلك، طالما أننا لا نعرف عن الآخرين سوى سلوكهم، فيجب أن تشير الكلمات إلي السلوك [1] لا تعني تلك الحجة سوى التركيز على السلوك القابل للملاحظة الخارجية فقط، فإذا طبقنا تلك الحجة فى مجال اللغة – نلاحظ الاهتمام بالمنطوقات الكلامية أو بمعنى آخر السلوك اللفظى الخارجي وإغفال البنية العقلية الكامنة وراء تلك المنطوقات الكلامية؛ وذلك لأن الحالات العقلية والنفسية لدى الفرد من الصعب معرفتها من قبل الآخرين على نحو مباشر، فمن المستحيل معرفة ما يدور داخل أي عقل إنساني دون أن يفصح الإنسان بنفسه عن ذلك، من ثم من الصعب معرفة ما يتم داخل العقل حينما يتكلم، فمن الأفضل لدى السلوكيين التركيز على السلوك بكل أشكاله دون الاهتمام بالعقل وحالاته.

وذلك يضع السلوكية ضمن الصور المتطرفة من المذهب التجريبى، فلقد أثر المذهب التجريبى تأثيرًا كبيرًا فى تطوير علم النفس الحديث، والتوحيد بين

---

(1) Mark Levensky,Human Factual Knowledge, New Jersy: prentice - Hall, Inc, 1971,p.103.

الفيزيائية والحتمية وأصبح المذهب التجريبى المسئول عن وجهة النظر التي يعتنقها علماء النفس، وهى أن المعرفة الإنسانية والسلوك الإنسانى محددان كلية بالبيئة، بالإضافة إلى أنه لا يوجد اختلاف جذري بين الكائنات الإنسانية والحيوانات والآلات. تعني الفيزيائية في ذلك السياق النسق الفلسفي الذي يعيد صياغة كل العبارات التي تدور حول الأفكار والعواطف والإحساسات إلى عبارات تدور حول حالة الجسد والسلوك القابل للملاحظة، وبذلك تدخل ضمن القوانين الفيزيائية. على حين تعنى الحتمية أن كل الأحداث والظواهر الفيزيائية متضمنة الأفعال وقرارات الكائنات الإنسانية التي توصف بأنها نتيجة للاختيار أو حرية الإرادة محكومة بالظواهر والأحداث الخاضعة لقوانين السببية والتأثر، لذلك فإن انطباعنا عن حرية الإرادة وهم بالكلية. إن السلوكية... ما هي إلا رؤية خاصة من الفيزيائية والحتمية. وفى ذلك السياق تختلف وجهة نظر تشومسكي عن الإنسان لأنه يعتقد أننا مُنحنا عددًا من الملكات المحددة (العقل) التي تلعب دورًا حاسمًا فى اكتساب معرفتنا وتجعلنا قادرين على الفعل باعتبارنا قوى حرة غيرمحكومة بالمثيرات الخارجية فى البيئة [1]، وسيتم داخل هذا الفصل عرض تباين الرؤى بين تشومسكي والسلوكية تجاه الإنسان.

وتجدر الإشارة إلى نقد تشومسكي للسلوكية قبل عرض تصوره العقلاني، وفي ذلك الخصوص سوف أعرض للسلوكية بأنواعها والانتقادات التي وجهها تشومسكي إليها، وقبل ذلك نشير إلى الملامح العامة التي تجمع السلوكية، حيث يمكن أن نميز، فيما يرى ليونز، بين السلوكية بوصفها موقفًا عامًا من ناحية، والسلوكية بوصفها نظرية سيكولوجية من ناحية أخرى، فإذا نظرنا إلى السلوكية باعتبارها موقفًا عامًا، وجدنا أنها ترتكز على أربعة مبادئ تكسبها قوتها الخاصة وتضفى عليها سماتها المميزة:.[2]

1 – الارتياب في جميع المصطلحات العقلية مثل « العقل « و« التصور «

(1) John Lyons, Noam Chomsky, New York: Viking Press,1970, p.108.

(2) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة والمنطق: دراسة في فلسفة كواين، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 114.

و« الفكرة « وهلم جرا، ورفض الاستبطان كوسيلة للحصول على بيانات صحيحة في علم النفس، فأفكار المرء وخبرته الشخصية من الأمور الخاصة بالنسبة له، وما سيقوله للآخرين عنها ليس جديرًا بالثقة. وطالما أن الأمر كذلك فالقول بأنه يجوز أن يوجد اتفاق واسع بين عدد من الأشخاص يقررون نتائج استبطانهم مع دليل يستمد من فحص « أفعال « هؤلاء الأشخاص والتي هي بمثابة براهين سلوكية، فهو دليل لا طائل من ورائه، وإذا لم يتفق هذا الدليل الاستبطاني مع دليل من الملاحظة موثوق به إلى حد كبير ومتاح علانية فهو دليل غير ضروري وزائد عن الحاجة. ومن ثم إذا أراد علم النفس أن يكون علمًا طبيعيًا كالفيزياء والكيمياء وغيرهما، فلابد من أن ينهج منهاج العلوم ويحذو حذوها. أي إذا كانت هذه العلوم تبنى نظرياتها على تجارب وملاحظات يمكن إدراكها جهارًا، فلابد من أن يحفل علم النفس بالسلوك العلني، ويصرف النظر عن الحالات العقلية والعمليات الشعورية التي لا سبيل إلى ملاحظتها والتحكم فيها.

2 – الاعتقاد بأنه لا يوجد اختلاف أساسي بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان، وأن التفكير – أو ما يوصف عادة على أنه وعى – يمكن معالجته من حيث المبدأ باعتباره سلوكًا لغويًا شبه صوتى، ويمكن تفسير السلوك اللغوي بالطريقة التي تفسر بها أنواع السلوك الأخرى لدى الإنسان والحيوان، والاعتقاد بعدم وجود اختلافات أساسية في المبادئ التي تحدد السلوك الحيواني والإنسانى يربط علم النفس السلوكي بعلمي الأحياء والحيوان التطوريين، ويدعم محاولات بعض الفلاسفة مثل تشارلز موريس لبناء نظرية عامة في علم الرمز (السيموطيقا) تقبل التطبيق على كل النظم الإشارية الطبيعية.

3 – تقليل دور الموهبة والدوافع أو القدرات الفطرية الأخرى والتوكيد على الجانب الذي يقوم به التعلم في تفسير السلوكية لكيفية اكتساب الكائنات البشرية والحيوانات لأنماط سلوكهم، إذ أنها تؤكد على التربية أكثر من الطبيعة وتعزو أكثر المؤثرات إلى البيئة وأقلها إلى الوراثة. والسلوكية من هذه الناحية هي الحليف الطبيعي للتجريبية في موقفها من العقلانية؛ لأن التجريبية تزعم أن التجربة هي المصدر الأساسي للمعرفة، على حين تؤكد العقلانية على دور العقل في اكتساب المعرفة وتؤكد على قدرة العقل على الاستدلال من المبادئ الأولية.

4 – النزعة الآلية أو الحتمية التي تفهم على أنها إشارة إلى وجهة النظر القائلة بإن كل شيء يحدث في الكون يتحدد بشكل عليّ وفقًا لنفس القوانين الفيزيائية. وصحة هذا الرأي بالنسبة لأفعال الإنسان ليست بأقل من صحته بالنسبة لحركات المادة غير الحية وتحولاتها، وإذا تمسك السلوكي بهذه الوجهة من النظر، فسوف يضع توكيدًا عظيمًا على قابلية التنبؤ باعتبارها المعيار الأساسي لتقويم أيه نظرية في السلوك الإنساني. ولعله من الطبيعي أيضًا أن يستهل تقريره لطريقة السلوك اللغوي بضرورة اهتمامه بالبيئة الخارجية ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، والبحث عن العنصر العلى في إنتاج المنطوقات.

تعريف السلوكية Behaviorism

يقال في بعض الأحيان " السلوك ما تفعله الكائنات الحية "، وعلى هذه الفرضية بُنيت السلوكية وهدفها تشجيع الدراسة العلمية للسلوك. إن السلوكية مذهب للسلوك الإنساني والحيواني[1]، بدون أدنى تفرقة بين سلوك الإنسان والحيوان، فالتجارب المعملية التي تجرى على الحيوانات (فئران – كلاب – حمام...الخ) داخل المختبر التجريبي السلوكي من وجهة نظر السلوكيين يمكن من خلالها التنبؤ والتحكم وضبط السلوك الإنساني، فليس هناك ثم فارق، وهذا الأمر أثار دهشة تشومسكي ودفعه إلي التوكيد على الأختلاف بين الإنسان والحيوان.

ومن أبرز التعريفات للسلوكية تعريف ب. ف سكينر حيث قال: « السلوكية ليست علم سلوك الإنسان، إنها فلسفة هذا العلم «. إن علم النفس عند سكينر هو علم السلوك. ومن ثم، السلوكية فلسفة علم النفس حيث تعني بالبحث في الأوجه الميتافيزيقية، والابستمولوجية، والدلالية لعلم السلوك. وتجدر الإشارة إلى أن علم السلوك « يتألف من النتائج، المبادئ، القوانين والنظريات المحددة خلال دراسة سلوك (الحيوان والإنسان) « [2] لقد جاءت نشأة السلوكية كرد فعل ضد تركيز

---

(1) George Graham, Behaviorism, In, Stanford Encyclopedia of Philosophy, Available On line at:http://setis.library.usud.edu.au/Stanford.archives/fall2002/ entries/behaviorism.

(2) Roger F. Gibson, "Behaviorism, "in Don Garrett and Other(eds), Encyclopedia of Empiricism. Oxford: Green Wood Press, 1997,p.36.

كل من البنيوية structuralism والوظيفية functionalism على الحالات العقلية الذاتية الشخصية وعلم النفس الاستبطاني والمداخل العقلية في دراسة الإنسان. بدلاً من ذلك يؤكد السلوكيون على وجوب تعامل علم النفس مع السلوك القابل للملاحظة. حيث تركز السلوكية على ارتباط كل من المثير الملاحظ والاستجابة الملاحظة [1]. فإذا تناولنا التفسير التالى « لماذا أكل جون حالاً: جون لم يأكل منذ فترة، مما جعله يشعر بالجوع الذى جعله يأكل. أحد طرق فهم هذا النوع من التفسير للسلوك تتمثل فيما يلى الحدث الفيزيائى physical event (الحرمان من الطعام) سبب الحدث العقلي mental event (الشعور بالجوع) والحدث الأخير سبب حدثًا فيزيائيًا آخر (الأكل)، وذلك بلغة التفاعلية العلية الديكارتية طبقًا لوجهة نظر القرن السابع عشر، الأجسام جواهر ممتدة غير مفكرة، بينما العقول جواهر غير ممتدة مفكرة. وهذان الجوهران مختلفان جذريًا يتفاعلان على نحو سببي. علاوة على ذلك، جزء من وجهة النظر السابقة أن الشخص لديه قدرة أو وسيلة لاستبطان محتويات عقله. وتلك التفاعلية العلية الديكارتية مثال للعقلانية. [2] هذا التفسير التفاعلى العلى الديكارتى للسلوك ترفضه السلوكية رفضًا تامًا، حيث إنها تنكر وجود الحالات أو الأحداث العقلية.

لقد نشأت أسئلة تتعلق بهذه المداخل العقلانية،... على سبيل المثال كيف نعتمد على الاستبطان باعتباره منهجًا لاكتساب المعرفة حول الحياة العقلية لدى الفرد، ولو كانت الأحداث العقلية الاستبطانية تجريبية فماذا نجرب؟ علاوة على ذلك طالما أننا لا نستطيع استبطان الاحداث العقلية لدى الأشخاص الآخرين، كيف نبرر تفسيراتنا لسلوكهم؟ عجز العقلانية على تقديم أجابات مرضية لهذه الأسئلة المرتبطة بالافتراضات الميتافيزيقية والابستمولوجية والدلالية لتفسيرات العقلانية للسلوك، قاد العديد من علماء النفس وفلاسفة القرن العشرين لاعتناق رؤية أو أخرى من السلوكية. [3].

---

(1) Robert Sternberg, " In Search of the Mind "London: Harcourt Bracecollege,1998, p.49.

(2) Ibid.,p.36.

(3) Ibid.,p. 37.

يرى مالكولم في كتابه « التفكير والمعرفة « أن ما جعل السلوكية جذابة ومقبولة باعتبارها فلسفة علم النفس، انها رد فعل ضد فلسفة علم نفس آخر، قائم على الاستبطان حيث يقوم الاستبطان على أن كل منا يتعلم من حالته الخاصة مثل الألم، الغضب، الخوف وهكذا. كل منا أولًا يأخذ في ملاحظة ومطابقة خبراته الداخلية وبعد ذلك يظن أو يستنتج أن الآخرين لديهم نفس الخبرات الداخلية. ولقد برهن فتجنشتين على فشل هذا التفكير، حيث إنه يقودنا إلى النتيجة التالية إننا لا نستطيع أن نفهم كل لغة نفسية عن الآخر، إنها صورة من مذهب الأناوحدية so-lipsism، أسوأ من ذلك يقودنا الاستبطان إلى نتيجة أنه من الخطأ مطابقة حالة الخبرة الداخلية عند شخص مع آخر.... ليس ذلك فقط بل حتى في حالة مطابقة حالتي باعتبارها غضبًا " لا تتطابق مع حالة الآخرين باعتبارها غضباً، أيضًا ربما ما أتصوره لدى بأنه غضبًا قد يختلف في كل مرة بالرغم من أننى اعتقد أنه نفس الشيء. فلو كان شيء مختلف كل مرةً إذن يجب ألا اطابقه بأى شيء.... يفترض المذهب الاستبطانى أن كل منا يضع تصورات صحيحة لحالته العقلية. [1]من ثم يدحض مذهب الاستبطان نفسه لأن افتراضه أن كل منا يحصل على فهمه الكامل للتصورات النفسية من الاستبطان يقودنا فعليًا إلى إخفاق مفهوم التمثيل الداخلى [2] (التطابق الداخلي)، وإجمالاً، السلوكية حركة في علم النفس والفلسفة أكدت على مظاهر السلوك الخارجي للفكر ونبذت التجربة الداخلية، وفي بعض الأحيان المظاهر الإجرائية الداخلية أيضًا، وترجع صياغة هذه الحركة باقتراحاتها المنهجية إلى جون واطسون، الذى ابتكر الاسم. أعلن واطسن في 1912 البيان الرسمي للسلوكية متخليًا عن محاولات الاستبطانيين الذين جعلوا موضوع الوعي (الشعور) مادة للبحث التجريبي يركزون عليها بدلاً من المظاهر السلوكية للذكاء. [3]

إن إغفال السلوكية للوعي والاستبطان وجميع مظاهر العقلانية والاهتمام

(1) Norman Malcolm, Thought and Knowledge, I theaca. Ny: Cornell University Press,1977, pp.94 - 95.

(2) Ibid.,p.45.

(3) Larry Hauser, Behaviorism, In Encyclopedia of Philosophy, available online At:http://www.utm.edu/research/ie/b/behavior.htm. 1998.

بالسلوك الملاحظ فقط وإمكانية رصده ما هي إلا محاولة لتجنب مشكلة الثنائية dulism أي ثنائية العقل/ الجسم، تلك الثنائية التي كرست في تاريخ الفكر الفلسفي على يد أفلاطون وأرسطو وديكارت وغيرهم من الفلاسفة، ولا يوجد حل مقنع لتلك المشكلة، فوجد السلوكيون ضالتهم في إمكان تجنب تلك الثنائية عن طريق استبدال " المخ "بـــ " العقل ". فيكون المخ المكان الذي يحدث فيه التفكير. إنه أداة التفكير... إنه الوسيلة التي تدخل المعلومات وتخزنها في صورة بنيات معلوماتية. والحل الأكثر بساطة هو التماثل بين العقل والشخص؛ حيث يصير التفكير الإنسانى هو السلوك الإنساني. وبذلك يتمثل تاريخ الفكر الإنساني في ما يقوله ويفعله الإنسان. إن الرموز الميتافيزيقية من منتجات السلوك اللفظي، والتصورات والعلاقات رموز للبيئة، إن التفكير من أبعاد السلوك. [1] وطبقًا للتصور السلوكي السابق، عالم العقل بعيد اليوم تمامًا عما كان يقوله أفلاطون.

ونخلص مما سبق،إلي أن دعاي السلوكية الأساسية هي:

أولاً:علم النفس هو علم السلوك. وليس علم العقل.

ثانيًا: نستطيع وصف وتفسير السلوك من دون الإشارة إلى أحداث عقلية أو عمليات نفسية داخلية، زد على ذلك أن مصادر السلوك خارجية (في البيئة) وليست داخلية (في العقل).

ثالثًا: في أثناء تطوير النظرية في علم النفس، يجب أن نطور المفاهيم العقلية في أثناء وصف أو تفسير السلوك إلى مصطلحات سلوكية [2]، أى نترجم أو نعيد صياغة ما هو عقلي إلى ما هو سلوكى.

وفيما يلي سأتناول السلوكية المنهجية, والسلوكية اللغوية، والسلوكية المنطقية، والانتقادات التي وجهها تشومسكي للسلوكية هادمًا إياها، مقدمًا لمذهبه العقلي في طبيعة اللغة.

---

(1) B.F. Skinner, About Behaviorism, New York: Alfred a.knopf , 1974,p.117.

(2) George Graham, Behaviorism, p.5.

3 - السلوكية المنهجية
Methodological behaviorism

إن السلوكية المنهجية حركة في علم النفس، حاولت أن تضع علم النفس على أسس علمية تتساوى مع العلوم الطبيعية، وذلك بالإصرار على أنه يجب على علم النفس أن يدرس فقط السلوك الملاحظ بصورة موضوعية، و" القوانين " التي كان من المفروض أن يكتشفها فرع علمي كهذا هي قوانين تربط بين المؤثر الداخلي للكائن العضوي والمؤثر الخارجي للسلوك؛ ولهذا السبب سمي علم النفس السلوكي، وفي بعض الأحيان " علم نفس المثير والاستجابة". وكان تأثير السلوكية قويًا لمدة من الزمن لدرجة أن أنصارها نجحوا في تغيير تعريف علم النفس، وتحول علم النفس من كونه " علم العقل" إلى علم السلوك الإنساني. أطلق اسم " السلوكية المنهجية" على هذا الرأي؛ لأنه اقترح منهجًا في علم النفس من دون أي ادعاء أساسي يتعلق بوجود أو عدم وجود العقل، وادعى السلوكيون المنهجيون أن الاعتراض الحقيقي للثنائية لا يكمن فى تسليمها بموجودات غير موجودة, ولكن بالأحرى لأن هذه الأشياء لا صلة لها بالموضوعية، والادعاءات العلمية، ويجب أن تخضع للتجربة موضوعية،و الادعاءات العلمية الوحيدة عن العقل القابلة للتجربة هي ادعاءات عن السلوك الإنساني.

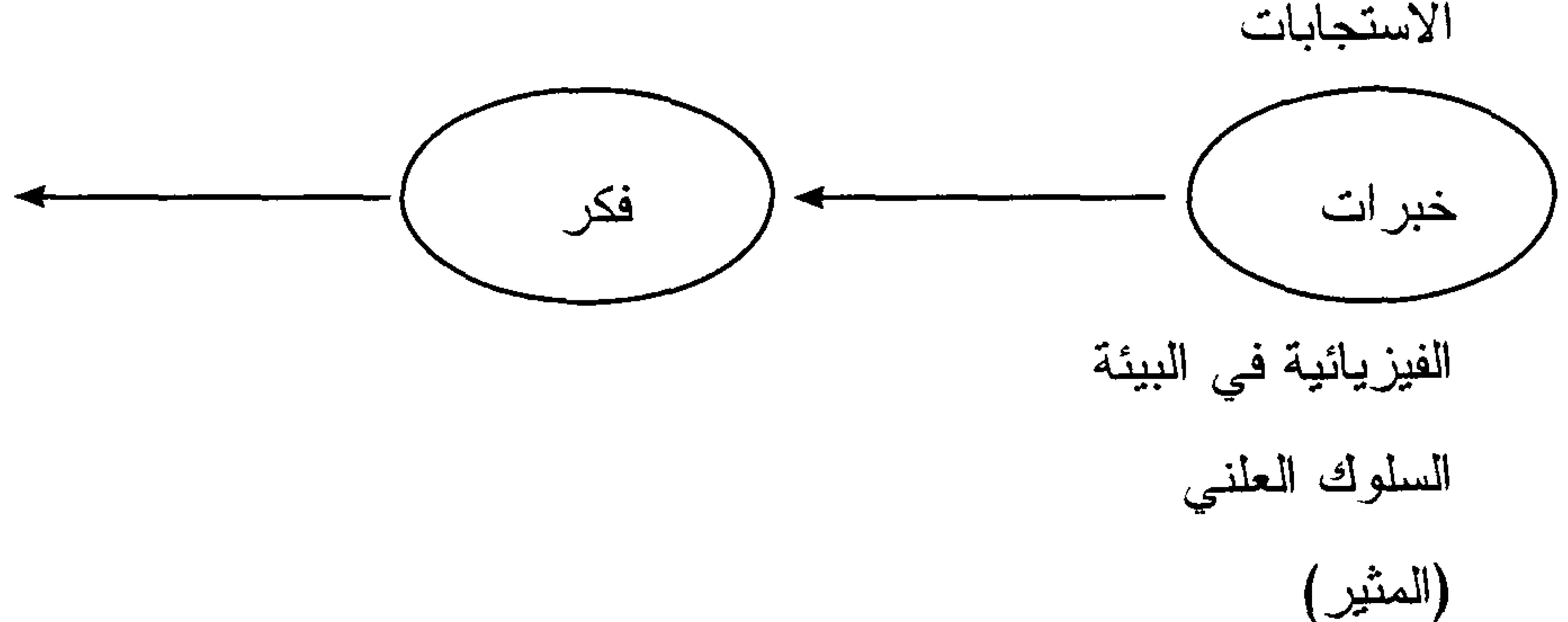
ترى السوكية المنهجية أن الدراسة التجريبية للعقل لا بد من أن تبدأ بالسلوك: وهى لا تدعي شئيا حول طبيعة العقل، ولكنها تعتقد أنه إذا كان هناك عقل أو حالات عقلية داخلية، فإنها لا تقتل الملاحظة العلمية ومن ثم يجب تجاهلها. وهذا يعنى أنها لا تنكر وجود الحالات العقلية التى ربما تكون متاحة لأصحابها فقط، ولكنها تبرهن على أن السلوك يمكن أن يكون تبيانًا كافيًا للحالات العقلية كائنة ما كانت. [1].

---

(1) صلاح إسماعيل، فلسفة العقل: دراسة فى فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.ص23.

ركزت السلوكية المنهجية على الاهتمامات التجريبية وأكدت على أن فهم مصادر السلوك يشير إلى الاثارة (الخبرات) التي تحل محلها المثيرات (الأحداث الفيزيائية في البيئة) والإشارة إلى الفكر الذي يحل محله الإشارة إلى الاستجابات (السلوك العلني الصريح). ومن ثم السلوكية المنهجية هي مذهب تداعي المعاني الفلسفي بدون الاحتكام إلى الأحداث العقلية. (1)

الإثارة / الأحداث



مثير

استجابة

إن السلوكية المنهجية هى الموضوع المسيطر على كتابات جون واطسون، حيث يؤكد أن علم النفس يتعلق بدراسة سلوك الكائنات الحية (الإنسان والحيوان)، ولا يتعلق بالحالات أو الأحداث العقلية أو تبنى التفسير الداخلى للسلوك. (2) ووفقًا لذلك المنحى يقول واطسون «السلوكية، على العكس، تؤمن بأن مادة موضوع علم نفس الإنسان سلوك الوجود الإنسانى، حيث تؤكد السلوكية أن الشعور ليس تصورًا واضحًا وغير قابل للاستعمال «. (3) يوضح أن السلوكية جاءت لتقضي على ثنائية العقل – الجسم، حيث يقدم التصور الديني القول بأن لدى كل فرد روح

---

(1) Geory Graham, Behaviorism,p.8.

(2) Ibid.,P.6.

(3) John Watson, Behaviorism, New York: w.w.Norton&company, Inc. 1930,p.2.

منفصلة ومتميزة عن البدن هذه الروح فعًلا جزء من الكائن الأسمى (الله)، وتقود هذه النظرة القديمة الى البرنامج الفلسفي المسمى بالثنائية. وحاول فوندت – الأب الحقيقي لعلم النفس التجريبي – الذي نشأ وسط نضج مشكلة الثنائية أن يجد طريقة لحل تلك المشكلة، فلم يجد إلا تسوية ضرورية خاصة بعلم النفس، حيث استبدل الشعور بمصطلح الروح، الشعور أيضًا غير قابل للملاحظة تمامًا مثل الروح. وذلك هو الاستبطان.[1] ولقد قدم على نفس الوتيره وليم جيمس تعريفًا لعلم النفس حيث قال: « علم النفس هو وصف وتفسير الحالات الشعورية في حد ذاتها «. كل شخص يجب أن يعرف ما هو « الشعور «, عندما نحس بالأحمر، الإدراك الحسي، التفكير، عندما تفعل شيئا، عندما نهدف لفعل شيء ما، أو عندما نرغب فى فعل شيء ما، كل ذلك يمثل الشعور. [2]

يقول واطسون منتقدًا الاستبطانيين، « كل الاستبطانيين غير منطقيين على حد سواء، بكلمات أخرى، لم يخبرونا ماذا يكون الاستبطان، ولكن بدأوا فقط فى وضع الاشياء وبدأوا في تحليل الشعور»[3]. ومن هنا يؤكد واطسون أن السلوكي يتساءل: لماذا لا نجعل ما نستطيع ملاحظته المجال الحقيقى لعلم النفس؟. الآن ما الذي نستطيع ملاحظته؟ نستطيع أن نلاحظ السلوك – ما يفعله أو يقوله الكائن الحي. دعنا نشير إلى اللحظة: إن ما يقوله يفعله وهذا ما يسلكه – الكلام الصريح أو إلى أنفسنا (التفكير) يكون نوعًا موضوعيًا للسلوك مثل كرة البيسبول. [4]

ولقد صاغ واطسون مصطلح السلوكية في مقالته « علم النفس كما يراه السلوكي» حيث قال: "علم النفس من وجهة نظر السلوكي يعد فرعًا تجريبيًا موضوعيًا خالصًا من العلم الطبيعي. هدفه النظري التنبؤ والتحكم في السلوك ". الصور الاستبطانية ليست جزءًا أساسيًا من مناهجه،......... وتتمثل مجهودات السلوكي في جلب نظام تكاملي للاستجابة الحيوانية مع إدراك أنه لا يوجد خط

---

(1) Ibid., بتصرف p.2.

(2) Ibid.,p.2.

(3) Ibid.,p.2.

(4) Ibid.,p.2.

فاصل بين الإنسان والحيوان". [1] يعتقد واطسون أنه إذا أصبح علم النفس علم طبيعى مثل كل العلوم يجب أن تصبح معلوماته قابلة للملاحظة بين الذاتية. وهكذا لا يوجد مكان في علم السلوك للأحداث العقلية التي يُدعى أنها سبب السلوك والتي يمكن الوصول إليها فقط من خلال الاستبطان. [2]

يؤكد التصور الجذرى للسلوكية عند واطسون علىإمكانية تشكيل السلوك والتحكم فيه، وذلك ما عبر عنه في نصه الشهير قائلاً: « أعطني 12 طفلاً أصحاء، أشكلهم وفى عالمى المحدد أربيهم وسوف أكفل تدريبهم ليصبحوا نماذج متخصصة. ربما أختار دكتور – محامى – فنان – وربما شحاذ وحرامي بغض النظر عن مواهبهم وقدراتهم، وسلالة أجدادهم «. [3]

1) اللغة والتفكير عند واطسون:

وجدير أن أتناول موقف واطسون من اللغة والتفكير حيث يدعى واطسون أن ما يدعوه علماء النفس حتى الآن «التفكير» باختصار ليس شيئًا ولكنه حديث إلى أنفسنا.... وأنه لا يعتقد أبدًا أن عمل الحنجرة في حد ذاتها يلعب دور المسيطر فى التفكير. إن الحنجرة يمكن أن تزول (تنقل) بدون تدمير كامل لقدرة الإنسان على التفكير. إزالة الحنجرة يدمر الكلام الملفوظ (المنطوق الواضح) ولكنه لا يدمر كلام الهمس. [4]

يرى واطسون أن العادات العضوية المتعلمة في الكلام العلني مسئولة عن الكلام الداخلى أو الضمنى (التفكير) [5] وأن التفكير ما هو إلا عملية عضوية يقوم بها عضو من أعضاء الجسم البيولوجى. إن التفكير عملية بيولوجية مادية للجسم. وأحد العوائق في طريق قبول النظرية السلوكية للتفكير الافتراض الضمني أننا نفكر فقط في كلمات. ويعارض ذلك حيث يتساءل: هل نستطيع أن نفكر بدون

---

(1) Roger F. Gibson, "Behaviorism, p.37.

(2) Ibid.,p.37.

(3) Robert Sternberg , In Search of the Human Mind , p.51.

(4) John Watson, Behaviorism, p.237.

(5) Ibid.,p.239.

كلمات؟ يجيب واطسون: نعم أو عن طريق بدائل الكلمة الإشراطية مثل هز الأكتاف أو الاستجابات الجسدية الأخرى. [1]

نحن نفكر ونخطط بكامل الجسم، ولكن تنظيم الكلمة من المحتمل عادة أن يسيطر على التنظيم اليدوي والامعائي [2].يواصل واطسون القول أن احتجاب طبيعة الجهاز العضلي الذي يقوم بعملية التفكير يصعب علينا الوصول إلى ملاحظته والتجريب المباشر عليه. ودائمًا يوجد ميل قوى لنحيط الشيء الذي لا نستطيع أن نراه بالغموض، وبذلك قدمت السلوكية نظرية علم طبيعى حول التفكير الذى جعلته بسيطًا وجزءًا من العمليات البيولوجية يعادل لعب التنس[3]

لقد أكد واطسون التعارض الواضح بين فهمه للتفكير على نحو سلوكي وفهم الفلاسفة والاستبطانيين للتفكير، حيث يتناول العقلانيون (الفلاسفة – الاستبطانيون) التفكير باعتباره شيئًا عقليًا مميزًا غير مادي، وغير ملموس بالفعل، وسريع الزوال [4]. وتأتي معارضة السلوكية لذلك التفكير بسبب نفور السلوكية من الأفكار الميتافيزيقية الدينية الموجودة في علم النفس والتي تتمثل كما أشرت سابقًا فى الثنائية بين الجسم / العقل.

2) ب. ف سكينر:

تسمي على سلوكية ب. ف سكينر السلوكية الجذرية radical behavior-ism وأختار سكينر لقب جذرية radical اعتقادًا منه إلى أنها تذهب إلى عمق السلوكية، ويطلق على السلوكية الجذرية التحليل التجريبي للسلوك؛ حيث تختلف السلوكية الجذرية عن السلوكية النفسية في قبولها معالجة المشاعر وحالات العقل والاستبطان باعتبارها أشياء موجودة وقابلة للمعالجة العلمية، فليس هناك ثنائية ولكن تطابق حالات العقل والمشاعر حالات الجسم أو السلوك.

إن السلوكية عند سكينر ليست علم سلوك الإنسان ولكنها فلسفة هذا العلم.

---

(1) Ibid.,p.250.

(2) *Ibid.,p. 268.*

(3) Ibid.,p. 238.

(4) Ibid.,p.238.

والأسئلة التي تثيرها تتمثل في: هل هناك احتمال في هذا العلم؟ هل يمكن أن تفسر كل مظاهر سلوك الإنسان؟ ما المناهج التي يستخدمها؟ هل قوانينه ملزمة مثل قوانين الفيزياء والبيولوجيا؟ هل يقود إلى التكنولوجيا؟ ما الدور الذي يلعبه في شئون الإنسان. [1] من ثم تعنى السلوكية الجذرية فلسفة علم النفس، ويتمثل الادعاء الرئيسى للسلوكية الجذرية في أن الموضوع الملائم لعلم النفس هو السلوك. [2] لقد فسر سلوك الإنسان والحيوان بلغة المثيرات الفيزيائية الخارجية، الاستجابات وقصص التعلم والتعزيزات، ومن ثم ما يجري داخل مختبرات علم النفس على الحيوان يمكن تطبيقه على سلوك الإنسان.

حاول سكينر في سلوكيته إيجاد نوع من التوازن حيث لم يرفض المصطلحات العقلية والمشاعر تمامًا مثل السلوكية النفسية عند واطسون، لقد أوضح سكينر أن المصطلحات العقلية يمكن أن تعطينا تفسيرات سلوكية، فلقد زعم في كتابه " عن السلوكية " 1976 أننا لا نستطيع أن نحذف علم المصطلحات العقلية ولكن نستطيع أن نترجم تلك المصطلحات العقلية الى سلوك. [3] وفى ذلك الصدد يميز بين نوعين من السلوك، أولاً: السلوك العلنى overt behavior (السلوك الذى يمكن ملاحظته عن طريق الأشخاص)، ثانيًا: السلوك الخفي covert behavior (السلوك الذي يحدث داخل الجلد)، ويجب على علماء النفس دراسة النوعين. وكان رأيه السابق مدهشًا للذين يعتقدون أنه ضد الإدراكات against cognitions. بالرغم من ذلك, يعتقد سكينر أن الإدراكات (السلوك الخفي) صحيحة وتصلح للدراسة العلمية ولكنه ينكر إمكانية الاستفادة منها في تفسير أنواع السلوك الأخرى – خصوصًا – السلوك العلني حيث يرى أن الإدراكات لا تفسر السلوك العلني ولكنها بالأحرى سلوك يحتاج إلى تفسير. [4]

لقد اعتمدت السلوكية الجذرية على الثورة البيولوجية، اعتبر سكينر علم

---

(1) William O'Donohue and Other, The Psychology of B.F. Skinner, California: sage publications, Inc.2001, p.56.

(2) Ibid., p.55.

(3) George Graham , Behaviorism,p.10.

(4) William O'Donohue and other, The Psychology of B.F Skinner, p.56.

النفس فرعاً من الثورة البيولوجية، ويتشابهان معًا فى تأكيدهما على أهمية دور البيئة وتفاعلات الكائن الحي مع البيئة فى فهم الوضع الراهن للكائن الحي، ففى تاريخ الجنس البشري. اختارت البيئة للكائن الحي ملامح بيولوجية معينة، وفي حياته الفردية يتفاعل الكائن الحى باستمرار مع بيئته، لقد زودته البيئة بالمثيرات التي تكون كافية لإثارة الفعل المنعكس وتزوده البيئة بالمثيرات التي تبدل القابلية الاحتمالية للاستجابة. وفي السلوك الإجرائي تزوده البيئة بنتائج السلوك. من ثم يشير كل ذلك إلى أن السلوكية الجذرية ضرب من البيئية enviromentalism. ولا يتضمن ذلك أن الكائن الحي يتفاعل على نحو سلبي مع البيئة، بل إنها علاقة تبادلية وعكسية. فعلى الرغم من أن الكائن الحى يتفاعل مع بيئته، فإن تفاعله يغير البيئة أيضًا. إذن يتأثر الكائن الحي بتغير البيئة التي أحدثها سلوكه، يسلك مرة ثانية، يغير بيئته مرة ثانية وهكذا.تمثل العلاقة بين الكائن الحي وبيئته نموذجًا للتأثير المتبادل [1]

نستطيع تلخيص فلسفة السلوكية الجذرية لدى سكينر على النحو التالي:

1 – علم النفس فرع من علم الأحياء. لقد صرح سكينر أن علم النفس جزء من علم الأحياء، العلم الطبيعي الذي يتميز بمناهجه الناجحة.

2 – أهداف العلم التنبؤ والتحكم.

3 – مادة البحث الملائمة لعلم النفس هى السلوك، أي ما يفعله الكائن الحي. يصرح سكينر قائلا: "السلوك ليس ببساطة نتيجة الأنشطة الأساسية التي يجب أن يتجه البحث إليها، إن السلوك غاية في حد ذاته".

4 – كل السلوك محدد، أي كل السلوك مسبب ولا توجود أشياء مثل حرية الإرداة.

5 – سلوك الحيوانات شاملة البشر، نتيجة للتطور(الانتقاء الطبيعي أو ما يدعوه سكينر احتمالات البقاء) ويحدث التعلم في حياة الكائن نتيجة (ما يدعوه احتمالات التعزيز).

6 – يدرس السلوك عن طريق المتغيرات البيئية التي تسبق السلوك وتلحقه

---

(1) Ibid., p.57.

لكي نميز العلاقات الوظيفية بين هذه المتغيرات البيئية والسلوك.

7 - الإدراكات هي السلوك، بشكل أكثر تحديدًا، السلوك الخفي الذي لا يلاحظ من الآخرين.

8 - يجب على العلماء رفض التفسيرات والأسباب الداخلية، خصوصًا التفسيرات العقلانية، وبدلاً من ذلك النظر إلى البيئة باعتبارها أسباب السلوك.

9 - يجب على العلماء ترجمة العبارات العقلية إلي عبارات عن السلوك، فالحديث عن العبارات غير السلوكية جعله يؤكد أن بعض تلك العبارات يمكن أن تترجم إلي للسلوك، وبعضها ينبذ لأنه غير ضروري أو بلا معنى.

10 - أن ينظر العلماء إلى الأحداث الخاصة باعتبارها فيزيائية، ويعالجوا الحالات والحوادث الذاتية باعتبارها نواتج عرضية من للسلوك[1].

1) العقل عند سكينر:

اتخذ سكينر لنفسه من العقل والتفكير موقفًا محددًا حيث يقول: أبسط حل لمشكلة الثنائية بين الجسم/ العقل أن نطابق العقل مع الشخص، أي أن التفكير الإنساني هو السلوك الإنسانى. [2] فقد أكد العقلانيون مثل ديكارت وباركلى، فرويد وفوندت على وجود عالم خاص من الوجود يسمى العالم العقلى. أكدوا على أن العقل جزء مهم من حياة الكائنات الإنسانية. ولأن الظاهرة العقلية تكون من أهم أسباب السلوك الإنسانى، ادعوا أنه يجب على علم النفس أن يدرس العقل أى تختلف لديهم الظاهرة العقلية عن الظاهرة الفيزيائية، يتمثل ذلك الاختلاف في أن للظاهرة الفيزيائية موقع مكانى وزماني في حين ان الظاهرة العقلية لها موقع زماني فقط [3].

يدحض سكينر زعم العقلانيين بوجود عالم عقلي خاص قائلاً: "إنه لا يوجد عالم عقلى خاص له صفات خاصة، ويسانده فى ذلك مشاكل مرتبطة بمفهوم العقل

(1) I bid.,pp.66 - 68.)

(2) B.F Skinner, About Behaviorism, p.117.

(3) William O'Donohue, The Psychology of B.F. Skinner ,p.60.

على سبيل المثال" أين هذه المشاعر وحالات العقل؟ من أى قدرة صنع العقل؟ الإجابة التقليدية أنه يتمركز في عالم ذو أبعاد غير فيزيائية تسمى عالم عقلي، ولكن ينشأ سؤال آخر: كيف يحدث الحدث العقلي حدثًا فيزيائيا أو يكون معلولا له؟ لو أردنا التنبؤ بما سوف يفعله الشخص، كيف نستطيع اكتشاف العلل العقلية للسلوك، كيف نستطيع إنتاج مشاعر وحالات عقلية تحثه ليسلك بطريقة معينة؟ " [1]

من هنا يؤكد أن حل الثنائية يتمثل – كما سبق القول – في مطابقة العقل مع الشخص، وأن التفكير الإنساني هو السلوك الإنسانى. وتاريخ تفكير الإنسان يتمثل فيما يقوله ويفعله البشر. فالرموز الرياضية منتجات لما يكتب وينطق من السلوك اللفظي والتصورات والعلاقات التي ترمز اليها موجوده في البيئة. التفكير ما هو إلا أبعاد السلوك وليس صورة ذهنية لعملية داخلية وجدت التعبير عنها فى السلوك. [2]إن الادراكات لا تصنع القدرة العقلية الخاصة. ويمثل السلوك الخفى خبرة إحدى حالات الجسد الخاصة به وتسمح للنظام العصبي لأنه المناسب لهذه المهمة..إن الخبرات الداخلية هي عمليات فسيولوجية ليس لها وضع خاص. لأن التطور الثوري لدينا، جزء من نظامنا العصبي الذي يسمح لنا بالاستجابة الخفية.[3]

2) السلوك اللفظي:Verbal behavior

يصل الجنس البشري إلى ذروة إنجازه عندما تبدأ الأعضاء في التعبير عن السلوك اللفظي، وفى ذلك يقول سكينر: "أخذ الجنس البشري الخطوة الحاسمة للأمام عندما كان جهازه العضلى الصوتى تحت التحكم الاجرائى فى انتاج أصوات الكلام فى الواقع، ومن الممكن أن نعزو كل الإنجازات المميزة للجنس البشري إلى التغير الجيني " [4]، من ثم يكون الإنتاج اللفظي – نطق الإنسان اللغة – دليلاً على ذروة نضجه البيولوجي الإنساني.

يفرق سكينر بين مصطلح اللغة ومصطلح السلوك اللفظي، حيث تشير اللغة

---

(1) Ibid.,p.61.

(2) B.F. Skinner, About Behaviorism,pp.117 – 118.

(3) William O'Donohue, The Psychology of B.F Skinner, p.62.

(4) Ibid.,p.117.

إلى ممارسات الجماعة اللغوية مفضلاً ذلك على سلوك كل عضو من أعضائها على حده. [1] في حين يعرف السلوك اللفظي بأنه السلوك المعزز من خلال توسط أشخاص آخرين. [2]يتمثل الاختلاف الفعلي بين اللغة والسلوك اللفظي في كون اللغة وصف لشيء، شيء ما يكتسبه ويمتلكه الشخص، على سبيل المثال: يتحدث علماء النفس عن " اكتساب اللغة " عند الأطفال. الكلمات والجمل التي تتألف منها اللغة ما هي إلا أدوات تستخدم للتعبير عن المعاني، الأفكار، القضايا، العواطف، الاحتياجات وكثير من الأشياء الأخرى في عقل المتكلم، أما الرؤية الأكثر إنتاجية أن السلوك اللفظي هو السلوك. [3]

يتألف السلوك اللفظي عن طريق الجماعة اللفظية التي ينتمي إليها الشخص، إن أصوات الكلام التي تصدر والنتائج (على سبيل المثال، تعزز من الآخرين) تشبه مجموعة السلوك اللفظي الأخرى التي تحدث داخل الجماعة اللفظية، وفيما يتصل بذلك الأنماط المعقدة من الكلام التي يشار إليها على أنها اللغة تألفت مثل الأنواع الأخرى من السلوك، وإمكانيات التعزيز تلعب دورًا مهمًا في تلك العملية. لقد نص سكينر على ذلك بوضوح حيث قال: " يستخرج السلوك اللفظي عند الطفل تحت السلوك الانتقائي من إمكانيات التعزيز" [4]

يشير سكينر في تفسيره للسلوك اللفظي وأنواع السلوك الأخرى على أنه تحليل وظيفي، حيث يطابق بين المتغيرات الخارجية التي فيها يكون السلوك وظيفة وبعبارة أخرى: ما العلاقات بين المتغيرات الخارجية (مثل حضور مثيرات معينة أو حدوث نتائج معينة) والسلوك اللفظي؟ لو حدث تغير في المتغيرات الخارجية يرتبط ذلك بتغير في السلوك اللفظي، "علاقة وظيفية "، حيث يعتبر السلوك وظيفة للمتغيرات الخارجية التي تنتج التغير. [5]

---

(1) B.F Skinner, Verbal Behavior, Englewood Cliffs: Prentice – Hall, Inc., 1957, p.2.

(2) Ibid., p.2.

(3) B. F. Skinner . About Behaviorism, p.88.

(4) Robert Nye, The Legacy of B.F. Skinner, Californiai: Brooks Cole Puplishing Company ,1992, p.43.

(5) Ibid.,pp. 43 - 44.

إذا كان سكينر عرف السلوك اللفظى بأنه السلوك الذي يعزز من خلال توسط الأشخاص الآخرين – الأشخاص الذين تدربوا بوضوح على فعل ذلك، فإن هذا التوسط يحدث فيما أسماه سكينر " كل حدث لفظي"، إن كل دراسة تحتاج إلى وحدة تحليل، ووحدة التحليل شيء يمكن قياسه، فعلى سبيل المثال: وحدة التحليل في لعبة كرة القدم الياردة وعندما ندرس الكلام وحدة تحليله تتمثل في كل حدث لفظي. [1]

نستنتج مما سبق، أن السلوك اللفظى عند سكينر يتم تفسيره فى أطار ثلاث مفاهيم سلوكية أساسية وهى المثير stimulus، الاستجابة response والتعزيز reinforcement، إن المثير يستدعى الاستجابة اللفظية ويتم تكرار تلك الاستجابة اللفظية بناء على تعزيز الجماعة اللفظية لتلك الاستجابة، فإن كان التعزيز ايجابيًا تم التكرار كلما ظهر المثير. على سبيل المثال شخص ما جائع – تظهر الاستجابة اللفظية – أريد خبزًا أو طعامًا.... وهكذا – ويتم تكرار تلك الاستجابة ما دامت عززت على نحو ايجابى، وتتوقف الاستجابة عند العقاب.

ولقد رفض تشومسكى وضع اللغة فى إطار المفاهيم التجريبية السلوكية أعنى مفاهيم سكينر المثير – الاستجابة – التعزيز وذلك بسبب اعتقاده أن اللغة ذات بنية عميقة ضمنية فى العقل تعد الركيزة الاساسية فى التعامل مع اللغة.

---

(1) W. O'Donohue and Other, The Psychology of B.F. Skinner ,p.63.

4 - السلوكية اللغوية

Linguistic behaviorism

يمثلها السلوكي اللغوي ليونارد بلومفيلد L. Bloomfield (1887 - 1949)، تبنى بلومفيلد المدخل السلوكي لتفسير اللغة، بعد تحوله عن التفسير العقلي، ففي عام 1933 أصر على تفسير اللغة في حدود مواقف المثيرات وردود الأفعال الفسيولوجية محذرًا من التفسيرات العقلية [1]، لقد تجنب باسم الموضوعية العلمية scientific objectivity كل اشارة للمقولات المفاهيمية أو العقلية، متبنيًا النظرية السلوكية في علم الدلالة، حيث يري أن المعنى ببساطة علاقة بين المثير والاستجابة اللفظية. ولأن العلم كان لا يزال بعيدًا عن إعطاء تفسير شامل لمعظم المثيرات، من ثم لا نستطيع توقع نتائج مهمة أو ذات مغزى من دراسة المعنى لفترة طويلة، وكان يفضل أن نتجنب تأسيس التحليل النحوي للغة اعتمادًا على الاعتبارات الدلالية [2]. تأكيدًا لذلك أعلن أنه تحول إلى الآلية لأن الحقائق تمثل طبقًا لها بدون افتراض عوامل عقلية، وأصبح لديه اعتقاد بأن « مثل هذه المصطلحات يمكن ترجمتها إلى لغة العلم الطبيعي والبيولوجي القابلة للاستعمال في أي علم » واعتمد في ذلك على نحو كبير على نتائج وايس Weiss، ثم أشار إلى أن الوضعيين المناطقة وصلوا إلى نفس النتيجة على نحو مستقل في مذهبهم الطبيعي، وفي ذلك الصدد يقول:» توصل مناطقة دائرة فينا على نحو مستقل إلى النتيجة التي تتمثل في النزعة الفيزيائية: أي عبارة ذات مغزى علمى تقرر حركة في

---

(1) Erwin Esper, Mentalism and Objectivism in Linguistics, New York: American Elsevier Publishing Company, Inc. 1968, p.197

(2) Robert Gwin and Others. the New Encyclopedia Britannica, Chicago: Incyclopedia Britannica, Inc. 1986. p.53.

المكان والزمان، وذلك يؤكد ما توصل إليه وايس وعلماء آخرون».[1]

وفي ذلك الإطار يقارن بلومفيلد بين النظرية العقلانية والنظرية المادية مبينًا أسباب قبوله للنظرية المادية ورفضه للنظرية العقلانية، ويرفض بلومفيلد النظرية العقلانية لأنها تفترض أن تنوع السلوك الإنسانى ناشئ من تداخل بعض العوامل غير الفيزيائية وهي الروح والإرادة أو العقل الموجودة في كل كيان إنساني، هذه الروح طبقًا للعقلانية تختلف تمامًا عن الأشياء المادية... ولأن العقل أو الإرادة لا يتبعان أنماط تعاقب العالم المادي، فإننا لا نستطيع أن نتنبأ بأفعالهما. أما دعمه للنظرية المادية أو (الآلية) فيأتي من أنها تفترض أن تنوع سلوك الإنسان، شاملاً الكلام، ناشئ فقط من حقيقة أن الجسم الإنسانى نسق معقد جدًا. وأن أفعال الإنسان جزء من تعاقب السبب والنتيجة وذلك يشبه بالضبط ما نلاحظه في دراسة الفيزياء أو الكيمياء، فنحن نستطيع أن نتنبأ بأفعال الشخص (على سبيل المثال، سواء أن مثير معين سوف يقوده للكلام، والكلمات التي سوف ينطقها بالضبط) فقط لو عرفنا البنية الدقيقة لجسمه فى هذه اللحظة، أو لو عرفنا التركيب الدقيق للكائن الحي في بعض مراحله المبكرة – لنقل عند الميلاد أو قبله – وبعد ذلك نسجل كل تغير في هذا الكائن شاملًا ذلك كل مثير يؤثر على الكائن.[2]

وقد تأثر بلومفيلد بالمنهج السلوكي التجريبي الذي جاء به واطسون، والذي كان يطمح إلى إرساء قواعد البحث الموضوعي للسلوك البشري، عن طريق الملاحظة التجريبية، بعيدًا عن الاستبطان ومراقبة الذات. كما تأثر كثيرًا أيضًا بالمنهج الوضعي لرودلف كارناب ومدرسة فينا الذي ازدهر فيما بين العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، والذي يتعارض تمامًا مع المفاهيم العقلية.[3]

لقد تأثر بلومفيلد بهذين المذهبين: الوضعى والتجريبى، وتبنى الموقف الذي يقومان عليه، فقد اعتقد جازمًا أن الآلية هي الأسلوب الأمثل والضروري للخطاب

---

(1) Leonard Bloomfield, “ Language or Ideas “ In The Philosophy of Linguistics, (ed.) by Jerrold. J.Katz, New York: Oxford University Press, 1985, p.19.

(2) Leonard Bloomfield, Language, New York: H.Holt & Co., 1933, p. 32.

(3) فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، الطبعة الأولى 1999، ص.343.

العلمي، فقد حاول أن يجعل دراسة اللغة كدراسة الكيمياء من حيث اتصافها بالعلمية؛ ولذا فقد ركز على الخصائص العلمية التي تبنتها السيكولوجيا السلوكية التي تقرر أن على الحقائق أن تلاحظ وتسجل دون أيه افتراضات إضافية حول عوامل أخرى قد تؤدي دورًا. من ثم اقترح أن الطريقة الملائمة لفهم القضايا اللسانية قوامها جمع عينة من الكلام أو المنطوقات الأصلية، ثم تقطيعها إلى مستويات مختلفة، فونولوجية وصرفية ونحوية، ثم تصنف وتستخلص منها قوانين قواعد اللغة مؤسسة على خصائص توزيعية لوحداتها. [1]

وعلى هذا النحو يؤكد بلومفيلد أن علم اللغة يستعمل المصطلحات القابلة للترجمة إلى لغة العلم الفيزيائي والبيولوجي فقط، وفي ذلك يختلف علم اللغة عن كل الشئون الإنسانية الأخرى، وسوف يتعلم الجنس البشري من الأجيال القادمة أن مثل هذه المصطلحات يمكن استعمالها في أي علم، وأن مصطلحات الوعي، العقل، الإدراك الحسي، الأفكار، وهكذا هى مصطلحات العقلانية والروحية animism وسوف تنبذ، كما نبذنا علم الفلك البطليموسى، وسوف يحل محلها في جزء صغير مصطلحات الفسيولوجيا وفي الجزء الأعظم مصطلحات علم اللغة.[2]

ومما سبق نستنتج أن الكلام يفسره بلومفيلد فى الإطار السلوكي المتمثل في المثير والاستجابة ويقدم مثالاً على ذلك فى كتابه « اللغة « لنفترض أن جاك وجيل يسيران أسفل ممر ضيق، جيل جائعة وشاهدت تفاحة على الشجرة،. وعملت ضوضاء بحنجرتها ولسانها وشفتيها، وثب جاك على السياج وتسلق الشجرة وأخذ التفاحة وأحضرها إلى جيل وأعطها لها في يدها، فأكلت جيل التفاحة. [3]

يحلل بلومفيلد السلوك الكلامي في هذا المثال على النحو التالى:

في إطار دراسة اللغة سوف نميز بين فعل الكلام والحوادث الأخرى التي يجب أن ندعوها أحداثًا عملية، وبذلك يتكون هذا الحادث من ثلاثة أجزاء وفقًا للزمن.

---

(1) المرجع السابق، 343

(2) Leonard Bloomfield, " Language or Ideas " ,p.19.

(3) Leonard Bloom Field,Language,p.22.

A. الأحداث العملية السابقة على فعل الكلام.

B. الكلام.

C. الأحداث العملية التي تتبع فعل الكلام. [1]

(1) الأحداث العملية السابقة على فعل الكلام (A) تتعلق بالمتكلم جيل، كانت جائعة ولهذا بعض عضلاتها كانت تنقبض وبعض السوائل كانت موجودة خاصة في معدتها، ربما كانت عطشانة أيضا: لسانها وزورها كانا جافين، نفذ الضوء المنعكس من التفاحة الحمراء إلى عيناها، رأت جاك إلى جوارها، تعاملاتها السابقة مع جاك يجب أن تدخل الآن في الصورة. دعنا نفترض أنها تنسجم معه في علاقة عادية مثل أخ وأخت أو زوج وزوجة، كل هذه الأحداث التي تسبق كلام جيل وتتعلق بها نسميها المثير للمتكلم speaker›s stimulus [2].

(2) الأحداث العملية التي تتبع فعل الكلام: (C) تتعلق بالمستمع جاك والتي تتألف من إحضاره التفاحة وتقديمها لجيل، ونسميها استجابة المستمع [3].

ويتساءل بلومفيلد ما دور نطق الكلام (B) في هذه القصة؟

لو أن جيل بمفردها، وكانت جائعة وعطشانة وشاهدت نفس التفاحة. ولو كانت قوية على نحو كاف ولديها المهارة لتجتاز السياج وتتسلق الشجرة، فمن الممكن أن تمسك بالتفاحة وتأكلها. لو أنها لا تستطيع، سوف تبقى جائعة، لو أن حيوانًا جائعًا وغير متكلم، وفي نفس مكان جيل بمفرده وشاهد وشم الطعام، سوف يتجه نحو الطعام، فنجاح الحيوان في الحصول على الطعام يعتمد على قوته ومهارته، تمثل حالة الجوع ومشاهدة أو شم الطعام المثير stimulus ونرمز لها بالرمز s والتحرك نحو الطعام هو رد الفعل reaction (نرمز لها بالرمز R).

فعل جيل الوحيدة والحيوان غير المتكلم نعبر عنه بالطريقة التالية فقط:

---

(1) Ibid.,p. 22.

(2) Ibid.,p.22.

(3) Ibid.,p. 23.

S ← R

مثير (مشاهدة الطعام) رد الفعل (التحرك نحو الطعام)

ونستطيع القول إن اللغة بالنسبة لجيل كانت بديًلا عن حركتها أو رد فعلها نحو الطعام عندما وجد جاك معها، وفى ضوء ذلك نحلل الحدث الكلامي على النحو التالي:

(B1) المتكلم جيل تحرك أحبالها الصوتية ولسانها، وهكذا بطريقة تنفذ الهواء إلى صورة أمواج صوتية، حركات المتكلم تعد رد فعل للمثير، وبدلا من القيام برد فعل عملي، أعني البدء فعليًا بالحصول على التفاحة، قامت بهذه الحركات الصوتية كرد فعل كلاميspeech reaction، والذى سنرمز له بالحرف (r) باختصار، جيل كشخص متكلم ليس لها أسلوب واحد بل أسلوبان لرد الفعل

على المثير الأسلوب الأول:

S ← R رد فعل عملى

مثير (مشاهدة الطعام) رد فعل عملى (التحرك نحو الطعام)

S ← r رد فعل بديل لغوى

مثير (مشاهدة الطعام) (linguistic substitute reaction)

(B2) تتحول الأمواج الصوتية في الهواء فى فم جيل لحركة صوتية مشابهة.

(B3) تنفذ الأمواج الصوتية إلى طبلة أذن جاك فيستجيب لها جاك: سمع جاك الكلام. أخذ فعل السمع على أنه مثير بالنسبة لجاك، فنراه يجرى ويمسك التفاحة ويضعها فى قبضة جيل، ولو أن ملاحظًا من كوكب آخر، لا يعرف أنه يوجد شيء مثل الكلام الإنسانى، سوف يستنتج بطريقة ما أنه في جسم جاك عضو حسي أخبره بأن جيل جائعة، فرأى التفاحة واحضرها.

باختصار جيل، كشخص متكلم رد فعلها له نوعان من المثيرات:

1 - مثيرات عملية من نوع S (الجوع ورؤية الطعام).

2 – مثيرات كلامية بديلة r.

من الواضح أنه يوجد ارتباط بين الحركات الصوتية لجيل B1 وسمع جاك B3. لو مثلنا هذا الارتباط عن طريق خط بياني نستطيع أن نرمز لأسلوبين للاستجابة لدى الإنسان على المثير على النحو التالي:

مثير (مشاهده الطعام) S ←———— R رد فعل عملى

↓

مثير بديل لغوي

مثير(مشاهدة الطعام) S ← S r ← R:رد فعل عملي

نخلص مما سبق إلى أن السلوكية اللغوية ينصب اهتمامها على الكلام الخارجي المنطوق الملاحظ وتفسره في حدود المصطلحات السلوكية النفسية المثير والاستجابة مغفلة تمامًا دور الجانب العقلى فى إنتاج اللغة وتفسيرها، فحدوث الكلام والسلسلة الكاملة للأحداث العملية قبله وبعده في المثال السابق تعتمد كلية على تاريخ حياة المتكلم والمستمع الكامل. [1]

إن اللغة عند بلومفيلد ما هى إلا انسجام بين أصوات ومعانيها، إن الكلام الإنساني يختلف عن الأفعال الإشارية المتشابهة للحيوانات حتى تلك التي تستعمل الصوت تختلف اختلافًا كبيرًا عن الكلام الإنسانى. إن الببغاء يمكن أن تصنع أنواعًا عديدة من الضوضاء، ولكن لا تعطى استجابات مختلفة على الأصوات المختلفة، أما الإنسان ينطق أنواعًا عديدة من الضوضاء، الصوتية ويستعملها بتنوع، وفقًا لأنواع معينة من المثيرات ينتج الإنسان أصواتًا معينة ويواصل سماع نفس هذه الأصوات ليعطي الاستجابة الملائمة.... يقول بلومفيلد: « في الكلام الإنسانى أصوات مختلفة لها معانى مختلفة ولكي تدرس التناسق بين الأصوات المعينة والمعاني المعينة، يجب أن تدرس اللغة»[2].

---

(1) Ibid.,p. 22.

(2) Ibid.,p. 27.

مما هو جدير بالذكر أن تبني بلومفيلد للاتجاه السلوكي التجريبي جعله يقاوم التقسيمات الثنائية مثل تقسيم فون هبمولت (1767 – 1835) للغة إلى الصورة الداخلية والصورة الخارجية وثنائية سوسير اللغة / الكلام، التي لعبت دورًا مهمًا في اللسانيات التقليدية في أوربا. مثل هذه التقسيمات كان بلومفيلد يصفها بأنها نظريات عقلية مسرفة وبالية. وكان يرى أن التركيز ينبغي أن ينصب على السلوك الكلامي في شكل المنطوقات الموثوق بها، أى الجمل الصحيحة نحويًا من قبل متكلمي اللغة المحليين، ومن هنا فقد كان الشعار الذى رفعه السلوكيون هو « أقبل أى شيء يقوله المتكلم المحلي بلغته، ولا تقبل أى شيء يقوله عنها «. وهذا يعني بوضوح أنهم قد نفوا وجود الخطأ في اللغة، فكل ما ينطق به الإنسان صحيح نحويًا، وهذا ما عبر عنه مبدأ الشيوع في الاستعمال، الذي تنكر بموجبه السلوكيون لمفهوم القاعدة النحوية بشكل متعمد، تفاديًا منهم لأية نزعة معيارية أو فرضية تعترض طريق الوصف الموضوعي. [1]

---

(1) فوزي حسن الشايب، محاضرات فى اللسانيات ص 344.

5 - السلوكية المنطقية:

Logical Behaviorism

ترجع جذورها إلى الحركة الفلسفية المعروفة بالوضعية المنطقية، لقد اقترحت الوضعية المنطقية أن معنى الجمل المستخدم في العلم يكون مفهومًا بلغة الملاحظات أو الشروط (الحالات) التجريبية التي نتحقق من صدقها، وعرف هذا المذهب الوضعي بالتحقق، [1] ومما هو جدير بالذكر/ أنها تسمى أحيانًا بالصورية أو اللغة المثالية، وهي بذلك ضرب من الفلسفة التحليلية التي تسعى لإخضاع اللغة العلمية للمنحى التجريبي والمنطقي[2].

إذن تعني السلوكية المنطقية أن الجمل المتعلقة بما هو عقلي مكافئة في المعنى للجمل المتعلقة بالسلوك أو الاستعدادات السلوكية [3]، لقد أراد السلوكيون المناطقة حل الطبيعة الميتافيزيقية للعقل، وإيضاح أن المصطلحات التي وصلنا إليها عن طريق الاستبطان مثل المشاعر، الخبرة الحسية، الإرادة، كلها مصطلحات غير ذات معنى، وفى استطاعتنا اختصارها لجمل قابلة للملاحظة العامة مثل الأحداث والعمليات الفيزيائية. [4] وفى ذلك الإطار سعى السلوكيون المناطقة إلى تأليف نظرية دلالية عن العقل semantic theory of mind تفسر معنى المصطلحات العقلية عن طريق قابليتها للتحقق، لأن المفاهيم غير المادية ليست قابلة للملاحظة

---

(1) Roger F. Gibson, "Behaviorism," p.40.

(2) Laurence Smith,Behaviorism and Logical Positivism,California: Stanford University, 1986 ,p. 59.

(3) صلاح اسماعيل،" فلسفة العقل عند فتجنشتين"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (56) العدد (4)، أكتوبر 1996، ص88.

(4) Logical Behaviorism, Available online At:http://www.Tomchance.org.uk/ research/ philosophy/mind/behaviorism. P. 2.

العامة وليست قابلة للتحقق، من ثم استنتج السلوكيون وجوب تعلق علم النفس وفلسفة العقل بالمادة فقط مثل النظرية الفيزيائية. [1]

من أجل ذلك الغرض، رأت السلوكية المنطقية أن أي مصطلح عقلي يجب أن يفهم في حدود الأحداث أو العمليات الفيزيائية القابلة للملاحظة، على سبيل المثال: لو قلت لدي ألم أسنان، ينبغي أن يكون الطبيب قادرًا على ملاحظة المشكلة في لثتي، أي انتقال إشارة معلومات هذه المشكلة خلال النظام العصبى المركزي للعقل، وحدوث تغيرات صفاتية في البنية الكيميائية للثتي على نحو واضح، لو أن هذه الأحداث العقلية الخاصة والعمليات كانت ملاحظة, لأصبح الطبيب قادرًا على أن يقول لديه ألم أسنان»[2]

ومن الجدير بالذكر أن الأطروحة التي أستندت عليها السلوكية المنطقية هي النزعة الفيزيائية التي تؤكد أن اللغة الفيزيائية تمثل لغة كلية للعلم، وذلك يمكننا من القول: إن كل لغة لأى فرع يدخل في نطاق العلم تستطيع أن تترجم على نحو يكافئ لغة الفيزياء، ينتج عن ذلك منطقيًا أن العلم نسق متكامل لا يوجد بداخله ميادين موضوعية متعددة، ويتبع ذلك أنه لا توجد ثغرة واسعة بين العلوم الطبيعية والعلوم النفسية، هذه هي أطروحة وحدة العلم.[3]

تتمثل الأطروحة الأولى للفيزيائية في وحدة لغة العلم، أى أن هناك معيارًا علميًا للمعنى بلغة القابلية للتثبت بين الذاتية، أى وحدة أساس التثبت من كل العبارات الإدراكية الواقعية للعلوم الطبيعية والاجتماعية، ونتيجة طبيعية لهذه الأطروحة نخلص إلى تأكيد وحدة المناهج العلمية.[4] وتؤكد هذه الأطروحة على مبدأ أولية الملاحظة الحسية في قياس صحة عبارات المعرفة التجريبية، أن العبارات التي تدور حول موضوعات وأحداث العالم الخارجى – التي تصنف إلى فيزيائية، كيميائية، نفسية، اجتماعية وتاريخية –تثبت (أو لا تثبت) عمومًا

(1) Ibid., p.3.
(2) Ibid.,p. 3.
(3) Ibid., p.6.
(4) Rudolf Carnap, The Logical Syntax of Language, New York: Humanities Press Inc, 1951, p.320.

عن طريق وسائل الإدراك الحسى، ومن ثم فإن معطيات الملاحظة الحسية يمكن أن تزودنا بالطبع بدليل إثبات أو عدم إثبات – بالطبع – فقط لو أن مبادئ معينة للتفسير والإثبات مفترضة مقدمًا. [1] تتمثل الأطروحة الثانية للفيزيائية في أن كل حقائق وقوانين العلوم الطبيعية والاجتماعية تشتق – على الأقل من حيث المبدأ – من الافتراضات النظرية للفيزياء [2].

لقد لقب كارل همبل الصياغة الدقيقة المبتكرة لأطروحة الفيزيائية بالسلوكية المنطقية، وعلى نحو مماثل لكارناب يؤكد همبل أن الفيزيائية لا يوجد فيها مكان للقيود التي يخضع لها موضوع علم النفس. « تدعى السلوكية المنطقية أنه لا العقول، ولا المشاعر، ولا مركبات النقص، ولا الأفعال الإرادية لها وجود، وإننا حتى لا نستطيع القول أن وجودها مشكوك فيه على الأقل «، [3] فقد كان الغرض المذهل لدى همبل تأكيده على وصف الفيزيائية بأنها « نظرية منطقية عن القضايا العلمية لعلم النفس «. [4]ويصور هذا الاتجاه بقوله: كل العبارات النفسية ذات المعنى.

يعتقد السلوكيون المناطقة إذن أن الجمل التي تشتمل على مصطلحات عقلية تكون ذات معنى تجريبي، لو، ولو فقط، رادفت سلسلة من الجمل القابلة للتحقق على نحو بين ذاتي، وتكون خالية من المصطلحات العقلية، على سبيل المثال: جملة « جون جائع « تكون ذات معنى تجريبي، لو، ولو فقط، رادفت سلسلة جمل تحتوي على القول، « جون يأكل». ومن ثم، من حيث المبدأ، ويمكن حذف الجمل المشتملة على مصطلحات عقلية مفضلين عليها السلاسل التي ترادفها. [5]

يقول كارل همبل:كل العبارات النفسية ذات المعنى – أعنى التى تكون قابلة للتحقق ومن حيث المبدأ – تقبل الترجمة إلي قضايا لا تتضمن مفاهيم نفسية وإنما تتضمن مفاهيم فيزيائية فقط. وقضايا علم النفس هى إذن قضايا فيزيائية. وعلم

---

(1) Paul Schilpp,(ed.) The Philosophy of Rudolf Carnap, London: Cambridge University Press, 1963, p.227.

(2) Ibid.,p. 227.

(3) Ibid.,p.227.

(4) Laurence Smith, Behaviorism and Logical Positivism, p.59.

(5) Roger F. Gibson, “Behaviorism,”p.40.

النفس هو جزء مكمل للفيزياء.[1]

لقد سعى كارناب إلى وضع النظريات الدلالية للمصطلحات العقلية اعتمادًا على معيار التحقق للمعنى، حيث يأمل فى تجسيد المصطلحات العقلية فى حديث علمى. [2] فلقد سعى فى فلسفته إلى بناء لغة مثالية رافضًا اللغات الطبيعية؛ وذلك لعدم دقتها ولتميز اللغة المثالية بعدم الغموض والدقة، لقد كانت الخطوة الأولى عند كارناب نحو بناء هذه اللغة المثالية محاولته تطوير نسق البنية المنطقية باعتباره إضافة للبنية النحوية، وذلك في كتابه الأكثر تأثيرًا، « التركيب المنطقى للغة «، فقد حاول رسم الأشكال الأساسية للغة المثالية فصاغها في مصطلحات تركيبية وزودها بالاصطلاحات اللغوية التي اعتقد أنها مرغوبة فلسفيًا ومفقودة في اللغة الطبيعية. [3]

لقد استنبط كارناب الأفكار الضمنية لكتابة «التركيب المنطقى للغة»، من برنامج الرياضي هيلبرت، الذى كان يمثل أعظم الأبحاث العقلية تأثيرًا، حيث نظر لعلم الرياضيات على أنه نظرية عامة للبنية الصورية للغة الرياضيات، وكان ذلك موازيًا تقريبًا لفكرة البنية المنطقية عند كارناب باعتبارها نظرية عامة للبنية الصورية للحديث العلمي والواقعي. [4] يتمثل الهدف الجوهري لدى كارناب في إثبات أن اللغة المثالية للعلم التجريبي والحديث الواقعى العادي خالية من الجمل المعبرة عن التأملات الميتافيزيقية التي تشغل على نحو أساسي نفس المكان المركزي في تصوره للبنية المنطقية. [5]

لقد كانت الأطروحة الأساسية فى المذهب الطبيعى طبقًا لــ كارناب « أن كل جملة في علم النفس ربما نصوغها فى لغة فيزيائية»، وذلك عندما نضعها في أسلوب مادي للكلام». وتتمثل الاطروحة على النحو التالي: « كل جمل علم النفس تصف أحداثًا فيزيائية، أعنى السلوك الطبيعى للبشر والحيوانات الأخرى». يقول كارناب: « أطروحتنا تقرر أن التعريف ربما يؤلف لكل تصور نفسي التعبير الذى

(1) صلاح إسماعيل، فلسفة العقل: دراسة فى فلسفة جون سيرل. ص23.

(2) Roger F. Gibson, "Behaviorism," p 40.

(3) Jerrold Katz , Philosophy of Language, p.23.

(4) Ibid.,p.27.

(5) Ibid.,p.27.

ربما يكون مشتقًا من التصورات الطبيعية على نحو مباشر أو غير مباشر «. بالإضافة إلى ذلك القوانين النفسية، أيضًا يمكن ترجمتها إلى لغة فيزيائية، على سبيل المثال: إلى لغة تصف الحالات والأحداث الفيزيائية، وعلاوة على ذلك، فهى فرع رئيس من القوانين الفيزيائية. (1)

المبدأ الفلسفي الخالص وراء هذه الأطروحة يسمى مبدأ التحقق" verification: principle إن معنى العبارة هو منهج التحقق منها «. وكما وضعه كارناب « لا تقول العبارة أكثر مما تقوله القابلية لاختبارها testable " وهكذا العبارة التي أضعها حول شخص، على سبيل المثال: هو قلق أو غضبان، لا تعنى أكثر من أنه يسلك بمثل هذا الاسلوب، إنه سوف يستجيب بمثل هذا الأسلوب لمثيرات معينة، أي أن جهازه العصبي المركزي في مثل هذه الحالة.....الخ. (2)

يؤكد كارناب بنًاء على ذلك أنه يجب علينا ألا ندعي أنه توجد وراء الحقائق الفيزيائية حالة داخلية من الغضب أو القلق تختلف كليةً عن السلوك الفعلى والحالة الفسيولوجية. (3) فقولنا إن هناك حالة داخلية وأن الشخص غضبان حولناها إلى « جملة ميتافيزيقية زائفة. العبارة عند كارناب لا تخبرنا بأى شيء إذا لم نفهمها نحن وأننا لن نفهمها إذا لم نكن نعرف الظاهرة القابلة للملاحظة التي سوف نتحقق منها. (4) إذن التصورات النفسية يجب أن تخضع للملاحظة الخارجية بحيث نستطيع التحقق منها. من ثم يؤكد كارناب أن لكل جملة P في اللغة النفسية يجب أن توجد جملة Q فى اللغة الفيزيائية وبذلك P وQ يمكن استنتاج إحداهما من الأخرى منطقيًا. (5) يتضح من ذلك أن المذهب الفيزيائي يبنى على أساس توحيد العلم، فقد تحول انتباه الوضعيين المناطقة إلى علم النفس، لأنه يستلزم مطلب أساسي – من وجهة نظرهم – يتمثل في أن كل جمل علم النفس قابلة لأن تصاغ

(1) Norman Malcolm, Thought and Knowledge, p.86.

(2) Ibid., p. 89.

(3) Ibid., p.90.

(4) Ibid., p90.

(5) Laurence Smith, Behaviorism and Logical Positivism,p.59.

في لغة فيزيائية [1].

من الجدير بالذكر بعد عرض السلوكية الجذرية عند سكينر والسلوكية المنطقية عند كارناب وهمبل، التأكيد على أنه توجد نقطة مهمة تختلف فيها سلوكية سكينر عن فيزيائية حلقة فينا. وتتمثل تلك النقطة في التساؤل التالي: هل وضعت السلوكية المنطقية التصورات النفسية فى حدود مصطلحات الفسيولوجيا الداخلية للكائن الحى أم فى حدود مصطلحات السلوك الخارجى؟[2] وينصب هذا السؤال أيضًا على سلوكية سكينر.

يضع كل من كارناب وهمبل التصورات النفسية في مصطلحات الفسيولوجيا الداخلية للكائن الحي والسلوك الخارجي أيضًا، ويظهر ذلك بوضوح حين يناقش كارناب الجملة التي تقول "شخص معين هائج " excited. يرى كارناب أن هذه الجملة لها نفس محتوى الجملة التي تؤكد أن هذا الشخص جهازه العصبي المركزي « فى حالة معينة، وأن هذا الشخص يأتى بحركات هائجة « إذن التحليل البسيط للجملة النفسية يشير إلى الفسيولوجيا الداخلية والسلوك الخارجى معا. [3] على نحو أكثر وضوحًا، تظهر هذه الإشارة المختلطة في بعض ملاحظات كارل همبل، النصير الأول للفيزيائية، ففي مناقشته للجملة النفسية « بول يعانى من ألم أسنان».

يتسأل همبل « ما هو المحتوى المحدد لهذه القضية؟ أو لنقل: ما هى الحوادث التي يمكن أن نتحقق منها؟ « واستمر يقول بعض الجمل الاختبارية التي تصف هذه الحوادث:

(1) بول يبكي ويومئ.

(2) عند السؤال « ما الأمر «؟ يعبر بول بالكلمات « لدي آلم في الأسنان «.

(3) الفحص التقريبى يكشف عن تلف السنة مع وصول التلف إلى جذرها.

(4) ضغط الدم عند بول، عمليات الهضم، سرعة ردود أفعاله تبين لنا مثل

---

(1) Laurence Smith, Behaviorism and Logical Positivism,p.59.

(2) Norman Malcolm, Thought and Knowledge,pp. 90 - 91.

(3) Ibid. ,p.91.

هذه التغيرات.

(5) مثل هذه العمليات تحدث في الجهاز العصبى المركزي عند بول.

يؤكد همبل، بذلك المنحى، أن القضية حول الألم عند بول « تعبير موجز بسيط على حقيقة أن كل الجمل الاختبارية متحققة «. إنه دليل على الزعم بأن محتوى الجملة حول ألم بول خليط كبير جدًا، يشتمل الإشارة إلى السلوك الخارجى مثل البكاء، الايماءة، النطق، وأيضًا الظاهرة الفسيولوجية مثل ضغط الدم، عمليات الهضم وحتى أحداث الجهاز العصبي المركزي. [1]أما السلوكية عند سكينر، تفسر المصطلحات النفسية في حدود السلوك الخارجي والحوادث الخارجية فقط مفضلاً إياها على الفسيولوجيا الداخلية، [2] في نمط المثير – الاستجابة.

---

(1) Ibid., p91.

(2) Ibid. ,p93.

6 - السلوكية التحليلية

Analytic Behaviorism

يحاول رايل (1900 – 1970 Ryle) جاهدًا في كتاباته تقويض الثنائية بين الجسم والعقل، مؤكدًا خطأ تلك الثنائية، ففى كتابه مفهوم العقل (1949) The Concept of Mind»"، هاجم رايل ما يسميه " الثنائية الديكارتية» أو أسطورة الشبح فى الآله زاعمًا أن المشاكل الفلسفية التي تتعلق بطبيعة العقل وعلاقته بالجسم تنشأ من خطأ المقولة التي تقودنا على نحو خاطئ إلى معالجة العبارات التي تدور حول الظاهرة العقلية على نحو مماثل للظاهرة الفيزيائية. بالنسبة لرايل: أن تفعل شيئا ما ليس أن تؤدي فعلين منفصلين. أحدهما: عقلي، والآخر: فيزيائى، ولكن أن تسلك بطريقة معينة، [1] من أجل تقويض الثنائية نبذ رايل العقلانية وتبنى الأطر التجريبية السلوكية وفى ذلك السياق يقول جيرى فودر " يفترض رايل أنه يتعين على العقلى أن يكون ثنائى أى عقلى ومادى فى آن واحد نظرًا للعلاقة التبادلية التى تربط بين الاثنين (وهذا هو ما لا يفترضه معظم علماء النفس الذين يعتنقون النظرية الواقعية وذلك فيما يخص المصطلحات العقلية الواردة فى النظريات النفسية)، ولطالما ناديت بأن الخلط بين العقلية والثنائية هو الإثم الكبير الذى ارتكبه فتجنشتين فى مؤلفاته. ويكفى أن نشير – فى هذا المقام – إلى أن إحدى نتائج هذا الخلط كانت اعتبار الخيارات المتاحة من خلال الثنائية والسلوكية استنزافًا مرهقًا لفلسفة العقل. [2]

كان ديكارت قادرًا على إقناع نفسه أن كل مظاهر السلوك الحيوانى يستطيع تفسيرها وفقًا لفرضية الحيوان آلة...... ولكنه وصل إلى نتيجة مؤداها أن لدى

(1) William Lyons, " Ryle Gilbert", Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, London: Routledge, 2000, p.787.

(2) Jerry Fodor, The Language of Thought, Sussex: Harvester Press, 1976,p.4.

الإنسان قدرات فريدة لا يستطيع تفسيرها وفقًا للأساس الآلي على نحو صرف. على الرغم من، أن التفسير الآلي يزودنا بالتفسير لوظيفة الجسم الإنساني وسلوكه، فإن الاختلاف الجوهري بين الإنسان والحيوان يظهر بوضوح في اللغة الإنسانية، على وجه الخصوص، قدرة الإنسان على صياغة جمل جديدة تعبر عن أفكار جديدة وتكون ملائمة للمواقف الجديدة [1] تلك القدرة الفريدة على انتاج جمل جديدة تسمى المظهر الإبداعي لاستعمال اللغة، ومع استحالة التفسير الآلى للمظهر الإبداعى للاستعمال العادي للغة، يقرر ديكارت أنه بالإضافة إلى الجسم، فمن الضرورى أن نعزو العقل – جوهر أساسه الفكر – للبشر باعتباره جوهرًا آخر، من هذه الحجج عرض ديكارت (مصاحبه) العقل للبدن « يحمل صورته » [2].

إن المذهب الرسمي، الذى نادي به ديكارت.... يتمثل في أن البعض يفضل الإشارة للقول إن كل كيان إنساني مؤلف من جسم وعقل يرتبطان معًا على نحو مألوف [3]. تخضع الأجسام الإنسانية (لها مكان) للقوانين الآلية التي تحل محل الأجسام الأخرى في المكان. إن العمليات الجسدية وحالاتها نستطيع فحصها بالملاحظين الخارجيين external observers ولكن العقول ليس لها مكان وعملياتها لا تخضع للقوانين الآلية، وعمل أحد العقول لا يقوم عليه دليل من ملاحظات الآخرين لوظيفتها الخاصة، أستطيع أن أدرك مباشرة حالات وعمليات عقلية فقط. يعيش الإنسان فى تاريخين متوازيين، أحدهما يتألف مما يحدث فى جسمه ولجسمه، والآخر يتألف مما يحدث فى عقله ولعقله، الأول عام، الثاني خاص – الأحداث في التاريخ الأول أحداث في العالم الفيزيائى physical world والأحداث فى التاريخ الثانى أحداث العالم العقلي mental world. [4] من الضرورى التأكيد على ملمح أن ماله وجود فيزيائي يعنى أن له مكان وزمان، والملمح الضرورى لما له وجود عقلي له زمان وليس له مكان. الوجود الفيزيائى

---

(1) Noam Chomsky , Cartesian Linguistics: A Chapter in The History of Rationalist Thought, New York: Harper & Row,1966, p.3.

(2) Ibid., p.3.

(3) Gilbert Ryle, the Concept of Mind,New York:Hutchinson's University Press,1949, p.12.

(4) Ibid., pp.11 - 12.

مؤلف من المادة أو وظيفته من المادة، الوجود العقلي مؤلف من الوعي أو وظيفته من الوعي. [1]

يدين رايل النظرية الرسمية عن العقل أو كما يدعوها أسطورة " العالمان " أو أسطورة "الشبح في الآله "، تلك الاسطورة التي تقسم الكون إلى عالمين منفصلين، عالم مادي أو فيزيائي وعالم عقلي أو روحي، ومن كلا الجوهرين معا يتألف الكيان الإنساني، الجسم يتمثل في الامتداد والحيز المكاني ويخضع لقوانين الآلة، والعقل أوالروح يتمثل في كونه غير ممتد وغير مرئي يشارك في التفكير والشعور والإرادة ويمكن الوصول إلى عملياته من خلال الاستبطان للذات فقط. ترجع الصورة الحالية لهذه الأسطورة إلى ديكارت[2].

علاوة على ذلك، طالما أن الحقائق الفيزيائية هي فقط ما نستطيع ملاحظته بشكل عام، فإن افتراض وجود مصاحبة بين الأجسام البشرية والعقول افتراض لا يمكن تبريره منطقيًا، فمن غير المعقول أن نحيا حياة مزدوجة، إن هذه الافتراضات خاطئة، بناء عليها أنكرت الثنائية الديكارتية حتى البدائل المطروحة مثل: اعتبار العقول تجليات المادة أو أن المادة روحية فعليا، هي بدائل غير مقبولة تمامًا. فجاء الحل أكثر جذرية عند رايل متمثلا في أن الثنائية ليست خطأ يصحح بمذهب الأحادية monism أو بمذهب التثليث trinitarnism يرى رايل أنها "خطأ المقولة " اضطراب للأنواع المنطقية، هي أعظم انحراف ولم يكتشف الفلاسفة هذا الغموض، فقد حاولوا " أن يمثلوا حقائق الحياة العقلية كما لو كانت تنتمي إلي مقولة ونوع منطقي واحد على حين تنتمي إلى نوع آخر"[3].

إن الخطأ الجوهري للنظرية الديكارتية هو تفسير العقل و(المادة أيضًا) بوصفهما جوهران منفصلان. قادت هذه النظرية إلى استعمال خاطئ لكلمات أخرى متعددة، فجاء استعمال تلك الكلمات امتداد غير منطقي، وفي ذلك يقول

---

(1) Ibid., p. 13.

(2) Margret Mac Donald," Professor Ryle on the Concept of Mind",The Philosophical Review, Vol.60, No.1.(Jon.,1951),pp.80 - 81.

(3) Ibid. p. 81.

رايل:» غالبا سوف أتكلم....باعتبارها عقيدة الشبح فى الاله أتمنى أن أبرهن أنها خطأ كلية وليست خطأ فى تفاصيلها ولكن من حيث المبدأ. إنها ليست مجموعة خاصة من الأخطاء، إنها خطأ كبير وخطأ من نوع خاص، أعني خطأ المقولة category– mistake حيث تمثل حقائق الحياة العقلية على أنها تنتمي إلى نمط أو مقولة منطقية واحدة[1]"على سبيل المثال: كلمات داخل، خارج، عام، خاص، هي كلمات افتتاحية للنظرية، فالمادة تسمى العالم الخارجي العام ويسمى العقل العالم الداخلي الخاص، لكن في الألعاب المنطقية تم اللعب مع هذه الكلمات من قبل فلاسفة الثنائية، «داخلي» « خارجي» يستخدمان استخدام عادي للمكان فالسجين على الجانب الآخر من الحاجز على عكس الرجل الحر خارج السجن، الميكروبات داخل الدم وهناك طفح جلدي خارجي على البشرة، المخ في الجمجمة وعظامها خارج المخ، إن مثل هذه التناقضات هي قواعد الاستخدام الصحيح لهذه الكلمات، لكن تم تجاهل هذه القواعد في النظرية الثنائية، إن أنشطة العقل لا يمكن ملاحظتها كأنشطة الجسم.. كل فرد يمكنه التمييز بين الحياة الخاصة لترومان بوصفه زوجًا وأبًا وصديقًا وأخًا، وعمله العام بوصفه رئيس الولايات المتحدة، القائد الأعلى للجيش، قائد الحزب الديمقراطي..إلخ، لكن معنى كلمة خاص لدى فيلسوف الثنائية هو أن الحالات العقلية خاصة، أي من المتعذر الوصول إليها كلية ويتعذر إبلاغها أو قولها للآخرين [2].

ولدحض هذه الثنائية صاغ رايل برهانه لإثبات خطأ المقولة الديكارتية، وحدد الغرض من برهانه في تحقيق الأهداف الأربعة الآتية:

– تبديد التباين المقدس بين العقل والمادة.

– بيان أن الاعتقاد بتباين العقل والمادة ناتج عن الاعتقاد بأنهما ينتميان إلى مقولة منطقية واحدة.

– إثبات أن المثالية والمادية هما إجابتان عن سؤال خاطئ.

---

(1) Gilbert Ryle,The Concept of Mind,pp.15 - 16.

(2) Margret Mac Donald, " Professor Ryle on the Concept of Mind",pp.82 - 83.

- افتراض فكرة الردية بين ما هو عقلي وما هو مادي وإثبات عدم شرعية الانفصال, وأما أن توجد عقول أو توجد أجسام، لكن لا يوجد كلاهما معًا. (1)

طبقًا لرايل، الطريق الصحيح أن نؤول المصطلحات العقلية باعتبارها تشير للسلوك والاستعدادات السلوكية وليس إلى أحداث عقلية خاصة، بالإضافة إلى ذلك، التحليل الملائم لــ " جون جائع " يستخدم تأويل المصطلح العقلي " جائع " ليشير إلى الأكل عند جون أو استعداده للأكل، وليس إلى بعض الأحداث العقلية الخاصة. (2)

---

(1) محمد سليم، مشكلة المعنى بين آيرو رايل، رسالة ماجستيرغير منشورة,جامعة جنوب الوادى 2003, ص 149.

(2) Roger F. Gibson, “Behaviorism,”p.41.

7 - تشومسكى ناقداً للسلوكية

قوضت السلوكية بظهور " الثورة المعرفية cognitive revolution فى أواخر 1970. ولقد شارك تشومسكى فى تقويض السلوكية ونجاح الثورة المعرفية خصوصًا بمقالته "مراجعة السلوك اللفظي لسكينر» ويعتقد جون ستادون أن هناك سببين وراء تفضيل الحركة الادراكية وانهيار السلوكية: أولاً: سمح الحاسب الرقمي digital computer لأول مرة للأفكار العقلية أن تتغلب على الانتقادات السلوكية التي كانت تعد النظريات الإدراكية غير صحيحة ومجرد قصص [1] ثانيًا: شك سكينر في النظرية الصورية وحصرْ السلوكيين الجذريين اهتمامهم فى المعلومات التجريبية باعتبارها غاية في ذاتها. [2]

يسيطر علم نفس الإدراكي الآن على المشهد النفسي الأمريكى، بالإضافة إلى ذلك فإن العقلانية الجديدة new mentalism تربط بين المخ باعتباره الجانب المادي للحاسب الرقمي hardware of digital computer والحياة العقلية باعتبارها العقل الالكتروني للحاسب الرقمى. [3]ولقد اعتبر تشومسكى علم اللغة جزءًا من علم النفس الإدراكى، ناقدًا السلوكيين الذين يستخدمون علم النفس التجريبي مؤكدًا أن موضوع علم النفس عندهم ليس محددًا والإجراءات التي يستخدمونها داخل المعمل إجراءات فارغة. وفي ذلك الصدد يقول تشومسكى:" إن علم اللغة هو ذلك الجزء من علم النفس الذي يركز انتباهه على مجال إدراكى واحد وقدرة عقلية واحدة وهي ملكة اللغة، فعلم النفس في أضيق الحدود يختص بالقدرات العقلية على الفعل وعلى تفسير الخبرات وبالأبنية العقلية التي تشكل أساس هذه القدرات وممارساتها، ويختص على مستوى أعمق بالقدرات ذات

---

(1) John Stadon, Behaviorism: Mind, Mechanism and Society, London: Gerald Duck Worth, 1993, p.108.

(2) Ibid.,p.86.

(3) Roger F. Gibson, "Behaviorism, p.39.

المرتبة الثانية على بناء أبنية عقلية والهياكل التي تشكل أساس هذه القدرات ذات المرتبة الثانية « [1]

يعتقد جورج جرهام في مقالته « السلوكية « أن السبب الأكثر تعقيدًا وعمقًا وراء توقف السلوكية يرجع إلى استحالة فرضيتها الأساسية والتي تزعم إمكانية تفسير السلوك من دون الإشارة إلى الفعالية العقلية. لقد وجد كثير من الفلاسفة وعلماء النفس استحالة تلك الفرضية.[2] ولقد أعلن كارل همبل في عام 1966، ردته عن السلوكية قائلًا: « لكي نصف..... النماذج السلوكية، النزعات أو القدرات السلوكية...... فإننا لا نحتاج فقط إلى الكلمات السلوكية الملائمة ولكن إلى المصطلحات النفسية أيضًا، وبناء عليه اعتقد همبل أنه من الخطأ أن نتخيل إمكانية فهم سلوك الإنسان بمصطلحات سلوكية فقط وإغفال المصطلحات العقلية. [3]

من ثم شاركت الفلسفة وعلم النفس المعاصران قناعات همبل في أن تفسير السلوك لا يمكن أن يتم من خلال إسقاط التمثيل النفسي والعقلي للكائن الحي ويجب أن يستخدم علم النفس المصطلحات النفسية، إن السلوك بدون التمثيل العقلي أعمى، ووضع النظرية النفسية من دون الإشارة إلى العملية الداخلية يصبح تفسيرًا ضعيفًا خاطئًا. فالسلوكية ليست علم إدراك وليست علم نفس، إنها طريقة مضللة لتفسير ما بداخل الرأس. [4]

ولقد انتقد تشومسكي السلوكية، ويجدر القول هنا إن منحى السلوكية بأنواعها يختلف عن منحى تشومسكي، فعندما ينكر السلوكيون وجود العقل أو يفسرونه على نحو سلوكي، فإنهم بذلك يقطعون كل صلة بين اللغة والعقل الإنساني، على حين يؤكد تشومسكي على أن اللغة وبنيتها المعرفية تلقى بظلال من الضوء على طبيعة العقل الإنساني.

---

(1) Noam Chomsky , Rules and Representations, p.4.

(2) George Graham, Behaviorism, p.6.

(3) (6) Roger F. Gibson, “Behaviorism,p11.

(4) Ibid.,p.41.

جاء اهتمام تشومسكي بكل من فلسفة اللغة وعلم اللغة النفسي، نتيجة محاولته وضع أوصاف فلسفية ونفسية لطبيعة العلاقة بين اللغة والعقل الإنساني، فقد رفض موقف السلوكية من العقل، وانكر عليها دعمها للسلوك الخارجى والفسيولوجيا الداخلية واهتمامها بدراسة الجسم مدعية أن العقل ليس له وجود على الإطلاق، وإن وجد فيجب ترجمة المصطلحات العقلية والنفسية فى حدود المصطلحات الفيزيائية، فجاء رافضًا تناولها بنفس المنحى الديكارتي، لأنه لا يوجد أي تصور محدد للجسم، أما ما يوجد فهو العالم المادي الذي يلزم اكتشاف خصائصه من غير تحديد مسبق لما يمكن عده جسمًا، بناء عليه لا يمكن لمشكلة الجسم والعقل أن تصاغ نهائيًا.[1]

من هنا يقدم تشومسكي ثنائية من نوع جديد، ثنائية العقل / المخ / mind brain فعندما نتحدث عن العقل فإننا نتحدث في مستوى معين من التجريد عن بعض العمليات المادية فيه التي لا نعرفها الآن.(([2]وبذلك يمثل العقل المستوى المجرد لدراسة اللغة، أما المخ فيمثل المستوى المادي للعمليات الدماغية وعلاقاتها باللغة في مستواها المجرد، وتلك الثنائية الجديدة تتوافق مع تعريفه للغة بأنها نهج توليدي ممثل داخليًا في بناء العقل / المخ وليست مجرد تتابع سلسلة من المنطوقات الكلامية.

إن العقل موجود عند تشومسكي ويحتوي بالفعل على عمليات عقلية، ملكات، اعتقادات، شكوك وهكذا. ولقد أنكرت السلوكية ذلك وُأكدت أن ما يوجد فقط «المثير – الاستجابة «. لقد أكد أن الطريقة العامة لفهم العقل على أنه يمتلك أشياء مثل العمليات العقلية وغيرها على نحو لا واعي أمر صحيح تمامًا، أكد أيضًا على أن أجزاء كبيرة مما يستطيع أن يفعله عقل البالغ « فطرية». فبينما لا يوجد طفل يولد ويكون قادرًا على كلام اللغة بطريقة آلية، كل الأطفال يولدون ولديهم قدرة على تعلم اللغة على نحو فعال، وتسمح لهم تلك القدرة بتعلم اللغة على نحو سريع. ولقد وسع علماء النفس نظرية تشومسكي في اكتساب اللغة حيث لم يعد

---

(1) نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة ص126.

(2) المرجع السابق، ص18.

العقل هو اللوح الأبيض عند الميلاد. [1].

يعتقد تشومسكي أن بعض أنواع السلوك (على وجة الخصوص السلوك اللغوي) تكون مفهومة عن طريق القواعد الممثلة داخليًا، هذه القواعد الممثلة داخليًا لا تكون نتاج التعلم المتداعى، إنها جزء من هبتنا الفسيولوجية الفطرية الممنوحة الوجود الإنسانى. قام بالهجوم على النماذج السلوكية لتعلم اللغة لأنها لا تستطيع أن تقدم تفسيرًا للحقائق المتنوعة عن اكتساب اللغة مثل سرعة اكتساب اللغة عند الأطفال الصغار، التي يشار إليها بظاهرة الانفجار المعجمي.lexical explosion سن ففى الأربع أو الخمس سنوات يكون الطفل الطبيعى لديه قدرة غير محدودة على فهم وإنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل أبدًا، وبذلك يؤكد أن القواعد والمبادئ الأساسية للنمو فطرية.[2]

يوضح تشومسكي فى مقالته «مراجعة السلوك اللفظي لسكينر»، أن هناك صعوبات عديدة تواجه عالم النفس التجريبي حينما يستخدم مفاهيم المثير، الاستجابة، التعزيز. حيث يعتقد أن مفاهيم المثير والاستجابة والتعزيز مفاهيم محددة على نحو نسبي فيما يتعلق بتجارب الضغط على القضيب. يجب قبل أن نمد تلك المفاهيم إلي سلوك الحياة الواقعية أن نكون على وعي بأننا سنواجه بعض الصعوبات. فلا بد أن نقرر قبل كل شيء هل أي حدث طبيعي يكون الكائن الحي قادر على التفاعل معه يسمي مثيرا أم فقط الحدث الذي يتفاعل معه في الواقع هو ما يسمي مثير، على نحو مماثل يجب أن نحدد هل أي جزء من السلوك يمكن أن يسمي استجابة أم أن السلوك المرتبط بالمثير هو فقط الذي يسمي استجابة. تعد هذه النوعية من الأسئلة معضلة بالنسبة لعلماء النفس التجريبي. إذا تقبل عالم النفس التجريبي هذه المفاهيم العامة التي تصف أي حدث طبيعي يتفاعل مع الكائن الحي بوصفه مثير وأي جزء من سلوك الكائن الحي بوصفه استجابة، يجب أن نستنتج أن السلوك الذي يظهره هذا الكائن لا يخضع لقانون. وفي حدود معرفتنا الحالية

(1) " Noam Chomsky", Available on – line at: http://en.wikipedia.org....... Noamchomsky.p2.

(2) George Graham, Behaviorism,p.8.

لا بد أن نعزو تأثير العامل على العوامل الأخرى السلوك الفعلى إلي عوامل غير معرفة جيدا مثل الانتباه والوضع والإدراك والحالة المزاجية. وإذا تقبلنا التعريفات الضيقة فإن السلوك يخضع لقانون بواسطة التعريف (لو تآلف من الاستجابات)، ولكن في الحقيقة يكون له أهمية ثانوية، حيث أن معظم ما يفعله الحيوان سوف يعتبر ببساطة سلوك. ومن ثم فإن عالم النفس أما أن يعتبر السلوك لا يخضع للقانون أو أن يوجه انتباهه إلي المناطق المسموح بها في السلوك[1].

لم يفشل سكينر فقط في وضع تعريف دقيق لمفاهيمه السلوكية، بل فشل أيضا في إيضاح طبيعة العلاقة بين المثير والاستجابة. تتحدد الاستجابة وفقا لسكينر بناء على المثير الذي يتعرض له الكائن الحي لكن حقيقة الوضع كما بينها تشومسكي، لا يتحدد المثير إلا بعد إصدار الكائن الحي استجابته، إذ يقول: «أولا يجب أن نلقي نظرة على استخدام سكينر لمفاهيم المثير والاستجابة. وفي كتابه سلوك الكائنات فإنه يكرس نفسه للتعريفات الضيقة لتلك المفاهيم. جزء من البيئة يسمي المثير وجزء من السلوك يسمي الاستجابة فقط إذا ارتباط ارتباطًا قويًا أي إذا كانت الديناميات القانونية التي تربط بينهما تبين منحنيات تلقائية وإنتاجية. ومن الواضح بعد تعريف المثير والاستجابة إنهما لا يختلفان كثيرا في حالة السلوك الإنساني. وطبقا للدلائل الحديثة المتاحة يجب أن نحافظ على قوة العلاقة بين المثير والاستجابة فقط عن طريق نزع الطبيعة الموضوعية منهما. لو نظرنا إلي كرسي أحمر، وقلنا أحمر، فإن الاستجابة تكون تحت تحكم المثير اللوني وهو «الأحمر» في تلك الحالة، أي أن اللون يتحكم في تلك الاستجابة ويستدعي تلك الاستجابة بالتحديد دون غيرها. أما إذا قلنا «كرسي»، فإن هذه الاستجابة تكون تحت تأثير مجموعة الخصائص (الشيء طبقا لسكينر) وهي الكرسي، أي أن مجموعة الخصائص التي تميز الكرسي تستدعي استجابة «كرسي» دون غيرها، وهكذا بالنسبة للاستجابات الأخرى هذا الأسلوب بسيط للغاية. حيث إن الخصائص متعددة، أي أنها ليست خصائص محددة (فلدينا الكثير من الخصائص مثلما لدينا

(1) Noam Chomsky, " A Review of B. F. Skinner's Verbal Behavior",in The Structure of Language:Readings in the Philosophy of Language, (eds) J. A. Fodor and J. J. Katz, p.551.

الكثير من التعبيرات الوصفية في لغتنا)، بناء عليه يمكن أن نفسر العديد من الاستجابات طبقًا للتحليل الوظيفي لسكينر وذلك عن طريق التعرف على المثير المتحكم. ولكن للأسف كلمة «مثير» قد فقدت كل الموضوعية أثناء استخدامها، فلم تعد المثيرات جزء من البيئة الخارجية، وأصبحت ترتبط أكثر بالكائن. أننا نتعرف على المثير عندما نسمع الاستجابة. ومن تلك الأمثلة فأن الحديث عن محاولة التحكم في المثير يرتبط كلية بعلم نفس العقل. نحن نستطيع التنبؤ بالسلوك اللغوي طبقا للمثيرات الموجودة في بيئة المتحدث، وحيث أننا لا نعرف ما هي المثيرات الحالية إلا بعد أن يستجيب الكائن الحي وأيضا لا نستطيع التحكم في خصائص البيئة الخارجية التي سوف يستجيب لها الفرد، إلا في الحالات التي يحدث فيها تدخل صناعي إلي أكبر حد، فإن إدعاء سكينر الذي يقول أن نظامه بالمقارنة بالنظام التقليدي يسمح بالتحكم العلمي في السلوك اللغوي هو في الحقيقة إدعاء كاذب. إن إضافة المزيد من الأمثلة لمفهوم التحكم في لا يضيف إلا غموضًا عامًا على مفهوم المثير(1).

يتعرض تشومسكي لمفهوم التعزيز بالنقد وذلك من خلال تقديمه بعض الأمثلة على التعزيز، فأولاً يوجد ميل شديد للتعزيز الذاتى، لهذا فإن «الشخص يتحدث إلي نفسه بسبب التعزيز الذى تلقاه»، «الطفل يتم تعزيزه ذاتيًا عندما يقلد أصوات الطائرات أو السيارات»، أما «الطفل الصغير الذي يجد نفسه وحيدًا في الحضانة ربما يعزز سلوكه اللغوي ذاتيًا عندما يصدر أصواتًا قد سمعها بالفعل في كلام الآخرين»، «كذلك المتكلم بوصفه هو أيضًا مستمع جيد يتم تعزيزه عندما يردد استجابة سليمة يتلقي عليها ثناء»، التفكير هو» التصرف الذي يؤثر ذاتيًا في السلوك ويتم تعزيزه لأنه يؤثر فى السلوك». «أن التصورات اللغوية سواء علنية أو خفية يتم تعزيزها ذاتيًا عند المتكلم مثل المستمع. تماما مثلما يعزف أو يؤلف الموسيقي قطعة موسيقية فأنه يعزز بعد سماعه إياها، أو مثلما يرسم الفنان ويعزز بعدما يري رسوماته وبنفس الأسلوب فإن المتكلم الذي يتفوه بمثل تلك التصورات اللفظية، يقول الأشياء التي عزز عليها من قبل أي أنه عندما يسمع شيئًا فإنه يعززه

(1) Ibid.,pp.552 - 553. ()

ويكرره، أو عندما يكتب فأنه يكتب الأشياء التي تم تعزيزها عند القراءة..... وما يحدد قوة السلوك هو السلوك الذي يفعله المستمع في موقف معين وهذا ما يطلق عليه سكينر حالة الاتصال أو إدراك المستمع للأشياء التي يقولها المتكلم. وفي معظم تلك الحالات لا يكون المتكلم موجودًا في الوقت الذي يحدث فيه التعزيز، وهذا على عكس حالة الفنان الذي يتم تعزيزه فوريًا وفي نفس الوقت عندما يتأثر الآخرون بعمله، وأيضا على عكس الكاتب الذي يتم تعزيزه في الوقت الذي يقرأ فيه الآخرون مقالاته أو حتي يتم تعزيزه لاحقا لأنه يعرف أن كتاباته سوف تلقي ثناء الأجيال التالية. حقًا ربما لا يتلقي الكاتب التعزيز في الوقت مباشرة ولكن فإن التعزيز النهائي سيكون أكبر عندما يقرأ الآف الأفراد كتاباته (وهذا يفسر قوة السلوك). هذا بالإضافة إلي أن الفرد ربما يجد من التعزيز عندما يجرح شعور الأفراد الآخرين أو ينتقدهم أو عندما يخبرهم أخبارًا سيئة أو عن طريق مضايقة منافسيه وانتقادهم، أو أن يسمع اسمه على الرغم من أن أحدًا لم يناديه أو أن يسمع كلمات غير موجودة في ثرثرة أطفاله[1].

ومن تلك الأمثلة – يعتقد تشومسكي – أن فكرة التعزيز قد فقدت معناها الموضوعي كلية ذلك المعني الذي كانت تمتلكه من قبل. وإذا القينا نظره على تلك الأمثلة، فإننا نرى أن الفرد يمكن تعزيزه على الرغم من حقيقة أنه لا يصدر أية استجابة على الإطلاق، كما نلاحظ أيضًا أن المثير المعزز لا يحتاج إلى أن يؤثر فى الشخص كما أنه ليس بالضرورة أن يتواجد المثير المعزز (حيث يكفي أن يتخيله الفرد أو أن يتمناه). عندما نقرأ أن الفرد يعزف الموسيقي التي يحبها ويقول ما يروق له ويفكر بالطريقة التي تحلو له، ويقرأ الكتب التي يحبها... إلخ فإنه يفعل ذلك لأنه يجد تعزيزًا في تلك الأشياء التي يقوم بها. فيمكن أن نستنتج أن مصطلح التعزيز مجرد وظيفة شعائرية ومثلا إذا اعتبرنا العبارة «x» تعزز من قبل y» "(المثير، حالة، حدث...إلخ) فإن هذه العبارة تعني أن "x" يريد "y"، أو أن "x" يحب "y" أو أن "x" يرغب فى أن تكون "y" حالة. وفي هذه الحالة يفقد مفهوم التعزيز أي قوة تفسيرية، أي لا يمكن تفسيره في تلك الحالة[2].

---

(1)) (Ibid.,pp.557 - 558.

(2)) (Ibid., p. 558.

بناء عليه، يبدو أن إدعاء سكينر الذي يقول أن كل السلوك اللغوي يتم اكتسابه والمحافظة عليه طبقا لقوة هذا السلوك من خلال التعزيز إدعاء فارغ تمامًا، لأن مفهومه عن التعزيز لا يشتمل على أي مضمون واضح، فهو يعمل فقط كمصطلح يغطي أي عامل يمكن التنبؤ به أولا، بحيث يرتبط هذا العامل باكتساب السلوك اللغوي والحفاظ عليه. كما يبدو أن استخدام سكينر لمصطلح الإشراط يتضمن مشكلة مماثلة، حيث يعتبر السلوك الاشراطي «لبافلوف» عاملاً أساسيًا قام علماء النفس بدراسته وتطويره، لكن لا توجد عمليات خاصة به فيما يتعلق بالإنسان. والادعاء الذي يقول إن عمليات وإعطاء المعلومات هو مسألة تتعلق بالاشراط يعد إدعاء غير ضروري. فهذا الافتراض يعتبر صادقًا إذا توسعنا في مصطلح الاشراط كي يغطي هذه العمليات، لكننا لا نعرف المزيد عن تلك العمليات. من ثم يصبح مصطلح «الاشتراط» مصطلحًا خاطئًا وزائفًا إذا استخدمناه بمعناه الحرفي[1].

يقول تشومسكي فى ذلك الصدد « طالما أن السلوك اللفظى قائم على مفاهيم المثير، الاستجابة، التعزيز، يمكن أن نستنتج إنه غامض واعتباطى.... وإن هذا النسق فشل تماما فى تفسير حقائق السلوك اللفظى » [2] فعلى سبيل المثال، طبقا لسكينر اسم العلم يمثل استجابة لشخص أو شيء معين، فإذا وجد المثير (الشخص أو الشيء) توجد الاستجابة (اسم العلم) – لكن أسماء الأعلام تستخدم أيضا في غياب الموضوع الذي تشير إليه، حتى لو لم يشاهد المتكلم الموضوع من قبل، فنسأل سكينر أين إذن المثير في هذه الحالة؟[3]. بالإضافة إلى ذلك أشكال السلوك اللفظي الموجودة لديه غير واضحة المعالم، وفي ذلك يذكر فرانز أن تشومسكي محق في قوله عن التعزيز لدى سكينر « إنه فقط نوع من فعل اللعب في العلم، لقد قدم مصطلحات علمية زائفة لا تفيد في الوصف أو التفسير بل أكثر من ذلك أن مصطلح السلوك اللفظي نفسه – كما يراه تشومسكي – وتعريفه بأنه: « السلوك

---

(1) Ibid., p.559.

(2) Ibid., p.560.

(3) Franz Kutschera, Philosophy of Language, Boston: Dordrecht - Holland,1975,p.69.

المعزز خلال توسط الاشخاص الآخرين « مصطلح واسع جدًا. [1]

ينتقد تشومسكى أيضا السلوكية اللغوية البلومفيلدية مؤكدًا أن النظرية اللغوية نظرية عقلانية وليست نظرية تجريبية، علم اللغة العقلى علم نظرى يستعمل الاداء باعتباره معلومات تحدد القدرة فى حين يأخذ بلومفيلد الاداء باعتباره الموضوع الاول للبحث. ويؤكد أن العقلانية لا تحتاج إلى وضع افتراضات حول الاساس الفسيولوجى الممكن للحقيقة العقلية التي يدرسها. إن الدراسات العقلية طبقا لتشومسكى سوف يكون لها قيمة اعظم فى بحث الآليات العصبية طالما أنها تتعلق بتحديد الخصائص المجردة التي تظهرها هذه الآليات ووظائفها التي يجب أن تؤديها[2]

يرى كاتز أن ما ينتقده بلومفيلد، ليس العقلانية وفقا للفهم المعاصر لهذا المصطلح، وإنما التصور اللاهوتى للعقلانية حيث تتمثل انتقادات بلومفيلد للعقلانية فيما يلى: « تفترض النظرية العقلانية أن تغير سلوك الإنسان ناشئ عن تدخل بعض العوامل غير الفيزيائية وفى مقدمتها الروح، أو الارادة أو العقل... الموجودة فى كل كيان إنسانى. هذه الروح طبقًا للرؤية العقلانية تختلف كلية عن الاشياء المادية ووفقًا لذلك تتبع بعض الأنواع الأخرى للسببية وربما لا شئ تمامًا. [3] يتضح من ذلك أن بلومفيلد ينتقد العقلانية لانها تؤكد أن التنبؤ وتفسير السلوك اللغوى بمصطلحات قوانين العلة مستحيل كلية».

من ثم يتضح قصور الفهم البلومفيلدى للعقلانية حسبما فسرها واعاد احيائها تشومسكى وأتباعه كاتز وفودر، وفى ذلك الصدد يقول فودر: « عاد مذهب الأفكار الفطرية عند ديكارت معنا (خصوصًا تحت تأثير تشومسكى) ويفسر على أنه نظرية حول كيف يبنى العقل (أوليًا، غريزيًا، وراثيًا) من ملكات نفسية أوأعضاء. إننى أميل إلى وجهة نظر إعادة إحياء العقلانية»[4]

---

(1) Ibid., p.148.

(2) Noam Chomsky, " Methodological preliminaries",p.53.

(3) Jerrold J. Katz, " Mentalism in linguistics " in Jay F. Rosenberg and other, Readings in the Philosophy of Language, New Gersey: Prentice Hall,Inc. 1971,p.74.

(4) Jerry Fodor, The Modularity of Mind: An Essay on Faculty Psychology,Cambridge: Mit Press,1988,p.3.

ينصب نقد تشومسكى أيضا على السلوكية المنطقية والتحليلية فلقد تبنت السلوكية النزعة الردية reductionism: المذهب الذى يدعى أن بعض العلوم ذات أساس أقوى من علوم أخرى، وبذلك الفهم تعرف التصورات النظرية للعلم ضعيف الأساس فى تصورات العلوم ذات الأساس الأقوى، فعلى سبيل المثال، الفيزياء أقوى أساسًا من الكيمياء، الكيمياء أقوى أساسًا من البيولوجى، والبيولوجي أقوى أساسًا من علم النفس وهكذا، وبذلك تؤكد النزعة الردية أن المصطلحات النظرية التي يشتغل بها علماء النفس يجب أن تعرف بمصطلحات البيولوجيا، والبيولوجيا فى مصطلحات الكيمياء وهكذا. وذلك ما ينبذه تشومسكى فلا يصح وضع تعريفات علم النفس وقوانينه بلغة الفيزياء كما يدعى كارناب، وهمبل، أو الاستعدادت السلوكية كما يدعى رايل والسلوكيون عمومًا. ويزعم جون ليونز أن الشكر العميق يجب أن يوجه إلي تشومسكى لأنه كان السبب فى القضاء على تلك النزعة، حيث ساهم فى التقليل من شيوع تلك النزعة لدى علماء النفس، ووضح مدى ثراء علم اللغة وأنه ليس بحاجة إلى أن يوضح فى مصطلحات علم آخر.[1]

تبنى تشومسكى عقلانية جديدة تختلف عن عقلانية ديكارت وأتباعه، لأنها تماثل الحديث عن البنيات العقلية بالقياس (التشابه) التشريحى للقلوب والأرجل والأزرع وهكذا. « ربما من المفيد أن نفكر فى ملكة اللغة وملكة الأعداد والملكات الأخرى باعتبارها أعضاء عقلية تشابه القلب والنظام البصرى أو نظام التناسق الحركى. لا يوجد تمييز واضح بين الأعضاء الفيزيائية –أنظمة الحركة والإدراك الحسى والملكات الإدراكية فيما يتصل بتلك المسألة. [2] إن العقلانية الديكارتية وضعت ثنائية الجسم / العقل وأخضعت الجسم للعالم المادى الآلى وجوهره الامتداد أما العقل مصدر الإبداعية اللغوية ذو بنية مختلفة لا تخضع للمادة ولا للعالم المادى الآلى وجوهره الفكر. إذن نظرت إلى العقل على نحو غير مماثل للجسم، فليس العقل بنية مادية فيزيائية مثل الجسم. وأيضا التجرييبة تعاملت مع الجسم / العقل على اعتبار أن بنية الجسم، أكثر تعقيدًا من العقل وليس العقل من نفس البنية الفيزيائية.

---

(1) John Lyons, Language and Linguistics, pp.243 - 244.

(2) Noam Chomsky, Rules and Representations,Oxford:Blackwell,1980, p.90.

من هنا قدم تشومسكى طرحًا جديدًا لتصور العقل انطلاقًا من ثنائية جديدة فى تاريخ الفكر الفلسفى، ثنائية العقل / المخ. حيث يمكن أن نبدأ فى دراسة العقل الإنسانى تماما كما ندرس الهيكل الفيزيائى للجسم البشرى فنحن ندرس القدرات العقلية كجزء من الجسم ودراسته خاصة المخ، ولكن هذه الدراسة تمتزج بمستوى من التجريد. وفى ذلك الصدد يقول: « عندما نتحول إلى العقل ومنتجاته نجد أن الموقف لا يختلف نوعيًا عن حالة الجسد, وهناك أيضا نجد أن البني فى منتهى التعقيد تتطور بشكل منتظم وموحد متخطية بذلك العوامل البيئية التي تعطى شرارة البدء (تثير) وتشكل النمو «. [1]

---

(1) Ibid.,p.91.

8 - عقلانية تشومسكي

تسعي عقلانية تشومسكي Chomskian Rationalism إلي معالجة علم اللغة بوصفه بحثًا علميًا طبيعيًا يستعمل نفس مناهج الفيزياء والبيولوجيا، إن اللغة موضوع طبيعي، يمكن النظر إليها بوصفها عضوًا من الأعضاء ينمو تحت الشروط الطبيعية وفقًا للحالة الطبيعية البيوفيزيائية التي يسمح بها ذلك العضو. من ثم تشجع عقلانيته على التفكير في فطرية اللغة من حيث هي مسألة ألية بيوفيزيائية داخلية يتحدد وفقًا لها – على نحو داخلي – نمو أو تطور اللغة في عقل الطفل[1].

يكمن جوهر عقلانية تشومسكي في إيمانه بأن هناك أفكارًا فطرية من النوع الذي يرفضه التجريبي، لكنه يعتقد أن هذه الأفكار ضرورية لتطوير أنواع الخبرة التي تلعب دورًا هام في فهم الإنسان لنفسة وللعالم. فبينما يتصور التجريبي أن أفكارنا عن أشياء العالم الخارجي يجب أن تتطور عن طريق خبرتنا عن هذه الأشياء، يعتقد تشومسكي أننا لا يمكن أن يكون لدينا خبرة عن تلك الأشياء من دون الأفكار الفطرية. إن أفكارنا الفطرية تجعلنا قادرين على التخيل والفهم علي نحو أسهل كي نطور معرفة الحس المشترك عن العالم والعلم[2].

ويشير ماك جليفري إلي أن هناك خمس سمات لعقلانية تشومسكي هى[3]:
أولا:إن تشومسكي هو ما يدعوه الفلاسفة بالفيلسوف الداخلي internalist.أي أنه فيما يتعلق بعلم اللغة فإنه يعكس وجهة النظر القائلة بأن علم اللغة هو علم الملكة العقلية المحددة التي تعمل داخل الرأس، ولا توجد أي ظواهر لغوية خارج الرأس مثل السلوك اللغوي.حقًا تلعب الظواهر الخارجية للغة القابلة للملاحظة في السلوك

---

(1) James McGiLvary, "On the Innateness of Language" ,in Contemporary Debates in Cognitive Science, (ed.) by Robert J. Stainton Oxford:Blackwell,2006,p.97.

(2) James McGiLvary, Chomsky, p.32.

(3) Ibid., pp. 4 - 5.

اللغوي دورًا في بناء نظرية عن ما يحدث داخل الرأس وتقدم مصدرًا واحدًا من المعلومات والأدلة، لكنها ليست هي موضوع النظرية اللغوية. لذلك حينما يسعي تشومسكي لبناء نظرية حسابية عن اللغة فإنه يهتم بالحسابات (العمليات العقلية/ العصبية اللغوية) التي تربط أحد سلاسل الأحداث العقلية اللغوية بالسلاسل الأخرى، ليس مع ما هو خارج الرأس أو مع أي علاقات بين هذه الأحداث العقلية والأشياء أو المواقف خارج الرأس. طالما أن النظرية تتعامل مع الأحداث العقلية اللغوية بمفردها وتفترض أن هذه الأحداث تحدث بمعزل عن الأحداث العقلية الأخرى، فأن النظرية اللغوية هي أيضا قالبية:أي أنها تفترض أن ملكة اللغة التي تحدث فيها هذه الأحداث منفصلة نسبيًا عن الملكات العقلية الأخرى. بناءعليه فإن المذهب الداخلي internalism هو مسألة الحفاظ على التمييز بين ما هو داخل/ خارج الرأس. المذهب الداخلي عن اللغة يطبق أيضا على ما يقوله عن معاني الكلمات والجمل. أن تفسيره للمعني في اللغات الطبيعية ليس نظرية عن كيف تربط اللغة الناس بالعالم من خلال الإشارة أو الصدق ولكنها نظرية عن المعاني الحقيقية للكلمات والتعبيرات نفسها.

ثانيا: الفطرية natisvism يفترض الفيلسوف الفطري في اللغة أن الكائنات الإنسانية تولد مزودة بقدرة على اللغة وأنها تحتاج فقط السماح بتطورها. أن اللغة ليست متعلمة: أنها لم تطبع في العقل من خارج الرأس عن طريق الثقافة، المجتمع، الإباء أو العشيرة.يفترض تشومسكي أن اللغات الطبيعية فطرية والفطرية عنده ذات أساس بيولوجي، أن لغاتنا هي منتجات جيناتنا الوراثية، ويستطيع الفرد التفكير في ملكة اللغة التي فيها تحدث المعالجة اللغوية بوصفها عضو بيولوجي يأخذ بعض الوقت كي ينمو (مثل الرؤية والملكات الإدراكية الأخرى) لكن هذا النمو يحدث أليًا. أن للفطرية دور مهم في فهم العقل لأن اللغة تلعب دور هام فيما يميز البشر. على سبيل المثال، يري تشومسكي أن الاختلاف بين الحس المشترك والفهم العلمي يكمن في حقيقة أن الحس المشترك نفسه فطري: أنه مشترك عبر البشر. يعتمد فهم الحس المشترك على المعرفة المحددة فطريًا في اللغة،على النقيض من ذلك، يدين العلم بالقليل للغة الطبيعية الفطرية. أن درجات اختلاف الاعتماد على المفاهيم الفطرية لهاتان الصورتان للفهم تساعد في تفسير لماذا يكون

الحس المشترك متاح بدون أي صعوبة لأي فرد على حين أن العلم يتطلب تعليم وعمل خاص.

السمة الثالثة هي المذهب الكلي: تظهر هذه السمة في علم اللغة عند تشومسكي فيما يدعوه النحو الكلي: لو أن اللغة إلي حد كبير فطريه من ثم يجب أن تبدو نفس الشيء عبر البشر.

رابعا: المذهب الفردي: يتضح في فكرة أن كل فرد لدية لغة أو لغات فردية (تقنيا «اللغة الداخلية ianguage i – لغة فردية، داخلية،قصدية، أن كل اللغات الداخلية هي حالات النحو الكلي).

خامسًا: أن تشومسكي بنائي. هذه السمة ناجمة نتيجة إيمانه بالمذهب الداخلي والمذهب الفطري وتعادل الاعتقاد بأن الأشياء وفهم عالم الحس المشترك والعلم هي منتجات عقولنا. كما يقول تشومسكي في مقالة ظهرت في "اللغة والسياسة": "يمكن أن تقول أن بنية خبرتنا وفهمنا للخبرة هو انعكاس لطبيعة عقولنا ولا يمكن أن نحصل على ماهو العالم الحقيقي. كل ما يمكننا فعله هو تطوير بناءات تزودنا بتبصر وفهم ومن ثم نكون على رضي بذلك التبصر والفهم».

إن احياء تشومسكي للتراث العقلاني أوجد ثمة تشابه بين نظرته إلي اللغة ونظرة ديكارت باعتبارها جوهر العقلانية الذى يمثل التمييز الحقيقي بين الإنسان والأشياء الحية الأخرى، وفي ذلك السياق يقول ديكارت: « إن الآلات لا تقدر مطلقًا على أن تستعمل الكلمات أو أية إشارات أخرى تؤلفها كما نفعل نحن لنصرح للآخرين بأفكارنا ففي الإمكان تصور أن آلة تصنع على هيئة مخصوصة بحيث تنطق بكلمات بل وأن تنطق ببعضها بمناسبة أعمال بدنية تسبب تغيرًا فى أعضائها، كأن تلمس فى بعض المواضع فتسأل عما يراد أن يقال لها، وتلمس فى موضع آخر فتصيح بأن ذلك يوجعها وما شابه ذلك، ولكن لا يمكن تخيل أنها تنوع تأليف الألفاظ لتجيب أجوبة مطابقة لكل ما يقال في حضرتها كما يستطيع أن يفعل أغبى الناس[1] وعلى نحو مماثل، يؤكد تشومسكي أن اللغة خصيصة إنسانية

(1) ()رينية ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص 259 - 260.

فريدة تميز الكائن الإنسانى الحي عن باقي الكائنات الأخرى، وكما أوجد ديكارت العقل باعتباره جوهرًا ثانيًا للإنسان ليفسر به ظاهرة اللغة، تلك القدرة الفريدة لدى الإنسان على إنتاج تعبيرات جديدة لتلائم مواقف جديدة وذلك ما يسمى المظهر الإبداعى للغة مؤكدًا استحالة تفسير الظاهرة اللغوية وفق المذهب الآلي الميكانيكي الذي يخضع له الكون وجسم الإنسان. التفت تشومسكى إلي وجود بنية فطرية عميقة عامة بين العقول البشرية، وتعد مصدرًا جوهريًا يبنى عليه الإنسان لغته الخاصة (العربية، الإنجليزية – الفرنسية.... الخ، وأشار إليها بالنحو الكلي، أما اللغة الخاصة تمثل النحو التوليدي، ومن هنا أوجد تشومسكي صلات وثيقة بين العقل / المخ الإنساني واللغة الإنسانية. تعد دراسته للغة ذات قيمة كبيرة، لأنها تساعدنا على إدراك طبيعة العقل الإنساني وتزودنا بفهم أعمق للطبيعة الإنسانية، ويمكننا القول إذا استطعنا فك شفرة اللغة، يمكننا فك شفرة العقل. اللغة سبيلنا لفهم العقل، على سبيل المثال، فك شفرة اكتساب الإنسان اللغة يعد مثالاً حيًا على اكتساب الإنسان المعرفة عمومًا، من ثم يكتسب العقل الإنساني عند تشومسكي فاعلية في تناولنا الظاهرة اللغوية على عكس المدرسة السلوكية اللغوية عند بلومفيلد التي لا تعترف بوجود العقل أساسًا.

لقد هاجم تشومسكى العمل التصنيفى الوصفى الذى قامت به المدرسة البلومفيلدية، حيث يؤكد فشل علم اللغة الحديث فى التعامل مع الملاحظات الديكارتية عن اللغة الإنسانية بأسلوب جاد. [1] إن هذه النظرية اللغوية أغفلت المظهر الإبداعي للاستعمال العادي للغة، وإن الهدف الحقيقي من دراسة اللغة بناء نظرية تفسيرية [2]عن الظاهرة اللغوية. فجاء النحو التوليدى باعتباره نقطة تحول فارقة في تاريخ علم اللغة الحديث. وتمشيًا مع ذلك الموقف اتخذ تشومسكى من المدخل العقلاني ركيزة أساسية تساند أطره الفلسفية اللغوية الجديدة، حيث ضمن تبنيه للعقلانية أن اللغوى يجب أن يهتم بالقدرة اللغوية الإبداعية عند المتكلم وليس أدائه (انتاجه الفعلى للمنطوقات).[3] يخلص كاتز فى مقالته « العقلانية فى

---

(1) Noam Chomsky, Cartesian Linguistics,p.3.

(2) Noam Chomsky, Language and Responsibility ,s p.109.

(3) Robert Gwin and Others, The New Encyclopedia Britannica.p.54.

علم اللغة « إلى نتيجة مفادها أن النظرية العقلانية فى علم اللغة أفضل وأصح من النظرية التجريبية السلوكية التي تبناها اللغوى بلومفيلد وذلك ما يذهب إليه تشومسكى ويتساءل كاتز « ترى هل التصنيفية أم العقلية هى القادرة على تقديم أفضل تفسير لما يعرف عن الحقائق العامة للظاهرة اللغوية؟[1] ويخلص كاتز داعمًا وجهة نظر تشومسكى، إلى أن النظرية العقلانية تفسر بنجاح كل ما يتعلق بالظاهرة اللغوية على حين تخفق النظرية التصنيفية فى ذلك، ومن ثم يتسائل: لم تتفوق النظريات اللغوية العقلية على النظريات اللغوية التصنيفية من الناحية الوصفية والتفسيرية ولم يتعين التسليم بمنح المفاهيم العقلية هذا القدر من التفوق؟

إن الأسئلة الثلاثة التي يتعامل معها الوصف الزمني للغة ما هي:.

1 – ما الذي يعرفه المتكلم المثالى فى لغة طبيعية؟أي، ما هي الحقائق اللغوية التي تقف وراء قدرته على الاتصال مع الآخرين باستخدام هذه اللغة؟

2 – كيف يتم استخدام هذه المعرفة اللغوية لتحقيق الاتصال؟ أي كيف يستخدم المتكلم هذه المعرفة اللغوية لنقل أفكاره وآرائه ورغباته ومتطلباته وأسئلته وانفعالاته.......إلخ للآخرين؟

3 – كيف يتمكن المتكلمون من اكتساب هذه القدرة؟ أي، ما هي القدرات الفطرية والعمليات النمائية المسئولة عن تحويل طفل غير قادر على الكلام إلي متكلم طلق؟[2]

وإجابة السؤال الأول هي إجابة يمكن الإشارة إليها على أنها "وصف لغوي" يتكون من ثلاث محتويات هي: التركيبية والصوتية والمتعلقة بالمعني. وإذا كان الوصف اللغوي نظرية عقلية فإن المحتوي التركيبي هو النظام المولد الذي يكون تركيبات وسلاسل من وحدات تركيبية صغيرة (يمكن أن نطلق عليها اسم التكوينية) جنبًا إلي جنب مع وصف بنيتها التركيبية.هذا الوصف البنيوي – الناتج عن المحتوي التركيبي للوصف اللغوي – هو مدخل المكونات المتعلقة بكل من

---

(1) Jerrold J. Katz, " Mentalism in linguistics ",p.371.

(2) Ibid.,p.371.

المعاني والأصوات المكونين للنظام التفسيري، فالمحتوي الصوتي يفسر الوصف المجرد الرسمي لبنية التراكيب للجملة على أنها تمثل الأصوات المنطوقة وذلك عن طريق إعطاء كل منها شكل صوتي أما مكون المعني فيفسرها على أنها رسالة ذات معني محدد. أي أن محتوي المعني يقوم بتحويل مخرجات محتوي التراكيب إلي رسائل تقوم الجمل بتوصيلها إلي الأفراد الذين يفهمون هذه اللغة. ولا توجد علاقة منطقية بين كل من المكون الصوتي ومكون المعني، حيث يهتم أحدهما بالنطق بينما يهتم الآخرين بالفهم[1].

أما إجابة السؤال الثاني فتتكون من عمليتين على الأقل إحداهما هي "عملية إدراك الجملة" والتي تقوم بتمثيل المقطوعة تمثيلاً صوتيًا ووصفها تركيبًا وتقوم بتفسير المعني. أما وظيفة العملية الأخرى فهي اختيار التركيب المناسب لأية رسالة يود المتحدث توصيلها كما أنها تقدم تمثيلاً صوتيًا لهذا التركيب ويطلق على هذه العملية اسم «عملية إنتاج الجملة». وتحدد هاتان العمليتان كيفية استخدام المعرفة اللغوية من قبل المتحدث من فهم وإنتاج الجمل.[2]

وإجابة السؤال الثالث هي نظرية اكتساب اللغة. حيث تشرح هذه النظرية كيف يتمكن طفل رضيع – غير قادر على الكلام والذي يتعرض بطريقة عفوية لنماذج من جمل مفيدة وغير مفيدة أو أيه بيانات أخرى – من القدرة على الوصف اللغوي وإدراك الجمل وإنتاجها[3].

ومن المنطقي أن يتقدم السؤال الأول قائمة الأسئلة الثلاثة، حيث يجب أن نعرف الحقائق اللغوية التي يعرفها المتكلم قبل البت في كيفية تمكنه من الاتصال باستخدامها وقبل البت في كيفية اكتسابه لها، فيجب أن يسبق الاستفسار عن الوصف اللغوي أيه تساؤلات أخري عن طبيعة استخدام اللغة واكتسابها. لكن هذه الأولوية لهذا التساؤل لا تعني أن محاولة الإجابة عن التساؤل الثاني أو الثالث يجب أن تؤجل لحين الإجابة عن التساؤل الأول بصورة كاملة وإنما يعني أن

(1) Ibid., p.371,

(2) Ibid.,pp.371 - 372.

(3) Ibid.,p.372.

الإسهامات في محاولة التوصل لإجابة التساؤل الأول يجب أن تكون متوفرة كي نتمكن من الإجابة على التساؤل الثاني والثالث بل إنها تعني أيضا أن نوعية الإجابة التي سنحصل عليها أو نبحث عنها لكل من السؤال الثاني والثالث تتوقف على نوعية الإجابة التي نتوصل إليها أو نبحث عنها للسؤال الأول. ونظرًا لمنطقية تقدم السؤال الثاني على السؤال الثالث فإن الحقيقة ذاتها تنطبق على الاثنين[1].

والحقيقة الأساسية في كافة اللغات والتي تتعلق بالإجابة الكاملة على السؤال الأول هي أن المتكلم يمكن أن يفهم عددًا لانهائيًا من الجمل قبل أن يكون تعرض لها من ذي قبل. وتعتبر هذه الحقيقة شائعة ومسلم بها لدرجة أنها لا تستند إلي أي أسس نظرية واضحة، إن حقيقة أن كل جملة نسمعها نتعرض لها للمرة الأولي تمنعنا من فهم وتقدير مدي قدرة المتكلم الطلق على فهم العبارات الجديدة وهو الأمر المدهش للغاية. لكن إذا نظرنا إلي عملية تعلم اللغة الأجنبية نجد أن الأساس النظري لهذا العملية بالغ الوضوح. إننا لا نؤمن بإتقان شخص ما للغة أجنبية إذا كان قادرا فقط على فهم تلك الجمل التي تعلمها من ذي قبل. فإن اختبار الطلاقة يكون بقياس مدي قدرته على فهم جمل لم يتعلمها من ذي قبل. إن المغزي النظري لفهم الجمل الجديدة هو أن هذه القدرة هي المحك لمدي قدرة الفرد على إتقان لغته الأصلية[2].

ولتفسير هذه المهارة في الإجابة على التساؤل الأول يجب أن تأخذ قواعد اللغة شكل المنظومة القواعدية التي تصف بنية كل جملة يمكن أن يفهمها المتحدث إن تعرض لها (وذلك في غياب المعلومات السيكولوجية اللغوية غير ذات الصلة). حيث يجب أن تصف هذه القواعد مجموعات لا حصر لها من الجمل وذلك لأنه لا حدود لطول الجملة في اللغة الأصلية. فعلى سبيل المثال الجملة التي قد تبدأ بالاسم يتبعه الفعل قد تبدأ في أحيان أخرى بضمير أو صفة تسبق الاسم وتتبعها الفعل هكذا ويمكن أن يحل كل منهما محل الآخر. وسوف يصل بنا الأمر إلي نقطة لا يمكننا فيها إنتاج جمل أطول أو فهم جمل أطول من قبل المتكلم العادي في المواقف المعتادة، إلا أن هذا الاعتبار له حدوده الإدراكية والقدرات المحدودة للذاكرة على

---

(1) Ibid.,p.372.

(2) Ibid., p.372.

التخزين ومحدودة بحياة الفرد هذا فضلا عن الاعتبارات اللغوية الثانوية الأخرى. وفي حالة غياب هذه الحدود نجد أن الجمل التي يتم إنتاجها تؤدي بنا إلي إنتاج لغة جديدة أو أحداث تغييرات جذرية في اللغة الأصلية[1].

وهذا يؤكد أن قواعد اللغة التصنيفية التي تصف الجملة في النص فقط قد فشلت في تحقيق فائدة تطبيقية حيث يظل عدد لانهائي من الجمل غير قابل للتفسير، وتختص بعض هذه القواعد بوصف الجمل. ليس من خلال النص فقط وإنما وصف الجمل التي يمكن اختيارها والجمل ذات التراكيب الواحدة والجمل القابلة للانتقاء. إلا أن هذا لا يجب أن يشوش الحقيقة النظرية الأكثر وضوحا التي تفيد بأن هذه القواعد لا تزيد عن كونها أنظمة لتصنيف البيانات التي تكون سلاسل من التكوينات السليمة التركيب.وعليه فإن قواعدها لا تستند إلي أسس سيكولوجية ولا يمكن الاستعانة بها في تفسير معرفة المتكلم التي تمكنه من فهم الجمل الجديدة في لغته الأصلية. والأكثر من ذلك أنه لا يمكن الاستعانه بهذه القواعد في الإجابة على التساؤل الثاني الذي يتعلق بمعرفة المتكلم بنية الجمل وعلاقتها بإجراءات تطبيق هذه المعرفة. وللسبب ذاته، لا يمكن أن تكون هذه القواعد أساسًا للإجابة على التساؤل الثالث التي هي عبارة عن عملية إدخال وإخراج تفسير كيفية إنتاج وإدراك الجمل والقيام بالوصف اللغوي[2].

ولتوضيح مدي نجاح النظرية العقلية فى الاتصال اللغوي في الإجابة على الأسئلة الثلاثة والسبب في التأثير القوي للمفاهيم العقلية، يتعين وجود نموذج كلي يعرض لكيفية عمل آلية الاتصال الغوي في المواقف الحقيقية. إن هذا النموذج يمثل الشكل البدائي لنظرية الاتصال اللغوي التى يسعي أصحاب المذاهب العقلي للوصول إليها وبالتالي فهو يمثل خطوة أولي نحو الصياغة الكاملة لهذه النظرية، وعلى الرغم من ذلك يجب التأكيد على أن هذا النموذج ساهم في النظرية الكاملة المحددة رغم كونه خطوة أولي لتحقيق ذلك[3].

---

(1) Ibid.,pp.372 - 373.

(2) Ibid.,pp. 373.

(3) Ibid.,p. 373.

وفي ضوء امتلاك كل من المتكلم والمستمع للوصف الغوي وعمليات إنتاج وإدراك الجمل فإنه يمكننا إعادة هيكلة موقف الاتصال. فالمتكلم يختار رسالة ما يريد توصيلها ونقلها للمستمع. حيث ينتقي بعض الأفكار التي يود التعبيرعنها أو الأوامر التي يريد توجيهها أو بعض الأسئلة التي يود الإجابة عليها. ويمكننا افتراض أن هذه الرسالة تمثل محتوي المعني للوصف اللغوي الذي يستخدمه لتمثيل معني الأفكار أو الأوامر أو الأسئلة وما شابه. ويقوم المتكلم بعد ذلك باستخدام عمليات إنتاج الجمل لتكوين بني مجردة للتعبير المناسب عن هذه الأفكار أو الأوامر أو الأسئلة كتمثيلات للمعني. هذه العملية تساعد المتكلم في إيجاد جملة مناسبة لظروف الموقف وذلك عن طريق رفض كافة التراكيب الطولية جدًا أو المعقدة وذلك رغم تفسيرها المناسب للمعني. بعد الوصول إلي التركيب البنيوي المناسب يستفيد المتكلم من المحتوي الصوتي لوصفه اللغوي لإنتاج الشكل الصوتي المناسب. ويتم ترميز هذا الشكل الصوتي في هيئة إشارات تجعل الجهاز الصوتي للفرد قادرًا على إنتاج المقطوعة المنطوقة للتعبير عن الجملة. وتنتقل الموجات الصوتية التي تتكون منها هذه المقطوعات عبر الهواء ويتم تحويلها إلي إشارات يتم فك رموزها لتكون أشكالاً صوتية وذلك بعد أن تصل إلي الجهاز السمعي للمتلقي. وبناء على هذا الشكل تقدم عملية إدراك المستمع للجملة بنية تركيبية أي أن هذه العملية تقوم بتحويل الإشارات الناتجة عن سماع العبارة إلي شكل صوتي الذي يتمثل إدراكه المادي في ما يصل إلي الأذن ويستعيد البنية التركيبية التي أختارها المتكلم في البداية للتعبير عن الرسالة التي يود نقلها. وبمجرد أن يتمكن المستمع من التوصيل إلي هذه البنية التركيبية يقوم بتوظيف محتوي المعني لوصفه اللغوي للوصول إلي تفسير هذا المعني. وهكذا يتوصل إلي ذات الرسالة التي أراد المتكلم نقلها إليه ويحدث الاتصال[1]..

ورغم تمثيل هذا النموذج لهذه العملية وكأنها تتم بصورة شعورية نجد أنه لا يشير إلي هذا الافتراض بتاتا، حيث أنه لا يمثل خاصية أساسية للمذهب العقلي وإلا لطرح افتراض إمكانية الدخول في رأس المتكلم لمعرفة كيف تتم هذه العملية

---

(1) Ibid.,pp.373 - 374.

وهذه النقطة وحدها كفيلة بدحض كافة حجج المعارضة للمذهب العقلي من قبل علماء اللغة في العصر الحديث[1].

يوجد بالإضافة إلي ما سبق نقطتان تتعلقان بتفضيل النظرية العقلية. أولهما: أن أهتمام كل من عالم النفس وعالم اللغة العقلي ببناء نظريات من نفس النوع من حيث كونها متعلقة بالوظائف العصبية للمخ البشري أدي إلي خضوع النظريات اللغوية للمتطلبات التي تستوجب انسجامها مع النظريات النفسية التي تتعامل مع القدرات الإنسانية الأخرى كما يجب أن تتسق مع نظريات الوظائف العصبية المتعلقة بنوع أليات المخ الموجودة. وتستند النظرية اللغوية التي تفي بهذه المتطلبات إلي قدر أكبر من الحقائق التي يمكن الدخول في تفسيراتها وبالتالي تصبح أفضل من تلك النظريات التي لا تضاهيها في القدرة على التفسير. إن مثل تلك النظريات قادرة على التوغل في تفسير العديد من النظريات السيكولوجية التي تنسجم معها. حيث نجد أن نظريات الإدراك والذاكرة والتفكير والتعليم وغيرها من النظريات النفسية تقدم الإجابة على كثير من الأسئلة المتعلقة بأثر اللغة فى هذه العمليات وأثر هذه العمليات فى اللغة، ولا يطمح في الإجابة على هذه التساؤلات سوي النظريات اللغوية العقلية. والأكثر من ذلك، أن خضوع النظرية اللغوية لهذه المتطلبات يجعلها أكثر قابلية للاختبار، حيث نتمكن من دحض نظرية لغوية ما إذا ما وجدنا النظريات أو الحقائق السيكولوجية غير منسقة معها أو أن التفسيرات الفسيولوجية العصبية مناقضة لما تنادي به هذه النظرية التي تخالف القوانين التي تحكم بنيه المخ. ولا يمكن تطبيق وفرض هذا المتطلب إلا على النظرية العقلية فقط[2].

أما النقطة الثانية فهي أن النظرية العقلية قادرة على توفير أسس سيكولوجية للنظريات اللغوية. فبدلا من النظر لتلك المسلمات اللغوية على أنها خصائص عامة للوصف اللغوي لكل لغة – كما هو الحال في النظرية التصنيفية – يتم تفسير هذه الخصائص الضرورية في أية لغة في ضوء المبادئ السيكولوجية التي تحكم متعلمي اللغة والخاصية الثابتة بين كافة الفروق الفردية لمتحدثي اللغات المختلفة.

---

(1) Ibid., p.374.

(2) Ibid., pp.374 - 375.

وكافة الفروق بين المواقف التي يتم فيها تعلم الكلام. ولقد قدم «تشومسكي» أساسًا سيكولوجيا واضحًا للخصائص اللغوية المشتركة حيث يري إن هناك نوعين من هذه الخصائص الجوهرية والرسمية. الخصائص الرسمية هي محددات شكل القواعد التي تظهر في كل محتوي من محتويات أي وصف لغوي تجريبي ناجح، أما الخصائص الجوهرية فهي شروط نظرية تدخل في تكوين قواعد أى وصف لغوي محدد. ويفترض تشومسكي أن الطفل مزود منذ الميلاد بالقدرة على تعلم اللغة التي تشمل مثل هذه الخصائص اللغوية وكذا مبدأ البساطة الذي يمكنه من اكتساب أبسط التركيبات اللغوية للشكل الذي يتم تحديده عن طريق الخصائص اللغوية التي تتماشي مع نماذج المقطوعات التي يتعرض لها. إذن فالخصائص اللغوية المشتركة تستند إلي أسس سيكولوجية التي تعد جزءًا من التركيب الداخلي للآلية الفطرية المسئولة عن اكتساب الطفل للغة. وإذا ثبت صحة هذا الافتراض، فإننا نتمكن من تفسير أسباب أهمية وجود بنية تركيبية معينة ومحتوي لكل لغة من اللغات حيث توجد في كل لغة نتيجة أن الطفل يولد وهو مزود بالقدرة عن تعلم اللغة تلقائيًا مما يجعل اكتساب اللغة أمرًا طبيعيًا وممكنًا للأفراد العاديين[1].

ويفترض العالم اللغوي التصنيفي أن مفاهيمه ومعالجاته لعلم اللغة توفر على عالم اللغة عناء التعامل مع كيانات عقلية غير ملموسة مثل «الروح»، بيد أن الحقيقة هي أن المذهب العقلي يتجنب التعامل مع مثل هذه الكيانات الغامضة حيث يتعامل كل من المذهبين – العقلي والتصنيفي – مع الأحداث المادية والبني الحقيقية. ويترك كل منهما مسألة تحديد الطبيعة الفيزيقية للظواهر التي يحددون أطرها النظرية لعلوم أخرى، فعلى عالم اللغة التصنيفي ترك مسألة الأسس الفيزيقية للموجات الصوتية لعالم الفيزياء، ويترك مسألة الانقباضات العصبية وإفرازات الغدد للفسيولوجي، كما يجب أن يترك العالم العقلي مسألة المدركات الفسيولوجية العصبية لوصفه اللغوي المجرد لعالم المخ والأعصاب[2].

إن الاختلاف الفعلى بين المفاهيم اللغوية العقلية والتصنيفية يكمن في النظريات

---

(1) Ibid., pp. 375 - 376.

(2) Ibid.,p. 377.

اللغوية التي يمكن أن تبني على هذه المفاهيم والتي يمكن أن تسهم في الإجابة على التساؤلات الثلاثة، وقد وجدنا أن عالم اللغة التصنيفي يقصر البحث اللغوي على تحديد تلك الحقائق المتعلقة ببنية اللغة والتي يمكن صياغتها ضمن إطار النظام التصنيفي، بينما يذهب عالم اللغة العقلي إلي أبعد من ذلك فيبحث عن إجابات وافية للأسئلة الثلاثة. هذا الاختلاف هو سبب موقفنا من رفض المفهوم التصنيفي وقبول المفهوم العقلي، حيث يسهم الأول في وصف المقاطع اللغوية فقط أما الثاني فلا يقتصر على هذا فقط وإنما يمكنه أيضا تفسير كيفية استخدام المتحدث لهذه المقاطع في الاتصال وكذا كيف يتم اكتساب القدرة على الاتصال. وكما يعيب الأول على الثاني اتجاهه لدراسة مفاهيم غامضة فإن الثاني يعيب على الأول استبعاده وقصوره في تحقيق أهم ما يجب أن يسعي هذا العلم لتحقيقه، إن التحرر من العقلية الذي هو جوهر التصنيفية هو السبب الرئيسي في ضعف هذه النظرية[1].

لقد أكد تشومسكى على أن علم اللغة يدخل ضمن علم النفس، ويستحيل أن يتصور بخلاف ذلك، وهو على وجه الخصوص جزء من علم النفس الإدراكى[2]، من هنا لا يغفل تشومسكى البنية النفسية الداخلية لمتكلم اللغة « الحقيقة النفسية »، ويتصور أن ذلك يسهل علينا دراسة اللغة وإدراك حقائقها مع إلقاء الضوء على البنية النفسية / العقلية للإنسان ومن ثم إدراك الطبيعة البشرية بحقائقها الملغزة. بالإضافة إلى ذلك، يفترض تشومسكى وجود الكليات اللغوية أو ما أطلق عليه النحو الكلى universal Grammar، كل تلك تصورات تشومسكي تدعم تصوره العقلاني لطبيعة اللغة.

من الجدير بالذكر، أن تشومسكى لم يتأثر فقط بالفلسفة العقلية وفلاسفتها خصوصًا ديكارت، بل تأثر بعلماء اللغة الذين وضعوا أسس الإطار العقلي في علم اللغة، أمثال نحاة بور رويال، جوهان هيردر، فون همبولدت، وسوف يتضح ذلك الأثر من خلال عرض مبسط لأفكارهم العقلية فى علم اللغة.

---

(1) Ibid.,p.378.

(2) نعوم تشومسكى: " اللسانيات والعلوم الإنسانية "،.ترجمة مصطفى المسناوى، مجلة بيت الحكمة، العدد السادس، اكتوبر 1987، الدار البيضاء ص 19.

أولاً: بور رويال: Port – Royal

إن الحركة العقلية جعلت نفسها ملموسة فى إنتاج القواعد الفلسفية خاصة تلك القواعد المرتبطة بمدارس بور رويال الفرنسية، ويمكن أن نرى تأثيرها فى القواعد مستمرًا فى القواعد العقلية والقواعد العامة للقرن الثامن عشر، [1] فقد جعلوا ديكارت وليس أرسطو هو الأساس لمذهبهم.[2] فالأساس المتصور عندهم العقل والتفكير الإنسانيان. [3] لقد أخذوا فكرتهم الرئيسية من المنطق المدرسى لانه عُدل عن طريق العقلانية، ويتمثل هدفهم الرئيسي فى إنتاج النحو الفلسفى الذى يهتم بما هو عام فى أنحاء اللغات – النحو العام – ولكن ليس النحو الكلي على نحو قبلي. [4]

إن نحو بور رويال جذب الانتباه حديثًا، لأنه يستعمل صياغات تركيبية تشبه فى تفاصيلها القواعد التحويلية المعاصرة، التي تشكل العلاقة بين العناصر المتنوعة للجملة. [5] (ولقد لفت نحو بورت رويال نظر تشومسكى وأثار اهتمامه وفضوله مما دعاه للبحث والقراءة عنه، يقول تشومسكي عن هدف نحو بور رويال: « صياغة نحو عقلاني rational grammar، أى بناء نحو يتجاوز الوصف كى يتوصل إلى تفسير عقلاني للظواهر اللغوية". [6] ويجدر أن أوكد أن سعى تشومسكى الأساسي كان بناء نظرية عقلانية تفسيرية للظاهرة اللغوية، وليس مجرد الوصف للظاهرة اللغوية كما سعي بلومفيلد وأتباعه.

وتؤكد نظرية بور رويال أن الجملة لها جانبان، أولاً: جانب عقلى داخلى يمثل البنية العميقة التي تنقل المعنى، ثانيًا: جانب خارجى يمثل الجانب الفيزيائى

---

(1) ر. هـــ. روبنز. موجز تاريخ علم اللغة. ترجمة أحمد عوض. عالم المعرفة الكويت نوفمبر 1997 ص207.

(2) المرجع السابق: 208.

(3) المرجع السابق: 209.

(4) Robert Gwin and Others, The New Encyclopedia Britannica,p.51.

(5) Ibid.,p. 51.

(6) نعوم تشومسكي، اللغة والعقل، ترجمة إبراهيم مشروح ومصطفى خلال، الناشر تانسيفت مراكش، 1993ص25.

الصوتى [1]. وذلك يماثل تصور تشومسكى للغة، حيث يقول: « إن للغة جانبًا داخليًا وجانبًا خارجيًا، حيث يمكن أن تدرس الجملة من زاوية كيفية تعبيرها عن الفكر أو من زاوية شكلها الفيزيائى، أى من زاوية التفسير الدلالى، أو التفسير الصوتى » [2] وأطلق على الأولى البنية العميقة والثانية البنية السطحية. ورأى أن البنية العميقة التي تعبر عن المعنى عامة فى كل اللغات، إنها انعكاس بسيط لصور التفكير. أما القواعد التحويلية التي تحول البنية العميقة إلى بنية سطحية تختلف من لغة إلى أخرى.... تعد البنية العميقة بنية عقلية مجردة توصل المحتوى الدلالى للجملة. [3]

إن تشومسكي عندما قام بتحليل مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية، لم يغفل الجانب الفيزيائى للجسم الإنسانى وأيضًا لم يغفل الجانب العقلى ولم يرد أحدهما للآخر، كما فعلت السلوكية المنطقية وردت الجانب العقلي أو النفسي إلى ما هو فيزيائي أو السلوكية اللغوية التي أنكرت تمامًا الجانب العقلى مما دفعها إلى إنكار دراسة المعنى حيث اعتبرت النظرية السلوكية المعنى علاقة بين المثير والاستجابة اللفظية، وتجنب أتباع بلومفيلد تأسيس التحليل النحوى للغة اعتمادًا على الاعتبارات الدلالية.[4] ومن هنا جاء تميز فلسفته اللغوية بإلمامها بالجوانب الفيزيائية والعقلية للطبيعة البشرية.

ثانيًا: جوهان هيردر:

لقد أثر الفيلسوف وعالم اللغة الألمانى جوهان هيردر Johan Herder فى علم اللغة العقلاني، فلقد تأثر به فون همبولت وفى عصرنا تأثر به تشومسكى. أكد هردر على اعتقاده أن الإنسان يولد ومعه اللغة وملكة التفكير وأن اللغة لا يخترعها الإنسان. وأن الإبداع اللغوى قائم على مبادئ العقلانية الديكارتية. ولقد تشابهت حجته مع حجة تشومسكى الذى دافع عن اكتساب الأطفال لغتهم المحلية

---

(1) Noam Chomsky, Cartesian Linguistics, p.40.

(2) Ibid.,pp. 32 - 33.

(3) Ibid.,p. 35.

(4) Robert Gwin and Others, The New Encyclopedia Britannica,p.53.

من دون تعلم أية قواعد. يعتقد هيردر أن ملكة اللغة فطرية وأن اللغة جزء من الإنسان سواء منحت له أو ابتكرها. لقد أكد أيضًا على كلية اللغة حيث يدعي أن كل لغات العالم المتنوعة نشأت عن لغة واحدة تفسر العديد من الخصائص العامة التي تتشارك فيها كل اللغات. [1]

لقد أكد هردر على تلازم اللغة والتفكير، فاللغة هى أداة التفكير الإنسانى ومادته وصورته. وأجاب عن مسألة أسبقية اللغة أو التفكير بقوله إنه ما دام كل منهما يعتمد فى وجوده على الآخر، فإن الاثنين لهما أصل مشترك، وقد أحرز الإنسان تقدمه فى كل منهما بخطوات متساوية مطورًا لملكة يملكها وحده، بوصفه نوعًا متميزًا عن بقية المملكة الحيوانية كلها. [2]

ثالثًا: فون همبولدت:

يعرف فون همبولدت اللغة بأنها ليست سلسلة من المنطوقات الفعلية المنتجة عن طريق المتكلمين، ولكنها مبادئ أو قواعد ضمنية سمحت للمتكلمين بإنتاج مثل هذه المنطوقات، علاوة على ذلك انتاج عدد غير محدود من تلك المنطوقات. [3]ويميز فى اللغة بين الصورة الداخلية والصورة الخارجية. تمثل الصورة الخارجية للغة (الأصوات) المادة الأولية التي صنعت اختلاف اللغات. أما الصورة الداخلية للغة تمثل نمط أو بنية النحو والمعنى التي استغلت المادة الأولية والمميزة للغة عن لغة أخرى. [4]

لقد تأثر همبولدت بأفكار ديكارت، حيث وجد التأكيد الديكارتى على المظهر الإبداعى لاستعمال اللغة باعتباره الصفة الجوهرية والمحددة للغة الإنسانية أقوى تعبير له فى محاولة همبولدت لتطوير نظرية شاملة لعلم اللغة العام. يصف فيها

---

(1) Moha Ennaji and Other, Introduction to Modern Linguistics, Oxford:Ariqueorient Press,1998.p.18.

(2) ر. هـــ روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ص 249.

(3) المرجع السابق: 52.

(4) المرجع السابق: 52.

اللغة بأنها مقدرة إبداعية مفضلاً ذلك على كونها محصلة لأفعال الكلام. (1)

إن نظريته فى اللغة تؤكد على القدرة اللغوية الإبداعية الكامنة فى عقل أو مخ كل متكلم. واللغة يجب أن تتماثل مع القدرة الفعالة التي ينتج بها المتكلمون الأقوال وبها يفهمونها، ولا تتماثل مع المحصلة الملاحظة لأفعال الكلام والكتابة. والقدرة اللغوية عبارة عن جانب جوهرى من جوانب العقل الإنسانى.(2)

إنه يؤكد جازمًا بأننا نجد نسقًا كليًا –يتضمن كل لغة إنسانية – يعبر ببساطة عن الصفات العقلية الوحيدة لدى الإنسان، نسق يتضمن كل لغة إنسانية.من ثم كان بإمكانه أن يدافع – لهذا السبب – عن الفكرة العقلانية القائلة: إن اللغة ليست شيئًا يحفظ –ليست بكل تأكيد شيئا يتعلم – بل إنها تنمو بالأحرى (من الداخل) وذلك بكيفية محددة سلفًا، حين تتوفر شروط الوسط الملائمة. لقد أكد همبولدت أنه لا يمكن تعليم لغة أولى حقًا، بل يمكن فقط منح الخيط الذى تتبلور على طوله بمفردها وذلك عن طريق عمليات أكثر قربًا للنضج منها للتعلم. (3)

لقد تأثر تشومسكى بذلك التيار العقلى فى علم اللغة، وسار على نفس المنهج العقلى، مبرزًا دور العقل / المخ فى اللغة وما يتصل بها من عمليات مثل اكتساب اللغة واستعمالها.

ومجمل القول جاءت عقلانية تشومسكي كرد فعل قوى ضد الاطار السلوكي التجريبي، وفى الامكان رسم صورة بالكلمات توضح نقاط الاختلاف البارزة بين مدخل تشومسكي العقلاني والمدخل التجريبي السلوكي، حيث يقع تصور اللغة لدى تشومسكي تحت مسمي اللغة المثالية، على حين يقع التصور التجريبي السلوكي تحت مسمي اللغة الواقعية، يتضح ذلك على النحو التالي: (4)

---

(1) Noam Chomsky, Cartesian Linguistics, p.19.

(2) د.هـــ. روبنز. موجز تاريخ علم اللغة ص 285.

(3) نعوم تشومسكي، اللغة والعقل، ص103.

(4) Robert de Beaugrande ,Performative Speech Acts in Linguistic Theory: the Rationality of Noam Chomsky, Available Online At: http://www.beaugrand. com/chomprag. htm.p19 - 20.

1 – تهتم اللغة الواقعية باللغة الخارجية, بينما تهتم اللغة المثالية باللغة الممثلة داخليًا.

2 – تهتم اللغة الواقعية بالمنطوقات, بينما تهتم اللغة المثالية بالجمل.

3 – تهتم اللغة الواقعية بالمقبولية, على حين تهتم اللغة المثالية بالصحة النحوية.

4 – تهتم اللغة الواقعية بمجموعة المنطوقات العرضية والمتناهية, بينما تهتم اللغة المثالية بسلسلة غير متناهية من الجمل.

5 – تهتم اللغة الواقعية بالأداء اللغوى, بينما تهتم اللغة المثالية بالقدرة اللغوية.

6 – تهتم اللغة الواقعية بالبنية السطحية, بينما تهتم اللغة المثالية بالبنية العميقة.

7 – تهتم اللغة الواقعية بعلم اللغة البنيوى التصنيفى, على حين تهتم اللغة المثالية بعلم اللغة التوليدى.

8 – تهتم اللغة الواقعية بالأنحاء غير الكافية, بينما تهتم اللغة المثالية بالأنحاء الكافية.

9 – تهتم اللغة الواقعية بالوصف, بينما تهتم اللغة المثالية بالتفسير.

10 – تهتم اللغة الواقعية باستعمال اجراءات الكشف, بينما تهتم اللغة المثالية باستخدام الحدس/ الاستبطان / العمل التخمينى.

11 – – تهتم اللغة الواقعية بالكلام الملاحظ, بينما تهتم اللغة المثالية بالحقائق غير القابلة للملاحظة.

12 – تهتم اللغة الواقعية بالمعلومات المستقاة من الرواة, على حين تهتم اللغة المثالية بالمعلومات المستقاة من اللغوى نفسه.

13 – تهتم اللغة الواقعية بالمتكلم / المستمع الواقعى, بينما تهتم اللغة المثالية بالمتكلم / المستمع المثالى.

14 – تهتم اللغة الواقعية بالانحراف عن القواعد, بينما تهتم اللغة المثالية بالمعرفة الكاملة.

15 – تهتم اللغة الواقعية بالجماعات اللغوية المتغايرة, على حين تهتم اللغة المثالية بالجماعات اللغوية المتجانسة.

16 – تهتم اللغة الواقعية بالاعتماد على السياق الموقفى, بينما تهتم اللغة المثالية بالاعتماد على النحو الكلى.

17 – تهتم اللغة الواقعية باتباع الدليل الحالى, على حين تهتم اللغة المثالية باتباع المعرفة الفطرية.

18 – تهتم اللغة الواقعية بالمدخلات, بينما تهتم اللغة المثالية بالمخرجات.

19 – تهتم اللغة الواقعية بالمعلومات وتعدها أولية, بينما تهتم اللغة المثالية بالمعلومات وتعدها ثانوية.

20 – تحفل اللغة الواقعية بالتشابهات الأجتماعية, بينما تخص اللغة المثالية بالتشابهات البيولوجية والتشريحية.

21 – تتبنى اللغة الواقعية المذهب التجريبى والسلوكية, تتبنى اللغة المثالية المذهب العقلانى.

9 – تعقيب

وجد تشومسكي أن غايته في وضع علم اللغة في مصاف العلوم الطبيعية تتفق مع تبنيه العقلانية، فدفعه ذلك إلى تفنيد المذهب السلوكي التجريبي بمختلف صوره، مؤكدًا نجاح العقلانية في تحقيق بغيته والتي ترمي إلى بناء نظرية عقلية تفسيرية ترتقي بعلم اللغة من مرحلة الوصف إلى مرحلة التفسير.

الفصل الرابع
اكتساب اللغة

1 – تمهيد.

2 – طبيعة المعرفة اللغوية.

3 – نظريات تعلم اللغة من المنظور السلوكي التجريبي: سكينر، بلومفيلد، كواين.

4 – نقد تشومسكي للنظرية السلوكية في تعلم اللغة.

5 – التصور العقلاني لاكتساب اللغة عند تشومسكي:

5 – 1 – نمو اللغة.

5 – 2 – فرض الفطرية.

5 – 2 – 1 – النحو العام.

5 – 2 – 2 – اللغة الداخلية.

5 – 2 – 3 – اعتراضات علي فرض الفطرية.

6 – تعقيب.

1 – تمهيد

شغلت قضية اكتساب المعرفة اللغوية مركز الصدارة في فلسفة اللغة عند تشومسكي، وتناولها داخل الإطار العقلاني الذي دافع عنه داحضًا التصورات الابستمولوجية التجريبية دحضًا تامًا. وفي هذا السياق يقول: « من الصواب تاريخيًا وصف آرائي المتعلقة ببنية اللغة بإيجاز على أنها تصور عقلاني لطبيعة اللغة،. يضاف إلى ذلك أنها تؤيد ما يمكن أن يسمى التصور العقلاني لاكتساب المعرفة، إذا اعتبرنا أن جوهر هذا الرأي هو أن الصفة العامة للمعرفة، والمقولات التي يعبر بها عنها أو التي تتمثل بها داخليًا، والمبادئ الأساسية التي تكمن خلفها، محددة بطبيعة العقل، وفي حالتنا فإننا نعزو للبنية العقلية خاصة فطرية لجهاز اكتساب اللغة تحدد صورة المعرفة، ويتمثل دور الخبرة في كونها الباعث لتلك البنية الفطرية[1] »، ويقترح قائلاً: « إن البحث المعاصر في علم اللغة يدعم نظرية في المبادئ الأولية من الناحية النفسية تتشابه بصورة مذهلة مع المذهب التقليدي للأفكار الفطرية[2].

وفي الإمكان تحديد مشكلة اكتساب اللغة أو – كما أطلق عليها تشومسكي مشكلة أفلاطون في السؤال التالي: « كيف نكتسب المعرفة الغنية والمحددة أو أنساق الاعتقاد والفهم في حين أن الدليل المتاح لنا ضئيل للغاية؟ وإذا طبقنا ذلك التساؤل على اللغة، فإن معرفتنا للغة معقدة ومجردة في حين أن خبرتنا اللغوية التي نحصل عليها ضئيلة ومحدودة للغاية. ومن ثم لا تستطيع عقولنا خلق هذه المعرفة المعقدة على أساس من المعلومات الضئيلة المتاحة، بل يجب أن تأتي تلك المعرفة عن طريق آخر. ويعد أفلاطون أول من أثار تلك المشكلة وقدم لها

---

(1) (1) Noam Chomsky, "Recent Contributions to the Theory of Innate Ideas," in Innate Ideas, (ed.) by Stephen Stichp, University of California Press, p. 129.

(2) (2) Fred D' Agostino, Chomsky' s System of Idea , p. 61.

تفسيرًا، فلقد أكد أفلاطون على حصولنا على تلك المعرفة من ذكريات الوجود القبلي على حين تمثل تفسير تشومسكي في تأكيده أن المعرفة الغنية المعقدة تأتي من الخصائص الفطرية للعقل[1]. وذلك يؤكد عقلانية تشومسكي التي ستتضح معالمها خلال هذا الفصل.

تجدر الإشارة إلى التمييز المفاهيمي في طبيعة مشكلة اكتساب اللغة بين المشكلة المنطقية في اكتساب اللغة logical problem of language acquisition في مقابل المشكلة النفسية في اكتساب اللغة psychological problem of language acquisition، "تعني المشكلة المنطقية في اكتساب اللغة"[2] وهى مشكلة أفلاطون ذلك التساؤل السابق الذي تم طرحه، على حين تكمن المشكلة النفسية في اكتساب اللغة في مشكلة "الزمن الفعلي للاكتساب real time: كيف يكتسب الطفل في مراحل تمثل فترة من الزمن، تشكل المراحل الأولى التي تؤلف أساس المراحل التالية؟ لا تسعى فلسفة اللغة عند تشومسكي لتقديم حل للمشكلة النفسية، إنما تركز على تلك المشكلة بقدر ما تسهم به في فهم المشكلة المنطقية لاكتساب اللغة. [3]

إن ظاهرة اكتساب اللغة عن الأطفال تدهش الآباء، والعلماء، والمعلمين، وذلك من الزاوية التالية: كيف نستطيع أن نفسر حقيقة أن كل طفل بدون تدريب خاص، وبتعرضه لمعلومات لغوية سطحية المستوى في تفاعله يبني لنفسه – في فترة قصيرة وفي مرحلة غير منطقية (سابقة على المنطق) في تطوره الإدراكي – مستوًى عميقًا مجردًا ونسقًا معقدًا جدًا من البنية اللغوية. وذلك يمثل فقط البداية، وبالإضافة إلى اكتسابه بنية لغة مجتمعه يكتسب الطفل نسقًا من القواعد الضمنية المعقدة التي تتحكم في استخدامه للغة. [4]

يبدو أن اكتساب اللغة جزء أساسي من إنسانيتنا our human – ness:

---

(1) V.Cook, Chomsky's Universal Grammar, New York: Basil Blackwell, 1981, p. 55.

(2) Rudolf Botha, Challenging Chomsky, New York: Basil Blackwell, 1989, p. 13

(3) Ibid., p. 13.

(4) Judith Lindfors, Children' s Language and Learning, New Jersey: Prentice - Hall, Inc, 1980, p. 91.

؛لأن الأطفال الأقل ذكاء والأكثر ذكاًء يكتسبون اللغة، الأطفال الأثرياء أو الأقل ثراء يكتسبون اللغة، الأطفال الأصحاء أو الأقل صحة يقدرون على اكتساب اللغة، الأطفال الأقل أو الأكثر عاطفة يكتسبون اللغة سواء نشأ الطفل في مجتمع تقليدي أو تكنولوجي، وداخل عائلة ممتدة كبيرة أو عائلة صغيرة، وفي جزيرة أو مجتمع ريفي أو حضري، وفي فيلا أو شقة أو خيمة، سواء بمدرسة أو بدون، فالطفل سوف يكتسب لغة مجتمعه [1]. أصبحت بذلك أطروحة اكتساب اللغة لغزًا محيرًا دفع تشومسكي إلى محاولة تفسيره.

من ثم أصبحت إشكالية اكتساب اللغة من الموضوعات الرئيسة في العلم الإدراكي cognitive science ؛حيث تحاول كل نظرية عن الإدراك تفسير تلك الإشكالية، ومن المحتمل القول إن أي موضع أخر لا يثير جدلاً مثلما يثيره هذا الموضوع، حيث يعد امتلاك اللغة possessing a language سمة إنسانية جوهرية، كل البشر الطبيعيون يتكلمون، ولا يفعل ذلك الحيوان، تعد اللغة الأداة الرئيسة التي بواسطتها نعرف تفكير الآخرين، وفي كل مرة نتحدث نكتشف شيئًا حول اللغة، وبناء عليه فإن الحقائق التي تدور حول بنية اللغة من السهل أن تأتي من هذه المعلومات التي ينظر إليها باعتبارها نسقًا معقدًا فوق العادة، والبرغم من ذلك فإن اللغة الأولى شيء يفعله كل طفل بنجاح، خلال عدد قليل من السنين وبدون الحاجة إلى دروس منهجية[2].

لقد بدأت الدراسة العلمية لاكتساب المعرفة تقريبًا في نفس الوقت الذي ولد فيه علم الإدراك في أواخر 1950. ويبدو ذلك بالنسبة لستيفن بنكر حدثاً لم يتم عن طريق الصدفة ولكن كان الحافز التاريخي عليه مقالة نعوم تشومسكي (1959) «مراجعة السلوك اللفظي لسكينر. ففي ذلك الوقت / أصبح لدى علماء الطبيعة الأنجلو - أمريكي، وعلماء الاجتماع، والفلاسفة إجماع فعلي على الإجابة المتعلقة باكتساب اللغة، فالعقل يتألف من قدرات حس حركية إضافة إلى عدد قليل من

---

(1) Ibid., p. 92

(2) Steven, Pinker, " Language Auquistion", Available OnLine at: http//www:ecs.stotn.ac.uk/harnad/papers/py/04/pinker.languac.html,p.5.

القوانين البسيطة للتعلم تحكم التغيرات التدريجية في الذخيرة السلوكية عند الكائن الحي، بالإضافة إلى ذلك فإن اللغة يجب أن تكون متعلمة، والسلوك يجب أن يكون صورة للسلوك اللفظي، طالما أن السلوك اللفظي هو المظهر الرئيس للفكر الذي يمكن أن نلاحظه على نحو خارجي.(1)

كانت النظرية السلوكية في الخمسينيات المسيطرة على حقل دراسات تعلم اللغة، وتأثرت السلوكية في تعلم اللغة بأعمال سكينر، وتقوم النظرية السلوكية على النظرة التجريبية للغة والسلوك الإنساني عمومًا،. يتضح ذلك من خلال تصور السلوكيين أن تعلم اللغة محدد كلية بالبيئة اللغوية التي ينمو فيها الطفل، وأن اللغة وتعلمها يخضعان معاً لقوانين الإشراط conditioning والمثير – الاستجابة والدور المهم للملاحظة وتجميع المعلومات، بالإضافة إلى ذلك أصبح التعزيز العامل الحاسم في اكتساب اللغة القومية؛ لأنه يسمح بتعميم نماذج التعلم حتى ينتج الأطفال اللغة التي تشبه اللغة التي تعززت من الوالدين في أغلب الحالات، وعليه يصبح التعزيز قوي بالمحاكاة (2).

لقد اعتقد العلماء حتى عام 1950 في أن اكتساب اللغة يحدث من خلال التمثيل القياسي لملاحظة أنماط الجمل الحاصلة في التعبيرات التي يسمعها الطفل ويفهمها، وذلك ما فضله الأشخاص الذين يميلون إلى التفسير السلوكي لعمليات التعلم الإنساني مثل اللغوي الأمريكي ليونارد بلومفيلد.(3)

دحض تشومسكي تلك التصورات التجريبية السلوكية لاكتساب اللغة، معلنًا أن اكتساب اللغة يعتمد على نموذج فطري خاص بالجنس البشري يختلف عن الذكاء العام، وكل البشر الأسوياء يأتون إلى العالم ومعهم ملكة فطرية لاكتساب اللغة، واستعمال اللغة وتشكيل قواعدها. (4)

---

(1) Ibid.,p.6.

(2) Moha Ennaji, and other, Applications of Modern Linguistics, Afrique Orient Press, p. 40. بتصرف

(3) Robert Gwin and Others, The New Incyclopedia Britannica, Vol. 22, p. 577.

(4) Ibid., p. 577.

قام تشومسكي بتحليل المعرفة اللغوية إلى أربع عناصر من خلال تساؤلات تغطي جوانب تلك المعرفة ؛ حيث يعني القول إن المرء يتكلم لغة بعينها أنه قد ثقف نظاماً من المعرفة ممثلاً بكيفية ما في عقله، ومن ثم في مخه في صورة تركيب مادي معين وصاغ الأسئلة على النحو التالي:

1 - ما الذي تتألف منه معرفة اللغة؟

2 - كيف تكتسب معرفة اللغة؟

3 - كيف تستخدم معرفة اللغة؟

4 - ما العمليات العضوية التي تدخل في تمثيل هذه المعرفة واكتسابها واستعمالها؟ [1]

يتناول هذا الفصل الإجابة على التساؤل الثاني المتمثل فيما اسماه تشومسكي «مشكلة أفلاطون»، وقد عبر الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل عن تلك المشكلة قائلاً « كيف تستطيع الكائنات الإنسانية أن تكتب هذه المعرفة الثرية غير المحدودة بالرغم من اتصالها المختصر والشخصي والمحدود مع العالم؟ « كيف نحصل على مثل هذه الأنساق المعرفية الغنية من خبرتنا الجزئية الفقيرة؟ [2]ويجدر البدء بتحديد طبيعة المعرفة اللغوية.

---

(1) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1990، ص15.

(2) Noam Chomsky, Reflection on Language, New York: Pantheon Books,1975,p. 5.

2 - طبيعة المعرفة اللغوية:

يرفض تشومسكي تعريف المعرفة بأنها القدرة أو الاستعداد أو المهارة، ولذلك ينتقد كل التصورات التي تقارب المعرفة من تلك المفاهيم السابقة، ويصرح قائلاً: « معرفة اللغة ليست مهارة أو سلسلة من العادات أو أي شيء آخر من هذا النوع، إن معرفة اللغة لا تناقش بأي أسلوب مفيد أو غني في هذا الإطار المفتقر إلى الخصوبة[1].“، علاوة على ذلك، يرفض تشومسكي تصنيف المعرفة إلى ”معرفة أن“ know that و”معرفة كيف “ know how.

لنبدأ بتصنيف المعرفة إلى معرفة كيف ومعرفة أن حيث ترجع تلك التفرقة إلى تمييز جلبرت رايل بين «معرفة كيف» «knowing how» و”معرفة أن“ «knowing that» في كتابه“ مفهوم العقل“ 1949 قائلاً: توجد أوجه تشابه معينة، وكذلك أوجه اختلاف محددة بين ”معرفة كيف“ و”معرفة أن“. نحن نتحدث عن تعلم كيف learning how تلعب على آلة موسيقية بالإضافة إلى تعلم أن learning that شيئا ما القضية، اكتشاف كيف تشذب الأشجار يختلف عن اكتشاف أن الرومان يخيمون في مكان معين, ونستطيع أن نتساءل كيف بالإضافة إلى تساؤلنا ما إذا whether، من ناحية أخرى نحن لا نتحدث أبداً عن كيفية اعتقاد الشخص أو رأيه. ومع ذلك من الملائم السؤال عن خلفيات أو أسباب قبوله قضية من القضايا، فليست المسألة السؤال عن مهارة الشخص في استثمار الأموال[2].

وتمثل معرفة اللغة عند رايل معرفة كيف، كيف تستطيع أن تحدث اللغة فهي بذلك تعني لديه ضرب من القدرة أو المهارة ويحذو هيرمان Herman حذو رايل، يقول تشومسكي عن هيرمان ” يوجد لديه نوعان من المعرفة: ”معرفة أن

(1) Noam Chomsky,"Linguistics and Philosphy," in, Language and Philosophy (ed.) by Sidney Hook: University Press, 1969, p. 87.

(2)) Gilbert Ryle, The Concept of Mind, p. 29.

" و"معرفة كيف "، والملاحظ أن معرفة اللغة ليست "معرفة أن " ولكنها بالنسبة له يجب أن تكون " معرفة كيف ". المتكلم المثالي " يعرف كيف يفهم غيره من المتكلمين."[1]طبقاً لهيرمان " القدرة على كلام اللغة وفهمها " تعتبر مهارة skill تناظر مهارة ركوب الدراجة.يؤكد تشومسكي رفضه لتلك التفرقة قائلاً " لا يبدو بالنسبة لي صحة أن تصورات " معرفة كيف " ومعرفة أن تؤلف مقولات شاملة لتحليل المعرفة[2].

هناك من يعتقد أن تحدث اللغة وفهمها لا يعني أكثر من وجود قدرة عملية لدى المتكلم تشبه القدرة على ركوب الدراجة أو لعب الشطرنج،. وترى هذه النظرة بصفة عامة. أن وجود المعرفة اللغوية لدى المتكلم لا يعني أكثر من أن لديه بعض القدرات والمهارات، وكثيرًا ما كان يعتقد أن القدرات والمهارات يمكن تجريدها لتكون نوعًا وحسب من العادات والاستعدادات [3]. ومن هنا عرفت المعرفة بأنها ضرب من القدرة أو الاستعداد أو المهارة.

يعتقدا نتوني كوني في أن المعرفة ضرب من القدرة ذلك يقول: « العقل قدرة على السلوك بأنواع معقدة ورمزية، والتي تشكل الفاعليات اللغوية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية، والفاعليات الأخرى المميزة للكائنات البشرية في المجتمع، والعقل البشري بمعناه الأساسي قدرة وليس فاعلية؛ وذلك لأن الأطفال لديهم عقول حتى على الرغم من أنهم لم يظهروا بعد فاعليات فكرية،. والعقل قدرة من المستوى الثاني، أي قدرة على اكتساب القدرات أو امتلاكها، ومعرفة اللغة هي امتلاك القدرة، أي قدرة على التكلم باللغة وفهمها وربما قراءتها. وامتلاك العقل هو امتلاك قدرة عند درجة إضافية، أي: قدرة على اكتساب قدرات من قبيل معرفة اللغة « [4]. ويعارض تشومسكي ذلك التصور عند كيني؛ لأن المعرفة أو الفهم أو الاعتقاد مستوى أكثر تجريدًا من القدرة.

---

(1) Noam Chomsky, "Linguistics and Philosphy", p. 86.

(2) Ibid., p. 87.

(3) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة،20.

(4) صلاح إسماعيل: "فلسفة العقل عند فتجنشتين"، ص44.

يعد دميت ممن يؤيدون القول بأن المعرفة قدرة ؛ ونظر إلى اللغة باعتبارها ممارسة اجتماعية، ويعترض تشومسكي على ذلك التوجه قائلاً: « لو قمنا بتفسير اللغة باعتبارها ممارسة اجتماعية، لأغرانا ذلك على فهم معرفة اللغة باعتبارها القدرة المتعلمة للمشاركة في هذه الممارسة كما اقترح دميت – وعلى نحو أكثر عمومية – القدرة التي نمارس بواسطتها الكلام، الفهم، القراءة، الحديث مع النفس، « معرفة اللغة هي القدرة على فعل هذه الأشياء وما شابهها »، هذا الإغراء مدعم بالتفسير العام للمعرفة على أنها ضرب من القدرة[1]

يؤكد تشومسكي أن امتلاك القدرة على فعل كذا وكذا ليست هي كيفية عمل الشيء، فهناك عنصر فكري هام في « معرفة كيف » [2]. وبذلك يتفق تصور اللغة على أنها نهج توليدي يعزو الأوصاف البنيوية إلى التعبيرات اللغوية وأن معرفة اللغة هي التمثيل الداخلي لهذا النهج في المخ[3].

يفند تشومسكي قول المعرفة بأنه القدرة على النحو التالي:

أ – لنتصور أن هناك شخصين على مستوى واحد من المعرفة باللغة الأسبانية بحيث يتساوي عندهما نطق الكلمات ومعرفة معانيها وفهم تركيب الجمل، ومع ذلك، فهما قد يختلفان اختلافًا كبيرًا في استعمال اللغة. بل إن ذلك يحدث فعلاً، فقد يكون أحدهما شاعرًا عظيمًا، أما الآخر فلا يستعمل إلا اللغة السوقية [4].

ب – قد تتحسن القدرة من غير أن يصاحب ذلك تغير في المعرفة، وهو ما يحدث لو درس شخص ما الخطابة أو الإنشاء فيصلح من قدرته على استعمال اللغة من غير أن يضيف شيئًا جديدًا إلى معرفته بها[5].

---

(1) Noam Chomsky, New Horizons in the Study of Language and Mind, Cambridge: Cambridge University Press, 2000,p. 50.

(2)) Noam Chomsky, Rules and·Representations, p. 4.

(3) Noam Chomsky,New Horizons in the Study of Language and Mind, p. 50.

(4) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، ص20.

(2) المرجع السابق,ص20.

(5) (3) المرجع السابق,ص20.

جـ – قد تتعرض القدرة للخلل أو الفقد كلية من غير أن يتبع ذلك فقد للمعرفة[1].

وبناء على ما سبق أثبت مدخل دراسة اللغة باعتباره القدرة العملية عدم فاعليته تمامًا. ويبدو أن الطريق الصحيح لدراسة المعرفة الإنسانية – معرفة اللغة على وجه الخصوص – دراستها داخل الإطار العام للعلوم الطبيعية، وقد أثبت ذلك المدخل إثماره[2].

يدعم تصوره للمعرفة اللغوية بأنها التمثيل الداخلي للنهج التوليدي في المخ، موقفه المسمى الذاتية اللغوية linguistic subjectivicism أي أن كيانات مؤلفة ذاتيًا تختلف عن الذرات والكائنات الحية والجمادات، إن معرفتنا عن الذرات، على سبيل المثال، تمثيلية representational، فالذرات توجد ولها خصائصها المستقلة عن اعتقاداتنا عنها. تسجل اعتقاداتنا عن الذرات محاولاتنا لتمثيل هذه الكيانات الموجودة على نحو مستقل وخصائصها. طبقًا للذاتية اللغوية، اللغات لا تشبه الذرات لأنها غير موجودة وليست لها خصائص مستقلة عن اعتقاداتنا عنها. اللغة لها الخصائص التي نمنحها نحن لها وليس بسبب أن هذه الخصائص هي التمثيل الصحيح. وبذلك ينظر تشومسكي للغة قائلاً " اللغة ليس لها وجود بصرف النظر عن تمثيلها العقلي" عن طريق مستعمليها وخصائصها " التي يجب أن تكون معطاة عن طريق العمليات العقلية الفطرية للكائن الحي الذي اخترعها ويخترعها من جديد مع كل جيل ناجح "[3].

---

(1)

(2) Noam Chomsky, New Horizons in the Study of Language and Mind, p.58.

(3) Fred D' Agostino, Chomsky' s System of Idea, p. 5.

3 – نظريات تعلم اللغة
من المنظور السلوكي التجريبى

يفضل أصحاب علم اللغة النفسي مصطلح «اكتساب» acquisition على مصطلح "تعلم" learning،وذلك لأن التعلم يستخدمه علماء النفس بمعنى تقني ضيق،. ويرى العديد من علماء علم اللغة النفسي أنه لا توجد نظرية نفسية للتعلم – من النظريات المصاغة حاليًا – قادرة على تقديم تفسير مقبول للعملية التي يستطيع الأطفال خلالها – في فترة قصيرة نسبيًا – تحقيق التحكم الدقيق في لغتهم المحلية native language [(1)]. وترى الباحثة من خلال قراءة أعمال تشومسكي أنه يفضل مصطلح اكتساب اللغة على تعلمها ويفضل على نحو واسع مصطلح نمو اللغة language grow ويعطيه مزيدًا من الدعم لإيضاحه الأبعاد العقلية / المخية لاكتساب اللغة الإنسانية.

يعد مصطلح اكتساب اللغة متضمنًا لكل من:

1 – الاكتساب الطبيعي للغة الأولى عند الفرد.

2 – الاكتساب الطبيعي للغة الثانية أو للغات متعددة.

3 – اكتساب اللغة الثانية في بيئة تعلم صورية.

4 – إعادة تعلم اللغة الأولى في العلاج النفسي.

وما يعنينا هنا اكتساب اللغة الأولى. وظهرت في الفترة من 1950 إلى 1980 خمس فرضيات تتعلق باكتساب اللغة الأولى، وهي:

أولاً: الفرضية السلوكية التجريبية حيث يرى سكينر أن عمليات تعلم اللغة ترجع إلى الخبرة، التقليد، الإشراط الانتقائي.

---

(1) Robert Gwin, and Others ,The Encyclopedia Britannica, V. 23, p. 68.

ثانيًا: الفرضية الفطرية: التي نشأت من نقد تشومسكي لسكينر، وتقرر أن اكتساب اللغة عملية مستقلة للنضج تقوم على آلية فطرية لاكتساب اللغة، وتؤكد هذه الفرضية على تنمية القدرة اللغوية وتبني الإطار العقلاني في اكتساب اللغة رافضة الإطار التجريبي، وأطلق عليها تشومسكى النظرية العقلية.

ثالثًا: الفرض الإدراكي: الذي يفسر العلاقة بين تنمية الإدراك والقدرات العقلية.

رابعًا: فرضية العرف الاجتماعي التي تعطي الأولوية للتنشئة الاجتماعية والتفاعل(1).

خامسًا: الفرضية البنائية constructivism أو التفاعلية interactionism ترتكز على قضية أساسية مؤداها أن نمو القدرة اللغوية يأتي نتيجة للتفاعل بين الطفل وبيئته(2).

ينظر للتعلم في الفلسفة وعلم النفس على نحو تقليدي باعتباره الحل المحتمل لمشكلة المعرفة، فلكي نجيب على التساؤل كيف يتأتى للإنسان أن تكون لديه معرفة عن العالم؟ في هذا السياق تتمثل الإجابة في دراسة التعلم التي تصبح أساسية لدراسة العقل الإنساني. الفلاسفة التجريبيون مثل لوك، هيوم يتصورون المعرفة على أنها نسق من الأفكار المتداعية " نسق تداعي الأفكار " system of association، فقد وضع هيوم المبادئ التي تفسر كيف تألفت هذه التداعيات، على سبيل المثال: مبدأ التماس "التجاور" contiguity ينص على أنه لو أن فكرتان حدثتا بالقرب من بعضهما وفي نفس الوقت إذن يحدث تداعي بين هاتين الفكرتين(3)،ومع القدرة السلوكية في علم النفس الأمريكي في القرن العشرين، عُدلت نظرية التداعي لأنه لم يعد هناك تداعي بين الأفكار. على الأصح أصبح التداعي بين المثير والاستجابة، ومع ذلك أصرت المفاهيم الضمنية الأساسية لنظرية التداعي على تمثيل المعرفة الإنسانية في نسق من التداعيات وأن هذه

---

(1) Robert Gwin and Others, Routledge Dictionary of Language and Linguistic.p.40.

(2) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة والمنطق: دراسة فى فلسفة كواين، ص. 127

(3) Adam Kuper, Jessica Kuper ,The Social Science Encyclopedia, Rout ledge: First Publish, 1996, p. 198.

التداعيات متعلمة [1].

يؤكد سكينر أن المعرفة ظاهرة طبيعية يمكن أن تدرس وتفسر بنفس الطرق الموجودة في الظواهر الطبيعية الأخرى ,[2]ويعتقد أن تفسيره للتعلم يمكن أن يترجم إلى تفسير للمعرفة، إن بحثه للتعلم ما هو إلا بحث جوهري في نمو المعرفة؛ حيث يعني القول إن الكائن الحي قد تعلم أنه حصل على معرفة؛. وتؤثر المعرفة في السلوك الذي يتشكل من خلال احتمالات البقاء والتعزيز [3].

ولم يكن سكينر بمفرده الذي يحاول في الابستمولوجيا الطبيعية، فقد اقترح كل من عالم النفس الاجتماعي دونالد كامبيل Donald Campbell (1987) وزعيم التحليليين الفيلسوف كواين دراسة المعرفة على نحو علمي، ويقرر كواين أن " المذهب الطبيعي لا ينكر الابستمولوجيا، ولكن يستوعبها في نطاق علم النفس التجريبي " [4].

يعترض تشومسكي على نظريات التعلم – خصوصًا تعلم اللغة – وينتقد تلك النظريات قائلاً " إن مفهوم «ما هو متعلم» ضائع في «نظريات التعلم» المألوفة، حتى الأسئلة الرئيسة «لنظرية التعلم» يتعذر صياغتها "[5]. وفي هذا الصدد يؤكد أنه لا يوجد سبب لافتراض وجود نظريات للتعلم[6]. وداخل التنوع العرضي للتجريبية المعروفة «بالسلوكية» أن مصطلح «نظرية التعلم» يستخدم على نحو عام ليس باعتباره اسم للنظرية (لو كانت موجودة) التي تفسر إحراز البني الإدراكية على أساس من الخبرة، ولكن بالأحرى على أنها النظرية التي تتعامل مع العلاقة بين الخبرة والسلوك، طالما أنه لا يوجد سبب لافتراض وجود نظرية للتعلم لا يوجد يقينًا سبب لتوقع أن «نظرية السلوك» theory of behav– ior موجودة [7].

---

(1) Ibid, p. 199.

(2) William O' Donohue and Other, The Psychology of B. F. Skinner, p. 11.

(3) Ibid, p.11.

(4) Ibid, p. 13.

(5) Noam Chomsky, Reflections on Language, p. 15.

(6) Ibid., p. 19.

(7) Ibid., p. 20.

وعلى هذا النحو يرفض تشومسكي مصطلح التعلم ونظرية تعلم اللغة مفضلاً عليه مصطلح اكتساب اللغة؛ وسر ذلك عند تشومسكي وبعض علماء اللغة أن الطفل يولد ومعه معرفة بالمبادئ الصورية التي تحدد البنية النحوية لكل اللغات، وهذه هي المعرفة الفطرية التي تفسر نجاح وسرعة اكتساب اللغة [1]. يعد نقد تشومسكي لنظرية التداعي أهم نقد وجه إليها؛ حيث يؤكد أن بنية اللغة شيء لا يمكن أن يتعلمه الإنسان حسب المفاهيم التقليدية للتعلم (نظرية التعلم) طالما أن كل إنسان طبيعي يفهم اللغة الطبيعية، إذن نظرية التعلم لا يمكن أن تكون صحيحة. [2]

تتبنى الابستمولوجيا التجريبية موقفًا محددًا من مشكلة المعرفة عمومًا يتمثل في أن مصدر المعرفة هو الخبرة الحسية sense experience ؛ حيث تعد الخبرة الحسية المصدر الوحيد لأفكارنا ويرفض التجريبيون أطروحة تفوق العقل the superiority of reason thesis؛ سبب ذلك أن العقل بمفرده لا يعطينا أي معرفة، ويقينًا لا يعطينا معرفة متفوقة superior knowledge ولا تستلزم أطروحة التجريبية أننا لدينا معرفة تجريبية، ولكنها تستلزم أننا نحصل على المعرفة من الخبرة فقط [3].

تمتد جذور الابستمولوجيا التجريبية إلى أرسطو الذي يؤكد أننا نكتسب المعرفة من خلال الوسائل التجريبية، فنحصل على الدليل evidence من خلال الخبرة والملاحظة والتجريب [4].

وفي الفلسفة الحديثة، يقدم جون لوك نظرية للمعرفة تعتمد على الخبرة الحسية وينتقد نظرية الأفكار الفطرية، ويذكر في ذلك الصدد. أن كل أصناف المعرفة التي يعزوها العقلانيون إلى الأفكار الفطرية يمكن إظهار أنها مكتسبة من خلال التجربة[5].

---

(1) Robert Gwin and Others ,The Encyclopedia Britannica, V. 23, p.68.

(2) Adam Kuper and other, The Social Science Encyclopedia, p.200.

(3) Peter Markie,. Rationalism VS Empirisim Available on - line At: /Plats.Stanford.edu/ entries/rationalism.empirisim, p.4.

(4) Robert J. Sternberg. In Search of Human Mind,p. 39.

(5) جون كوتنغهام: العقلانية، ترجمة محمود الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 1997، ص86. - المرجع السابق ,ص 86.

العقل عند لوك «صفحة بيضاء» tabula rasa خالية من كل الحروف: " كيف، إذن، يصل الذهن إلى أن يكون مزودًا بالمعرفة؟ من أين ينال ذلك المخزون الهائل الذي رسمه عليه خيال الإنسان الناشط وغير المحدود بتنوع لا نهاية له تقريبًا؟ من أين يحصل على كل مواد العقل والمعرفة؟ عن ذلك أجيب بكلمة واحدة، من التجربة، ففيها تتأسس كل معرفتنا ومنها تنبثق المعرفة جوهريًا".

الجدير بالذكر أن وجهة النظر التي سادت في النصف الأول من القرن العشرين زعمت أن تعلم اللغة مثل الأنواع الأخرى من التعلم يحدث باعتباره نتيجة للتشكيل البيئي للفرد المولود ومعه إمكانية التعلم العام الفطري، وتلك هي النظرية السلوكية حيث تعتقد أن الفرد يعزز (إيجابيًا أو سلبيًا) استجاباته على المثيرات المتنوعة. يقدم التعزيز الإيجابي (المدح، الابتسامة) عندما يحدث الطفل السلوك المرغوب، ويقدم التعزيز السلبي (التوبيخ، التصحيح) عندما يحدث الطفل السلوك غير المرغوب، ويقوي الطفل السلوك المرغوب ويفعله أكثر وسوف يكرر هذا السلوك، وبذلك تتم عملية التعلم [1].

توجد خلفية عامة تجمع السلوكيين معًا، هذه الخلفية العامة تشمل الاعتقاد بأن:

1 – يولد الأطفال ومعهم إمكانية للتعلم عمومًا والتي تكون جزءًا من إرثهم الجيني genetic inheritance (ولكن بدون أي قدرات للتعلم محددة، مثل قدرة فطرية خاصة لاكتساب اللغة).

2 – يحدث التعلم (يشمل تعلم اللغة) كلية أثناء تشكيل البيئة للسلوك عند الفرد.

3 – يتشكل السلوك (يشمل اللغة) من خلال تعزيز الاستجابات الخاصة التي تصدر في حضور مثيرات خاصة.

4 – في أثناء تشكيل السلوك المعقد جدًا مثل اللغة، يوجد انتقاء تقدمي progressive selection أو انتقاء ضيق للاستجابات التي تعزز إيجابيًا [2].

---

(1) Judith Lind Fors, Children' s Language and Learning, Prentice - Hall, Inc, New Jersey, 1980, p. 99.

(2) Ibid., pp. 99 - 100

(1) نظرية تعلم اللغة عند سكينر:

يقدم سكينر في كتابه «السلوك اللفظي» 1975 تحليلاً وظيفيًا «للسلوك اللغوي». والتحليل الوظيفي عنده هو التعرف على المتغيرات التي تحكم هذا السلوك ومعرفة كيف تتفاعل تلك المتغيرات التي تحكم هذا السلوك اللغوي طبقًا للمفاهيم الآتية: المثير، التعزيز، الحرمان (المنع) التي أعطت معنى واضحًا ومعقولاً عند تطبيقها على تجارب الحيوانات [1].

يفسر سكينر اللغة باعتبارها سلوكًا متعلمًا ومجموعة عادات لغوية فردية تتطور وتكتسب خلال الإشراط والتعزيز والتعميم، فالمولود الحديث للإنسان ينتج عفويًا كل الأصوات التي تحدث في كل لغات العالم (موهبة بيولوجية). ويعلن سكينر أن الثورة البيولوجية تزود الأطفال بالجهاز العضلي الصوتي التي تتأثر بنتائجه جماعات اللغة المختلفة (البيئات) تختار الأصوات المختلفة. في الإنجليزية الصوت (m, a) يتم اختيارهما لأنهما جزء من الكلمة الإنجليزية mama. وعندما يصدر الطفل هذه الأصوات، يعزز هذا السلوك من الأم التي تنبه الطفل ويلتقط الطفل ذلك. من ناحية أخرى، في مجتمعات اللغة الإنجليزية الفونيمة الألمانية التي تصدرها الحنجرة لا تعزز وبذلك تختفي، ويكون السبب وراء أن يقول الطفل شيئًا محددًا، ولا يقول شيئًا آخر الانتقاء عن طريق الاحتمالات البيئية [2]. الطفل يكتسب لغة بيئته عن طريق تعزيزها من الأم أو الأب؛ لأن الصوت الذي ينطقه الطفل يتفق مع لغة بيئته.

وبذلك بين سكنر أن السلوك اللغوي، شأنه في ذلك شأن أي سلوك آخر، يعد نتيجة التدعيم، إذ يؤسس تحليله لهذا السلوك على تصور ضبط المثير، ويتضمن ثلاثة عوامل هي المثير والاستجابة والتدعيم، ويعتمد التدعيم على احتمالات الحدوث في البيئة التي يظهر فيها المثير، ولو تم تدعيم استجابة عشوائية لمثير معين، فإن الكائن الحي سوف يربط الاستجابة بالمثير السابق، ويصدر على الأرجح الاستجابة نفسها للمثير نفسه في مناسبات مقبلة، فكلمة «ثعلب»، مثلاً،

---

(1) Noam Chomsky," Review of Skinner' s Verbal Behavior", pp. 143 – 144.

(2) William O' Donohue and Other, The Psychology of B. F. Skinner, pp. 57 - 58.

ليست مثيراً بديلاً يمثل نوعًا معينًا من الحيوان، وإنما هي كلمة يتأسس ارتباطها بالحيوان الذي نتكلم عنه عن طريق ظهورها في منطوقات تدعمت، ومن المحتمل أن تتدعم برؤية ثعلب، وعلى هذا النحو، فكل جملة أو كلمة ينطقها الطفل أو المتعلم، على الأقل في المرحلة المبكرة من التعلم، تأتي نتيجة لوجود مثير معين، ولكي يتعلم الطفل لابد من تدعيم استجاباته، ويتخذ التدعيم صورًا متباينة مثل احتضان الوالدين للطفل أو ابتسامهما له [1].

نستنتج مما سبق أن السلوك اللفظي مكتسب ومحافظ عليه من خلال شدة التدعيم. وطبقًا لذلك يُعرف سكينر السلوك اللفظي بأنه: « السلوك الذي يدعم من خلال توسط الأشخاص الآخرين » [2]؛ ولذلك يؤكد أن « اللغوي يقوم بدراسة اللغات بوصفها الممارسات التعزيزية للجماعات اللفظية. عندما نقول المعاني «في الإنجليزية»، فنحن لا نشير إلى السلوك اللفظي لأي متكلم بالإنجليزية أو لمعدل الأداء للعديد من المتكلمين، ولكن نشير إلى الشروط التي يتم فيها تعزيز الاستجابة على نحو مميز من الجماعات اللفظية «[3]، ومن هنا تضم الجماعة اللفظية أفرادًا داخلها لهم موقع جغرافي محدد هم الذين يعززون أو لا يعززون الصور الصحيحة للسلوك اللفظي بينما يعاقبون على الصور الأخرى الخاطئة [4].

(2) نظرية تعلم اللغة عند بلومفيلد:

يقدم بلومفيلد الإطار التجريبي السلوكي التالي الذي يتم وفقًا له اكتساب اللغة ؛حيث يعتبر اللغة نسقًا من العادات. ويرى أن كل طفل يولد في جماعة يكتسب هذه العادات الكلامية habit of speech ويستجيب لها في السنوات الأولى من حياته.

1 – وفقًا لتنوع المثيرات ينطق الطفل الأصوات اللفظية التي يسمعها ويكررها، ويبدو أنها سمة وراثية. نفترض أنه عمل ضوضاء تبدو لنا على أنها لفظه da مع ذلك، وبالطبع إن الحركات الفعلية والأصوات الناتجة تختلف عن تلك

(1) صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة والمنطق:دراسة فى فلسفة كواين, ص126.

(2) William O' Donohue and Other , The Psychology of B. F. Skinner, p.117.

(3) Ibid., p. 117.

(4) *Ibid.*, p. 117.

التي تستعمل في الكلام الإنجليزي المألوف. هذه الترددات الصوتية تنفذ إلى طبلة أذن الطفل ويحتفظ بتكرار الحركات، وفي العادة كلما نفذ صوت مشابه إلى أذنه يصنع هذه الحركات الفمية نفسها ويكرر الصوت da. هذه الثرثرة توجه لإعادة إنتاج الأصوات اللفظية التي نفذت إلى أذنه (1).

2 – بعض الأشخاص يقولون: إن الأم تنطق في وجود الطفل صوتًا يشابه أحد المقاطع اللفظية التي يثرثر الطفل بها، على سبيل المثال: تقول الأم Doll عندما تنفذ هذه الأصوات إلى أذن الطفل تلعب عادته المذكورة سابقًا دورًا وينطق المقطع اللفظي الأقرب ويثرثر به da. نقول إنه بدأ يقلد، يلاحظ البالغون ذلك، ففي كل لغة كلمات معينة تشبه ثرثرة الطفل مثل كلمات mama , dada: وبدون شك تصبح هذه الكلمات رائجة؛ لأن الأطفال يتعلمون تكرارها بسهولة.

3 – تستعمل الأم كلماتها عندما يوجد المثير الملائم حيث تقول الأم Doll، عندما تعرضها بالفعل أو تعطي للطفل عروسته. رؤية وإمساك العروسة وسماع وقول كلمة Doll (This is da) يحدث تكراراً حتى يؤلف الطفل عادة جديدة، رؤية العروسة والإحساس بها، وهذا يكفي ليقول da، وأصبح لديه الآن استعمال للكلمة.

4 – تعزز عادة قول da عند رؤية العروسة، على سبيل المثال: يوم بعد يوم أعطي الطفل عروسته (وقال da، da، da) مباشرة بعد الحمام، إذن لديه عادة جديدة قول da, da بعد الحمام. وذلك يعني لو أن الأم في يوم واحد نست إعطائه العروسة ربما يصرخ رغم ذلك da , da بعد الحمام. فتقول الأم " هو يسأل عن عروسته "، وهي على صواب، الطفل لديه الآن مباشرة للكلام المجرد أو ما يحل محله، أي يسمي الشيء حتى عندما يكون ذلك الشيء غير موجود.

5 – أصبح الكلام عنده ينجز عن طريق نتائجه، لو قال ((da. da كافية تمامًا لكي يفهمه البالغون فيعطوه عروسته. عندما يحدث هذا، فعل رؤية ولمس العروسة يعد المثير الإضافي ويكرر الطفل ويكتسب بالممارسة نطقه الناجح للكلمة.

ووفقًا للتصور الذي قدمه بلومفيلد يعد تعلم اللغة مجرد تعلم عادات سلوكية

---

(1) L. Bloomfield, Language , pp. 30 - 31.

تتم وفقًا لعمليات التكرار والتقليد والممارسة ولا تلعب البنية العقلية دورًا في ذلك الأمر، بل مجرد سلوك يقوم الطفل بتعلمه وفقًا لقواعد المثير – الاستجابة، حيث يؤلف الطفل عادات الفعل بطريقة مألوفة عندما يسمع الكلام.

(3) نظرية تعلم اللغة عند كواين:

يعد الفيلسوف الأمريكي كواين من الفلاسفة الذين تبنوا المدخل السلوكي التجريبي في تعلم اللغة، وفي ذلك الشأن لا يذهب إلى ضرورة الأخذ بالمنهج السلوكي في علم اللغة فحسب، بل يذهب إلى أن الأخذ بهذا المنهج يعد مسألة إجبارية ليس لعالم اللغة فيها خيار، إذ يقول: « وعالم اللغة لديه اختيار ضئيل، ولكن لابد أن يكون سلوكيًا على الأقل بوصفه عالم لغة «، ثم يؤكد على هذا المعنى بقوله « أعتقد... أن التناول السلوكي أمر ملزم وفي علم النفس يجوز للمرء أن يكون سلوكيًا أو لا يكون، ولكن في علم اللغة ليس للمرء خيار، فكل منا يتعلم لغته عن طريق ملاحظة السلوك اللفظي للآخرين وله سلوكه اللفظي المتلعثم الذي يلاحظه الآخرون ويدعمونه أو يصححونه، ونحن نعتمد اعتمادًا تامًا على السلوك العلني في مواقف قابلة للملاحظة... وليس هناك شيء في المعنى اللغوي، إذن، سوى ما لابد من إدراكه من السلوك العلني في ظروف قابلة للملاحظة «[1].

يذهب كواين إلى أن هناك خطوتين في تعلم الطفل للغة، الخطوة الأولى: هي إشراط استجابات الطفل اللفظية لمثيرات غير لفظية، والثانية هي إشراط استجابات الطفل اللفظية لمثيرات لفظية [2]. والحق أن تعلم اللغة، فيما يرى كواين، لا ينشأ عن عملية إشراط الإجراءات أو تدعيم البأبأة العشوائية فحسب، بل ينشأ عن عملية أخرى هي المحاكاة ؛ إذ يقوم الميل الطبيعي عند الطفل إلى المحاكاة بدورمهم في تعلم اللغة. إن كواين يعتقد أن تعلم الطفل للاستجابة ينشأ من التدعيم سواء كانت استجابته ناشئة عن البأبأة أم المحاكاة.

---

(1) -(1) W. V. Quine, Pursuit of Truth, Cambridge ,Mass.:Harvard University Press,1990,pp.37 - 38.مقتبس فى صلاح إسماعيل:فلسفة اللغة والمنطق:دراسة فى فلسفة كواين

(2) صلاح إسماعيل , فلسفة اللغة والمنطق:دراسة فى فلسفة كواين,ص 128.

(3) المرجع السابق,ص 128.

إن الأطفال يولدون مع ما يسمى مساحات الكيف الفطرية، نفترض أن الطفل تعلم "الأحمر" في حضور أشياء حمراء، لو قال "أحمر"، مشيرًا إلى شيء بمبي ولكن ليس برتقاليا سوف نستنتج أن البمبي أقرب للأحمر من البرتقالي في مساحات الكيف الفطرية. يمنح كواين الطفل مساحة كيف منفصلة لكل الإحساسات، علاوة على ذلك يعتبر كل إحساس يستلزم أكثر من مساحة كيف واحدة لكل فرد، لا يوجد سبب للاعتقاد أن نطبق مساحة كيف واحدة للألوان بالإضافة إلى أشكالها (1).

نلخص نظرية اكتساب اللغة عند كواين، في المراحل المبكرة يتعلم الطفل جمل لغته عن طريق الإشراط بالمثيرات غير الفظية. وطالما يتم تعلم بعض الجمل بهذه الطريقة، فإن الجمل الجديدة التي تضاف إلى الذخيرة اللغوية عند الطفل تكون عن طريق الربط الاشراطي لجملة بجملة. يُحدد الإشراط السلوك اللفظي عند الطفل بالجمل التي سمعها في لماضي لاستعمال وفهم جمل فوق هذه، يؤلف الطفل الجمل من الأجزاء المتعلمة عن طريق القياس. يعتقد كواين أنه لكي يكون الإشراط والقياس ممكنًا يجب أن يولد الطفل بمساحات كيف فطرية تجعله قادرًا على أن يضم الإثارات معًا (2). ولكي يخضع الطفل للإشراط والقياس يذكر كواين أن الطفل يجب أن يكون لديه ميل لضم الإثارات معاً، واعتبار أن بعض المثيرات أكثر تشابها من المثيرات الأخرى (3).

وإجمالاً، معرفة الإنسان للغة عند كواين يمكن تمثيلها على أنها شبكة من الصور اللغوية «الجمل» network of linguistic forms المرتبطة بعضها ببعض والمرتبطة بمثيرات إشراطية معينة. وهكذا يقرر كواين أن " نظرياتنا "... تستطيع كل منها أن توصف على أنها " بنية من الجمل المتباينة المرتبطة إحداها بالأخرى وبالمثيرات غير اللفظية عن طريق آلية الاستجابة المشروطة "، وهكذا كل معرفتنا (أو كل "نظرية") يمكن وصفها وفقًا لهذا المعنى (4).

---

(1) Steven Davis, Philosophy and Language, Indianapolis: Bobbs Merrill Company, Inc.1976,pp. 148 - 149.

(2) Ibid., p. 149.

(3) Ibid., p. 148.

(4) Noam Chomsky, "Some Empirical Assumptions in Modern Philosophy of Language,"

وتجدر الإشارة إلى أن كواين وتشومسكى لا يختلفان حول مسألة الحاجة إلى تحديد الآليات الفطرية من خلال دراسة علمية للسلوك الإنساني. ومما لاشك فيه أن هناك تقدماً كبيرًا فى دراسة تلك الآليات الفطرية المعروفة إلا أننا لا زلنا فى حاجة إلى المزيد من أجل تفسير عملية تعلم اللغة , ومن المذهل أن نظرية تشومسكى تمثل أساس ألية عمل هذه البنية الإضافية.[1]

---

in Challenges to Empricism (ed.) by Harold Morick Wads Worth Publishing Company,1972, p. 292.

(1) Alexander George, " Whence and Whither the Debate Between Quine and Chomsky?," The Journal of Philosophy,Vol.83,No.9(Sep.,1986),p.492.

4 - نقد تشومسكى
للنظرية السلوكية فى تعلم اللغة

قبل أن نعرض لأنتقادات تشومسكى للسلوكية هنا ,يحسن بنا أن نعرض أولاً بإيجاز الانتقادات العامة للنظرية السلوكية فى تعلم اللغة, وهى:

أولاً: من الصعب على السلوكية أن تفسر تماثل اكتساب اللغة لدى الجنس البشري حيث يكتسب كل الأطفال اللغة ويفعلون جميعًا ذلك بنفس الطريقة. فلو كان اكتساب اللغة على نحو بسيط نتيجة لقدرة التعلم الفطرية ولتشكيل البيئة، سوف نتوقع وجود اختلافات في اكتساب اللغة التي تعكس المدى الواسع لاختلافات قدرة التعلم العامة الفطرية والاختلافات البيئية لدى الأطفال الصغار. في الواقع سوف نتوقع وجود بعض الأطفال لا يكتبون اللغة على الإطلاق [1]. لكن ذلك لا يحدث فهناك تماثل في اكتساب اللغة لدى كل البشر؛ لذلك فشلت الآلية السلوكية في تفسير قضية اكتساب اللغة.

ثانيًا: يوجد جانب آخر لمفهوم «تماثل الجنس البشري»، يتمثل في «تميز الجنس البشري» حيث تتنبأ النظرية السلوكية بأن الكائنات الذكية الأخرى تستطيع أن تكتسب اللغة مثل البشر، فلو كان اكتساب اللغة يأتي نتاج قدرة التعلم العامة الفطرية وتشكيل البيئة، لكان وضع الفروض في بيئة لغوية يجعلها تستطيع التواصل باللغات مثل البشر [2] وذلك يتفق مع تصور السلوكية بأن ما ينطبق على الحيوانات في المختبرات ينطبق على البشر.على حين تؤكد الأبحاث التي تعارض النظرية السلوكية أن اكتساب اللغة مقصور على الجنس البشري، حيث يعد اكتساب اللغة "خاصة مميزة " للجنس البشري... إن الاتصال الحيواني لا

---

(1) Judith Lind Fors, Children' s Language and Learning, p. 100.

(2) Ibid., p. 101.

يشتمل على إمكانية البناء الإبداعي اللانهائي، حيث تمثل الإبداعية القلب الفعلي للغة الإنسانية التي تختلف عن كل أنظمة الاتصال الأخرى [1].

ثالثاً: كيف يستطيع الطفل أن يتعلم نسقًا معقدًا جدًا خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة نسبياً. إذا بدأ الطفل من مستوى الصفر وبدون أي شيء معطى سوى قدرة التعلم العامة، فمن غير المعقول أنه بالاعتماد علي الذكاء العام، يحدث اكتساب اللغة في مثل هذه الفترة القصيرة [2].

رابعاً: استنتاج الأطفال البنية عميقة المستوى من عرض البنية السطحية [3] ؛حيث يتعرض الطفل للعديد من الجمل، مع ذلك ما يتعلمه الطفل ليس تلك الجمل المحددة ولكن المبادئ التنظيمية الضمنية لتلك الجمل، فما يقوله الأطفال الصغار في الغالب ليست الجمل التي تعد تكرارًا لتلك التي سمعوها ولكن بالأحرى جمل يبتكرونها طبقًا للرؤية المبكرة للقواعد الضمنية عند البالغين، فمن الصعب أن نقول إن الطفل الصغير يعزز مثل هذه المبادئ الضمنية [4].

خامسًا: كيف يستطيع الأطفال – في فترة غير منطقية (سابقة على المنطق) أن يكتسبوا مثل هذا النسق اللغوي المعقد جدًا [5].تتعلق تلك المشكلة بفهم السلوكية لقدرة الذكاء العام على أنها المعطى فقط عند الميلاد، فالأطفال في سن صغيرة جدًا يكتسبون اللغة. فكيف يستطيع الأطفال التعامل بنجاح في مثل هذا السن مع هذا النسق الرمزي المجرد المعقد قبل استطاعتهم التعامل إدراكيًا مع بعض المساحات الأخرى الرمزية المجردة المعقدة والمنطق؟ [6].

يدحض تشومسكي المدخل السلوكي التجريبي في اكتساب اللغة، لإخفاقه إخفاقًا ملحوظًا في تفسير "مشكلة أفلاطون" أو "فقر المثير" –poverty of stimi

---

(1) Ibid., p. 101.
(2) Ibid., p. 104.
(3) Ibid., p. 105.
(4) Ibid., p. 104.
(5) Ibid., p. 105.
(6) Ibid., p. 104.

lus. أن المدخلات أثناء فترة اكتساب اللغة محدودة ومبعثرة والمخرجات غنية ومنظمة، وذلك الاختلاف في الكمية والكيفية بين المدخل والمخرج لا ينجح تفسيره وفق آلية التعلم أو الاستقراء أو القياس أو التعميم. لقد أكد تشومسكي أن بعض السلوك (على وجه الخصوص، السلوك اللغوي) لن يتم فهمه إلا عن طريق التمسك بوجود القواعد الممثلة داخليًا، وأن هذه القواعد لا تكون نتاج التعلم المتداعي، إنها جزء من هبتنا الفسيولوجية الفطرية أي جزء من وجودنا الإنساني.لقد هاجم النماذج السلوكية لتعلم اللغة لأنها لا تستطيع أن تقدم تفسير للحقائق المتنوعة عن اكتساب اللغة، مثل:سرعة اكتساب اللغة عند الأطفال الصغار التي يشار إليها في بعض الأحيان بما يسمى "ظاهرة الانفجار المعجمي" lexical explosion، ففي سن أربع أو خمس سنوات يصبح لدى الطفل الطبيعي قدرة غير محدودة على فهم وإنتاج جمل لم يسمعها من قبل أبدًا؛ لذلك يؤكد تشومسكي على أن القواعد والمبادئ الأساسية للنحو فطرية.[1]

ولقد لاحظ في ذلك الصدد جريجوري gregory استحالة تفسير سرعة الأطفال في قيامهم بالربط الذهني بين خصائص الموضوعات (الأشياء)،واستمرارهم في تعلم كيف يتنبئون بالخصائص والملامح الخفية للأحداث إذا لم تكن بعض بني العالم موروثة بطريقة ما أي مبنية فطريًا في الجهاز العصبي nervous system، واقترح علاوة على ذلك أنه ربما يوجد "نحو للرؤية" grammar of vision يشبه إلى حد ما نحو اللغة [2].

وإذا قارنا ما توصل إليه جريجوري من أنه فسر سرعة الأطفال في قيامهم بالربط بين خصائص الموضوعات إلي وجود بنية فطرية في النسق العصبي عند الطفل بموقف تشومسكي وأنه يتبني نفس الأتجاه السابق وفي ذلك يقول" إن علينا، في حالة اللغة، أن نفسر، كيف أن الفرد يطور انطلاقًا من معطيات محدودة جدًا، معرفة غنية إلى الحد الأقصى، إن الطفل المغمور وسط جماعة لغوية(معينة)، يواجه مجموعة محدودة جدًا من الجمل الناقصة وغير المكتملة، في الغالب...،

---

(1) George Graham, Behaviorism, p.7.

(2) Noam Chomsky, Reflection on Language, p. 8.

ومع ذلك فإنه يتوصل خلال زمن قصير جدًا إلى "أن يبنى"، إلى أن يستتنبط نحو لسانه، وإلى أن يطور معرفة معقدة جدًا، لا يمكنها أن تستقرأ من معطيات تجربته وحدها. نخلص من ذلك إلى أن المعرفة المستنبطة محددة، من قبل إحدى الخصائص البيولوجية، وكلما صادفنا موقفاً مماثلاً، تبنى فيه المعرفة انطلاقاً من معطيات محدودة وناقصة، وذلك بشكل منتظم ومنسجم بين الأفراد، أمكننا أن نخلص إلى أن مجموعة من الضغوط القبلية تحدد المعرفة (النسق المعرفي) المحصل عليها [1].

وعلى نحو مماثل، أخفقت السلوكية التجريبية في تقديم تفسير ملائم للمظهر الإبداعي للغة creative aspect of language " أي قدرة كل الأشخاص الأسوياء على إنتاج كلام ملائم للمواقف مع أنه قد يكون جديدًا تمامًا، وفهمه عندما ينطقه الآخرون كذلك "، وإن شئت أن تضع ذلك بعبارة أخرى، قل:إن الإبداع اللغوي creatively يعني الطاقة أو القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير، بل غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها قط ولم ينطق بها أحد من قبل، وهذا يدل على أن مفهوم الإشراط الإجرائي يواجه مأزقًا حرجًا أمام مفهوم الإبداع اللغوي طالما أننا نتمتع بقدرات تمكننا من أن نتجاوز خبراتنا اللغوية الماضية، ونضع عددًا لا متناهيًا من الجمل الجديدة التي لا نعتمد في إبداعها على تلك الخبرات. [2]

وإجمالا , يؤكد تشومسكى أن التفسيرات التجريبية غير كافية لتفسير اكتساب اللغة وهذا يستلزم بنية عقلية فطرية(2),وبناء على ذلك, يدحض تصور تعلم اللغة باعتباره عادة, أو أنه نسق من المهارات يتم تعلمها عن طريق التدريب أو الارتباط

(1) نعوم تشومسكي "هل هي فلسفة للغة" ترجمة مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، العدد السادس، أكتوبر 1987، ص35.

(2) صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة والمنطق: دراسة في فلسفة كواين، ص132.

(2) Marvin Zimmerman,"Is Linguistic Rationalism A Rational Linguistic?," in Sidney Hook ,Language and Philosophy,p.198.

(3) C. P. Oter , Language and Politics, New York:Black Rose Books,1989,p.103.

(4) Ibid., p. 103.

(5) Ibid.,p.103.

الشرطي بين المثير والاستجابة.

يوضح تشومسكي في ذلك الإطار، أنه عندما نحلل طبيعة معرفة اللغة لدى الشخص نكتشف ببساطة أنه ليس لدينا الخصائص التي تتضمن مفهوم المثير – الاستجابة لمعرفة كيف يحدث التعلم. تقود نظرية المثير – الاستجابة فقط إلى نسق من العادات، شبكة من التداعيات أو بعض البنى من هذا النوع، ومن المستحيل تمامًا صياغة (اكتساب اللغة) وفقًا لنسق من العادات أو شبكة من التداعيات (3). هنا يقول تشومسكي إن " المظهر الإبداعي للغة متعارض تمامًا مع فكرة أن اللغة عادة مهما يكن مفهوم بنية العادة، فمن الواضح أنك لا تستطيع ابتكار اللغة عن طريق العادة. إنك تنتج باستمرار جمل جديدة خلال عمرك عند الاستعمال العادي للغة، عندما تقرأ الجرائد أو تسير في الشارع فإنك باستمرار تلتقي مصادفة ببنى لغوية جديدة، تلك التي تفهمها حالاً، ولكنها مع ذلك ليست متشابهة بأي حال مع خبرات سابقة لديك، وهذا بعيد كل البعد عن مفهوم بنية العادة (4).والنحو – نظرية العلاقات بين المعنى والصوت في اللغة – له خصائص لا تنسجم تمامًا مع مفهوم شبكة التداعي أو بنية العادة، ومن الخصائص المدهشة للانحاء (المظهر الإبداعي للإنحاء) الذي يعني وفقًا للمفهوم التقني أن يولد النحو عددًا كبيرًا غير متناه من الجمل كل منها له تفسيره (5).

ولقد انتهز تشومسكي كل فرصة سانحة لكي يوجه نقده الحاد للسلوكية، وخصوصًا السلوكية الجذرية متمثلة في سكينر؛ حيث يرى أن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تمامًا، وعندما ينجح الطفل في اكتساب عادة اللغة المعقدة التكوين، فإن ذلك يكون نتيجة التدريب المتواصل الذي يخضع لنظام وتحكم، من ثم يمكنه ذلك من تعلم عادات لغوية وهكذا[1].

أخطأ سكينر عندما اعتبر أن المفهوم اللغوي للبنية يقوم على نفس المبادئ التي تصف كيف تعلم الأرنب أن يدفع القضيب في الاستجابة لإشارة محددة، فذلك النمط من التعلم يفسر تعلم الأسماء (أشياء مثل حصان، كلب... الخ)، ولكن كان

(1) عبد المجيد سيد أحمد: علم اللغة النفسي، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، 1982، ص135.

هناك أوجه أخرى لتعلم اللغة، لا تنسجم مع نمط التعليم التمييزي عند سكينر. فمن الصعب أن نرى كيف يقوم تعلم استعمال التحويل اللغوي من صيغة إلى أخرى على تعلم التمييزات الأولية [1]؛ حيث من الصعب تنسيق العديد من القواعد النحوية التحويلية المعقدة بناء على نمط التعلم التمييزي أو الإشراط الإجرائي، مثل تحويل الجمل من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، وساعد ذلك على توجيه تشو مسكي الانتقادات إلى سكينر، فنحن بحاجة إلى وجود ما هو فطري ليكون البنية الأولية لتفسير مثل تلك التعقيدات النحوية.

ولقد انتقد لاشلي السلوكية قبل تشومسكي، مؤكدًا أن بيانات التعبير أو النطق ليست مجرد تجمع أو تتابع حروف معًا أو استجابات لمثير خارجي أو تعامل لفظي، وأن المنظومة اللغوية لا يمكن أن تمثل بشكل بسيط بأية بنية حسية للنطق نفسه، وأدت به عدد من الملاحظات إلى أن البنية ذات المعنى ما هي إلا « نموذج عام فرضته المواقف المعينة التي يحدث فيها »[2]. وبذلك يرفض لاشلي نظرية المثير – الاستجابة في تعلم اللغة.

يواصل تشومسكي ذلك قائلاً: « يبدو أن ادعاء سكينر الذي يقول أن كل السلوك اللغوي يتم اكتسابه واستمراريته طبقاً « لقوة هذا السلوك « من خلال التعزيز، إنه ادعاء يقوم على أساس فارغ تمامًا حيث إن مفهوم التعزيز «ليس له مضمون واضح»، فهو يعمل فقط كمصطلح يغطي أي عامل يمكن التنبؤ به أولاً، بحيث يرتبط هذا العامل باكتساب السلوك اللغوي واستمراريته. »[3]

وبالمثل، يبدو أن الأطفال يكتسبون كماً كبيراً من السلوك اللفظي وغير اللفظي عن طريق الملاحظة العرضية وتقليد الكبار والأطفال الآخرين، وهذا غير صحيح، وليس من الصحيح أيضا أن الطفل يستطيع أن يتعلم اللغة فقط من خلال "الرعاية الدقيقة" من جانب الكبار الذين يشكلوا المخزون اللغوي لديه من خلال عمليات التعزيز المختلفة، بالرغم من أن تلك الرعاية هي عادة بعض العائلات

(1) Robert Gwin and Others, The New Encyclopedia Britannica , p. 899.

(2) Noam Chomsky," Review of Skinner' s Verbal Behavior," p. 570.

(3) Ibid., p. 553.

ذات التعليم العالي [1].

فمن الملاحظ أن الطفل الصغير الذي لديه آباء مهاجرين للخارج يمكن أن يتعلم اللغة الثانية من الشارع من أقرانه الأطفال الآخرين، بسرعة مدهشة، ومن المذهل أن كلامه يكون في غاية الطلاقة وصحيح جدًا. وربما يختار الطفل كم كبير من الكلمات ويستشعر تكوين الجمل من خلال سماعها في التليفزيون أو من الكبار أو من خلال قراءتها، أي أنه يستشعر أن تلك الكلمات تكون جمل مفيدة، وحتى الطفل الصغير جدًا الذي لم يكتسب مخزون كبير يكون منه جملاً جديدة ربما يقلد كلمة على نحو جيد جدًا من أول محاولة لنطقها، وبدون تدخل الكبار لمساعدته أو تعليمه كيفية نطقها [2].

ومن الواضح كذلك، أن الطفل في مراحل متأخرة من عمره, يستطيع تكوين جمل جديدة غير متشابهة على الإطلاق، كما أنه يستطيع فهم الجمل الجديدة عليه تمامًا والتي لها معنى فى لغته، وفي أي وقت يقوم فيه الشخص بقراءة جريدة على سبيل المثال فإنه بلا شك يصادف كلمات جديدة وجملاً لا حصر لها ولا تكون متشابهة على الإطلاق، أي أن تلك الجمل الجديدة التي يصادفها أثناء القراءة مختلفة تماماً عن الكلمات التي سمعها من قبل، أي أن تلك الجمل جديدة عليه تمامًا [3].

ويصرح تشومسكي بأن التحدث عن " تعميم المثير " بتلك الطريقة – على نمط سلوكية سكينر – ما هو إلا تخليد لسر اكتساب اللغة وتعلمها تحت عنوان جديد؛ ولذلك لابد أن يكون هناك عمليات أساسية تعمل باستقلال عن " التغذية العائدة " من البيئة، ويقول تشومسكي: " لم أستطع أن أجد أي تأييد من أي نوع لمبدأ سكينر والآخرين الذي يقول إن التشكيل البطيء والدقيق للسلوك اللفظي خلال التعزيز المختلف هو ضرورة حتمية لتعلم اللغة"[4].

وبناء على ما سبق نستطيع أن نلتمس نقطة الخلاف الرئيسة بين سكينر

(1) Ibid., pp. 562 - 563.

(2) Ibid., p. 564.

(3) Ibid., p. 565.

(4) Ibid., p. 566.

وتشومسكي فإن كان العقل صفحة بيضاء عند التجريبية فهو ليس كذلك عند العقلانية، ودعم تشومسكي ذلك في فلسفته، فالطفل لا يولد وذهنه صفحة بيضاء بل يولد مزودًا بقدرة فطرية تمكنه من تعلم أية لغة من اللغات. وإن ذلك الطفل لا يكتسب اللغة عن طريق السماع أو المحاكاة والحفظ فحسب، بل إنه يحاول أن يضع ما يسمعه من كلام اللغة التي يعيش بين أهلها في القوالب العامة، فالطفل لا يكون عنصرًا سلبيًا بل عنصرًا إيجابيًا يستخدم طاقاته العقلية أثناء اكتساب اللغة.

ينصب نقد تشومسكي مباشرة على الفيلسوف التجريبي كواين فيما يتعلق باكتساب اللغة، ويقول: " ربما نعتقد أن كواين أضاف للمحتوى التجريبي بإصراره تفسير أن " تعلم الطفل المبكر للاستجابة اللفظية يعتمد على تعزيز المجتمع لاستجابته التي ترتبط مع الإثارات stimulations التي تستلزم الاستجابة... وإصراره العام على أن التعلم يعتمد على التعزيز، ولكن لسوء الحظ مفهوم التعزيز عند كواين تحول ليصبح فارغًا تمامًا على سبيل المثال: يقبل كواين أن " يكمن تعزيز المجتمع في الاستعمال المعزز الذي يشبه جهد الطفل لمكافأة نفسه "، فالقول إن التعليم يستلزم التدعيم، يصبح قريب جدًا من القول إن التعلم لا يتقدم بدون معلومات [1].

مع ذلك، أرجع كواين إلى التصور التجريبي التقليدي افتراضاته حول كيف تتعلم اللغة, المنسجم مع وجهة نظره التي تتمثل في اعتباره اللغة شبكة من الجمل network of sentence، وقد سرد ثلاث آليات ممكنة، بواسطتها نتعلم الجمل، عن طريقها تكتسب معرفة اللغة، أولاً: يمكن أن تتعلم اللغة عن طريق "الإشراط المباشر" direct conditioning للمثيرات غير اللفظية المناسبة، بواسطة تكرار اقتران الإثارة والجملة تحت الإشراطات الملائمة، ثانيًا: تداعي الجمل مع الجمل، ثالثًا: الجمل الجديدة يمكن إنتاجها من خلال التركيب القياسي analogical syn-thesis. ويؤكد تشومسكي أن الطريقة الثالثة ما هي إلا هروب للفراغ مرة ثانية، هكذا لو أن الجملة الأولى من هذه الورقة مشتقة عن طريق "التركيب القياسي" من

(1) Noam, Chomsky, "Some Empirical Assumptions in Modern Philosophy of Language", p. 294.

"السماء زرقاء"، فمما لاشك فيه حقيقة أن اللغة يمكن أن تتعلم عن طريق التركيب القياسي عن طريق "التعميم" generalization. ولكن يبدو أن كواين ليس لديه ما يقوله عن هذا [1].

ويواصل تشو مسكي نقده موضحًا أن أسلوب كواين في صياغة عملية اكتساب اللغة لا يسمح بتوضيح كيف تشمل معرفة الشخص للغته هذه الجمل،. وهكذا لم يعرض كواين وصفًا يوضح به كيف يكتسب الإنسان القواعد والمبادئ التي تحدد صورة الجملة ومعناها.

وبناء على ذلك، يقول تشومسكي: إن " تعلم الجمل ليس هو تعلم اللغة، فما قدمه كواين بخصوص تعلم اللغة يعد لدى تشومسكي تعلم الجمل فقط ليس إلا، فلو أن تعلم اللغة قائم على سرد هذه الآليات الثلاث وأن اللغة ليست سوى شبكة من الجمل المترابطة، فإن ذلك لا ينسجم مع البديهية التي يقبلها كواين وهي أن اللغة سلسلة لا متناهية من الجمل (ولها معاني بالعقل)؛ حيث إن الشبكة المشتقة عن طريق الآليات المسلم بها يجب أن تكون متناهية،... ولو رجعنا إلى تعريفه للغة بأنها " تعقد استعدادات السلوك اللفظي سوف نصل إلى نتيجة مشابهة [2].

ويستنتج مما سبق، لو أن اللغة تعقد استعدادات للاستجابة وفقًا لسلسلة عادية من الحوادث لن تكون فقط متناهية ولكن ضيقة للغاية أيضًا [3]. وبذلك يرفض تشومسكي التصورات التجريبية وخصوصًا السلوكية منها التي تفسر اكتساب اللغة؛ لأنها تصل بنا إلى تناهي ومحدودية المعرفة اللغوية تلك النتيجة تبرهن على عقم المدخل التجريبي السلوكي. وبناء على ذلك، يدعم تشومسكي قوله: إن خبرة الطفل حول اللغة بعيدة كل البعد عن تفسير اكتساب اللغة وفقًا للمصطلحات التجريبية. حيث إن قدرتنا على إنتاج عدد لا نهائي من الجمل المصاغة مسبقاً ليست استعدادًا فطرياً فقط innate disposition ولكنها معرفة فطرية "بالنحو

(1) Ibid., p. 295.

(2) Ibid., pp. 295 - 296.

(3) Ibid., p. 297.

العميق العام" لكل اللغات [1]، وبذلك يمهد تشومسكي الأرض أمامه ليبسط تصوره لاكتساب اللغة آخذاً لنفسه الطريق المعاكس، وفي ذلك يقول " إن الاقتراح العام، على حد علمي، والوحيد لمعالجة اكتساب معرفة اللغة هو التصور العقلاني الذي وضعت خطوطه "[2].

(1) Ten Benton and Other, Philosophy of Social Science, London: Palgave, 2001, p. 29.

(2) Noam Chomsky, *New Horizons in the Study of Language and Mind*,

p. 115.

5 - التصور العقلاني
لاكتساب اللغة عند تشومسكي

تبنى التصور العقلاني لاكتساب اللغة الذي ينص علي ما يلي « ليس العقل أو المخ الإنساني صفحةً بيضاءً أو وعاءً فارغًا، لا عمل له إلا انتظار الانطباعات. والمعلومات التي تنطبع عليه من الخارج. إن المخ مزود وراثيًا ببرنامج غني ومفصل بوضوح لاستقبال وتفسير وتخزين واستعمال المعلومات العشوائية التي تزوده بها أعضاء الحس. وفي ضوء هذا فإن تعلم اللغة الأولى هو العملية التي يقوم بها مخ الطفل نحو التجربة العشوائية للكلام الذي يواجهه الطفل، سواء أكان الكلام موجهًا إليه أو منطوقًا في حضوره، ويتم هذا من خلال نظام محدد بإحكام من القواعد الموجودة، نظام محدد من خلاله يجب أن يتم إدخال المعلومات وتخزينها وفهمها [1]. وكان دافعه الأساسي وراء تبنيه التصور العقلاني تقديم حل مقبول لـــ «مشكلة أفلاطون» التي ظلت وما تزال تشغل العديد من الفلاسفة بعد أن عجز المدخل السلوكي التجريبي في تقديم التفسير المعقول لها، وتتمثل في تساؤل الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل « كيف تستطيع الكائنات البشرية أن تعرف هذه المعرفة الفخمة بالرغم من اتصالها المختصر والشخصي والمحدود مع العالم؟ " كيف نحصل على مثل هذه الأنساق المعرفية الغنية من خبرتنا الجزئية الفقيرة؟[2]. وفي ذلك الصدد يؤكد تشومسكي أن طبيعة معرفة اللغة ترتبط بالمعرفة الإنسانية عمومًا، وذلك جعله يعمم نظريته على المعرفة الإنسانية. وبناء عليه تعد دراسة البنية المعرفية اللغوية صورة مصغرة لدراسة البنية المعرفية الإنسانية عمومًا.

لقد أيد كاتز التصور العقلاني لاكتساب اللغة الذي قدمه تشومسكي، وذلك

---

(1) ر. هـــ. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة، ص345.

(2) Noam Chomsky, Reflection on Language, p. 5.

حينما قارن بين الفرض العقلاني والفرض التجريبي، يعتقد كاتز أن الفرض التجريبي يدعي أن جهاز اكتساب اللغة يعمل أساسًا استنادًا إلي مبادئ التعميم الاستقرائي principles of inductive generalation التي تربط الملامح القابلة للملاحظة للتعبيرات مع المعلومات الحسية ذات الصلة للحصول على قواعد الوصف اللغوي. تكافئ هذه المبادئ صورة العمل في علم اللغة التصنيفي في التقليد البلومفيلدي ونظريات التعلم في تقليد علم النفس السلوكي الأمريكي. من ناحية ثانية، يعزو الفرض العقلاني، بنية غنية جدًا لجهاز اكتساب اللغة، يدعي الفرض التقليدي أن جهاز اكتساب اللغة يحتوي على مخزون من الأفكار الفطرية التي تحدد الصورة الضرورية للغة، وبناء عليه الصورة الضرورية للتمثيل الداخلي لقواعد اللغة عند المتكلم. [1]

يبين كاتز عدم قبوله للفرض التجريبي وعدم كفاية الفرض العقلاني بالصورة التقليدية؛ لأنه لم يقدم صياغة دقيقة للأفكار الفطرية أو تفسير دقيق للعملية التي عن طريقها تختلف التصورات الخاصة والمجردة من تفاعل الصور المفاهيمية الفطرية والإثارة الحسية. ومن ثم لا يوجد تحديد للفرض العقلاني، ولكن يوجد فقط مفهوم عام حول صفة هذا الفرض.[2]

يدعي كاتز تفوق الفرض العقلاني الذي أعاد تشومسكي صياغته على نحو قوي، حيث يقول: « إن الفرض القوي بما فيه الكفاية القادر على تفسير ماذا نعرف حول اكتساب اللغة هو الفرض العقلاني لأنه مصمم ليقدم جهاز اكتساب اللغة باعتباره جزءاً من البنية الداخلية (للعقل الإنساني). يحتوي الفرض العقلاني جهاز اكتساب اللغة بوصفه بنية فطرية تشمل كل المبادئ المقررة داخل نظرية اللغة [3].

تقوم فلسفة اكتساب اللغة عند تشومسكي على الحقائق التجريبية التالية: « يتعلم الأطفال اللغة على الرغم من محدودية المثيرات « أو مع وجود مشكلة فقر الدليل poverty of evidence أو فقر المثير اللغوي poverty of linguistic

---

(1) J. Katz,The Philosophy of Language, pp. 247 – 248.

(2) Ibid., p. 248.

(3) Ibid., p. 269.

stimulus – وكلها مسميات لذات المشكلة – ويعني بها تشومسكي أن المدخلات أثناء فترة اكتساب اللغة الطبيعية محدودة ومبعثرة، ولا نستطيع ببساطة تفسير ثراء وتعقد المخرجات عن طريق آلية التعلم فقط،مثل: الاستقراء والقياس،. ومن هنا تختلف المدخلات والمخرجات في الكمية والكيفية، وقد نسمى هذه الحقائق التجريبية المعرفة بدون خلفية (أساس).

إننا لا نستطيع أن نفسر اكتساب الطفل لنسق معلومات غني يجعله قادرًا على إنتاج وفهم حتى الجمل التي لم يسمعها من قبل اعتمادًا على مقدار ضئيل من المعلومات الآتية من الخبرة. ينظر تشومسكي إلى هذه القضية اللغوية من خلال تسميتها "مشكلة أفلاطون" – كما سبق القول – كما ظهرت منذ أفلاطون في محاورة مينون حيث تسائل أفلاطون كيف اكتسب العبد (الجاهل) المبادئ الهندسية؟ فبينما فسر أفلاطون المعرفة الهندسية عند العبد الجاهل بالحالة الإدراكية للعبد فيما قبل الوجود pre – existence، يفسر تشومسكي معرفة اللغة بالاحتكام إلى فطرية اللغة عند المتعلم باعتبارها حالة فيزيائية وهبة بيولوجية؛ حيث تثير الخبرات فقط التطور البيولوجي لملكة اللغة الفطرية، فإذا لم يستطع عقل الطفل خلق معرفة اللغة من المعلومات الضئيلة المتاحة في البيئة من حوله. فإن مصدر معرفة اللغة داخل العقل نفسه[1].

يقول تشومسكي في هذا الصدد: " إن كفاءة الراشد، أو حتى الطفل الصغير، هي كبيرة إلى حد أن علينا أن ننسب إليه معرفة باللغة تتجاوز أي شيء تعلمه، وبالمقارنة مع عدد الجمل التي يستطيع الطفل أن ينتجها أو يفسرها بسهولة، تكون عدد الثواني في العمر ضئيلة بشكل مضحك. ومن ثم فإن المعلومات المتيسرة له بوصفها زادًا هي مجرد عينة بالغة الصغر من المادة اللغوية التي سيطر عليها بتمكن، كما يدل على ذلك الأداء الفعلي " [2].

يذكر ستيفن بنكر أن: « تشومسكي لفت الأنظار إلى حقيقتين جوهريتين عن اللغة، الحقيقة الأولى أن كل جملة ينطقها الإنسان أو يفهمها إنما هي ربط

---

(1) V. Cook, Chomsky's Universal Grammar, p. 55.

(2) جون كوتنغهام: العقلانية، ص137.

جديد بين الكلمات وتظهر لأول مرة في تاريخ الكون؛ ولذلك فإنه لا يمكن أن تكون اللغة رصيدًا من الاستجابات، فلابد أن يحول العقل إلى برنامج يمكنه من أن يبني عددًا غير متناه من الجمل مستخدمًا قائمة محدودة من الكلمات ويمكن أن يسمي هذا البرنامج «نحوًا عقليًا». أما الحقيقة الجوهرية الثانية فهي أن الأطفال ينمون هذه الأنحاء المعقدة بصورة سريعة ومن غير تعليم مقنن ويعطون، أثناء نموهم، تفسيرات مطردة لتركيبات الجمل الجديدة التي لم يسبق لهم التعامل معها؛ ولذلك فإن الأطفال – كما يقول – لابد أن يكونوا مجهزين فطريًا بخطة عامة لأنحاء اللغات كلها، أي بـــ « نحو كلي»، وهو ما يملي عليهم استخلاص الأنماط التركيبية من الكلام الذي ينطقه أهلهم (1).

بالإضافة على ما سبق يولد الطفل ولا يكون مهيئاً لاكتساب لغة معينة دون الأخرى، ولكن لديه القدرة على اكتساب أي لغة، والذي يحدد تلك اللغة، البيئة التي يعيش الطفل فيها، فإذا نشأ الطفل الأمريكي منذ المهد في اليابان فسوف يتعلم اليابانية وهكذا، وبذلك يفسر تشومسكي اكتساب اللغة بقوله وجود نحو عام سابق وفطري وراثي وبيولوجي وبوجود استعداد يكون به الطفل مهيئًا للكلام ولتعلم اللغة، وهذا النحو العام هو الحالة الأولية للطفل التي تجعله يبني نحو لغته الأم معتمدًا على تجاربه اللاحقة. وهذا النحو العام يجب أن يكون مشتركًا في كل اللغات العالمية، وعند كل أطفال العالم (2).

ومن هنا، يتابع تشومسكي علم اللغة الديكارتى في خطوطه العامة في اكتساب اللغة، حيث يتمثل المبدأ الرئيس لعلم اللغة الديكارتى في وجود ملامح عامة للبنية النحوية العامة في كل اللغات، تلك البنية التي تعكس الخصائص الجوهرية الحقيقية للعقل. وهذا الافتراض جعل دعاة النحو الفلسفي يركزون على النحو العام مفضلين ذلك على النحو الخاص. وعبر عن ذلك همبولدت حيث يعرض التحليل العميق لـــ «صورة اللغة» ذات المفهوم الضمني والتنوع الفردي.

---

(1) ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية:كيف يبدع العقل اللغة، ترجمة حمزة المزيني، دار المريخ الرياض،2000،ص25 – 26.

(2) سامي أدهم: فلسفة اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1993، ص265.

توجد إذن كليات لغوية تضع حدوداً لتنوع اللغة الإنسانية,و هذه الحالات الكلية لا تتعلم، على الأصح تزودنا بالمبادئ التنظيمية التي تجعل تعلم اللغة ممكناً والتي تقودنا إلى المعرفة. بإرجاع هذه المبادئ للعقل - باعتبارها خاصة فطرية - يصبح في الإمكان تفسير الحقيقة الواضحة أن متكلم اللغة يعرف أشياء كثيرة لم يسبق أن تعلمها من قبل. [1]س

باختصار، يتمثل اكتساب اللغة في النمو والنضج النسبي للقدرات الثابتة تحت الشروط الخارجية الملائمة. وتتحدد صورة اللغة المكتسبة بشكل كبير بالعوامل الذاتية (الداخلية)، وذلك بسبب التطابق الجوهري لكل اللغات الإنسانية، وبذلك يستطيع الطفل أن يتعلم أية لغة [2].

ولا يتابع تشومسكي علم اللغة الديكارتي فقط في تصوره لاكتساب اللغة، ولكن يتواصل مع التراث العقلاني وموقفه من اكتساب اللغة، حيث يؤكد العقلانيون مثل أفلاطون وديكارت وليبنتز وكانط على أن الأفراد يولدون ومعهم دعامة من الأفكار تحدد إلى حد بعيد صورة ومحتوى معرفتهم الناضجة [3].

يعتقد العقلانيون أن مصدر تصوراتنا من حيث مبادئها تتمثل في صورة البنية الفطرية للعقل؛ فالمعرفة لا تكتسب من الخبرة الحسية كما يدعي التجريبيون، فقد أكد أفلاطون على أن المعرفة تكتسب بفعالية خلال المناهج العقلانية، ويستعمل التحليل الفلسفي لفهم العالم وعلاقات الأشخاص به، فنحن نجد المعرفة فقط من خلال استعمال العقل وتأمل العالم المثالي. ويعتقد أفلاطون أن الأفكار الفطرية موجودة بداخلنا من قبل وكامنة في زوايا العقل وتحتاج فقط أن تستخرج من الأماكن المنعزلة والزوايا المظلمة للعقل، وذلك عندما سأل كيف امتلك العبد المعرفة الهندسية في محاورة مينون، ولقد فسر أفلاطون المعرفة الهندسية لدى العبد الجاهل بالحالة الإدراكية للصبي فيما عرف «الوجود السابق»[4]، فالمذهب

---

(1) Noam Chomsky, Cartesian Linguistics, p. 59.

(2) Ibid., p. 64.

(3) Jerrold Katz, The Philosophy of Language, Harper & Row, Publishers, New York, 1966, p. 240.

(4) Robert Sternberg, , In Search of the Human Mind, p. 40.

الأفلاطوني يؤكد أننا لا نحقق معرفة جديدة ولكن نكتشف ما نعرفه بالفعل. [1]

إذن الصلة وثيقة في التصور العقلاني بين المعرفة والعقل الإنساني، حيث يكتسب الإنسان المعرفة اعتمادًا على البنية العقلية الفطرية التي تمثل جوهر اكتساب المعرفة، حيث ينسب المذهب العقلي للعقل ملكات خاصة به، تقدم لنا هذه الملكات معرفة حدسية [2]، وبصدد اكتساب اللغة ينسب تشومسكي للعقل / المخ ملكة اللغة faculty of language التي تمثل البنية العقلية الفطرية المحددة وراثيًا وبيولوجيًا التي بدونها لن يكتسب الإنسان معرفة اللغة.

وبهذا المنحى، يعكس علم اللغة الديكارتى اهتمام علم النفس في القرن السابع عشر بإسهام العقل في المعرفة الإنسانية، وربما تفسير هيربرت Her- bert Cherbury أهم تفسير في هذا الصدد حيث يقول: " توجد مبادئ ومفاهيم راسخة في العقل تجعلنا نستخرج الموضوعات من أنفسنا، باعتبارها هبة مباشرة من الطبيعة " مبدأ الغريزة الطبيعية " [3]. وتعد هذه مفاهيم عامة وحقائق عقلية " وتطبع على الروح بواسطة أوامر الطبيعة نفسها " [4]. وبالرغم من ذلك، هذه المفاهيم العامة " تجفز عن طريق بواعث خارجية ". وتجدر الإشارة إلى أن هذه المبادئ التفسيرية لا يمكن أن تكون متعلمة من الخبرة تمامًا بل ربما تكون مستقلة عن الخبرة [5].

يجب أن تنصب اهتماماتنا على تحديد ما هي المفاهيم العامة والمبادئ التنظيمية الفطرية والتصورات التي تجعل الخبرة ممكنة. وفقاً لهيربرت المعيار الرئيسي للغريزة الطبيعية هو "الإجماع الكلي" [6]، ويقصد به أن هذه الملكات والمبادئ الفطرية مملوكة للبشر عموماً حتى بين المجانين، الأطفال، المخمورين،

---

(1) Noam Chomsky, Reflections on Language, p. 5.

(2) د. إبراهيم مصطفى إبراهيم: مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993، ص93.

(3) Noam Chomsky, *Cartesian Linguistics*, p.60.

(4) Noam Chomsky, New Horizons in The Study of Language and Mind, p. 118.

(5) Noam Chomsky, Cartesian Linguistics, p.60.

(6) Ibid., p. 61.

كلهم لديهم تلك الملكات. وتتمثل أهمية الخبرة في أنها ضرورية لإثارة وتنشيط هذه الملكات والمبادئ الفطرية "، إنه القانون أو قدر المفاهيم العامة في حين أن الصور الأخرى للمعرفة تكون ساكنة (غير مستخدمة) إذا لم تتم إثارتها "، تشبه المفاهيم العامة ملكات الرؤية، السمع، الحب، الأمل... الخ، التي تكون لدينا منذ الولادة والتي " تظل متأخرة (كامنة) حتى تتطابق مع بواعثها وإذا لم تحركها البواعث تختفي ولا تعطي إشارة عن وجودها " [1].

يقول تشومسكي: " عبر هيربرت عن النظرية النفسية التي تشكل أساس علم اللغة الديكارتي "، وذلك عندما أكد على ضرورة الإيمان بوجود المبادئ التفسيرية الفطرية التي تكون شرطاً سابقاً على الخبرة والمعرفة في العقل الإنساني، وأن هذه المبادئ مفهومة ضمنًا، وربما تتطلب الإثارة لكي تصبح نشطة ومتاحة للاستبطان [2]. وبذلك حدد هيربرت مظاهر المعرفة التي تطورت بعد ديكارت، على يد الأفلاطونية الإنجليزية وليبنتز وكانط.

ولقد أكد كودوارث أن العقل لديه "قوة إدراكية فطرية" تمدنا بالمبادئ والتصورات التي تؤلف معارفنا والتي تثار عن طريق الحس. "ولكن الأشياء المحسوسة نفسها (مثل الضوء، الألوان) لا تعرف أو تفهم عن طريق العاطفة أو الصورة الذهنية للحس ولكن عن طريق ممارسة الأفكار الواضحة من العقل نفسه وذلك عن طريق شيء ما فطري وداخلي بالنسبة له ". وهكذا المعرفة " تكمن في إيقاظ وإثارة القوى النشطة الداخلية (العقلية) للعقل " [3]؛ ليبرهن على أن " النفس تعرف فعليًا هذه الأشياء (حقائق الهندسة، في هذه الحالة) وتحتاج فقط أن تتذكرها ". بناء على ذلك تمتلك النفس على الأقل الفكرة التي تعتمد عليها هذه الحقائق [4].ويؤكد ليبنتز أن المبادئ الفطرية التي تحدد طبيعة الفكر والخبرة تطبق تماماً بدون وعي منا، وما يتأخر في العقل ربما يتطلب إثارة خارجية قبل أن ينشط؛ حيث أن مبادئ اللغة والمنطق الطبيعي نعرفها من دون وعي وتمثل في جانب

---

(1) Ibid., p. 61.

(2) Ibid., p. 62.

(3) Noam Chomsky, Reflections on Language, p. 5.

(4) Ibid, p. 63.

كبير منها شرطاً سابقاً لاكتساب اللغة. [1]

ولقد تبنى تشومسكي ذلك الموقف العقلاني الديكارتي في اكتساب المعرفة اللغوية مدعماً نظريته المعاصرة موسعًا إياها على نحو جعلها نظرية تفسيرية للمعرفة الإنسانية عمومًا وإلقاء الضوء على طبيعة العقل الإنساني خصوصًا والطبيعة البشرية عمومًا.

5 – 1 – نمو اللغة The Growth of Language

تعد اللغة الإنسانية خاصة أولية محددة بيولوجيًا، متميزة بشكل لا نهائي، لا يتعلمها الأطفال ما لم يملك العقل بالفعل عناصرها الأساسية، ومثل هذه المعرفة يجب أن تأتي من «اليد الأصلية للطبيعية» على حد تعبير ديفيد هيوم كجزء من هبتنا الطبيعية [2]. تعتبر كل لغة نتيجة لتفاعل عاملين: الحالة الأولية، ومجموعة الخبرات. وتعد الحالة الأولية " وسيلة الاكتساب اللغوي " التي تأخذ الخبرة كمُدخل وتعطي اللغة كمخرج، ذلك المخرج الذي يكون تمثيلاً داخل العقل/ المخ [3]، وتمثل الحالة الأولية عند تشومسكي البنية الفطرية (ملكة اللغة) التي يتم وفقًا لها اكتساب اللغة، فإذا لم توجد تلك الحالة الأولية لما استطاع الإنسان أن يكتسب اللغة من مجرد الخبرات اللغوية المتاحة.

يتمسك تشومسكي بضرورة النظر إلى اللغة باعتبارها كيانًا ينمو وفقًا لبرنامج ثابت محدد وراثياً، فنحن نتعلم كيف نقفز عاليًا ولكن لا نتعلم أن يكون لدينا أذرع نفضلها على الأجنحة، لا نتعلم المشي أو الجري مفضلين ذلك على الطيران، فنمو اللغة يماثل نمونا البيولوجي، محدد بيولوجيًا ووراثيًا، فكما ينمو الجسد ينمو العقل بملكاته ويخضعان للوراثة والتحديد البيولوجي، فمن الخطأ أن ننظر إلى الجسم باعتباره ينمو ومحدد بيولوجيًا ووراثيًا وكونه أعقد من العقل وعملياته وهذا الخطأ كرسته الأطر التجريبية.

يرى تشومسكي أن فكرة النظر إلى نمو اللغة باعتبارها نظيرًا لتطور

---

(1) Ibid., p. 63.

(2) Noam Chomsky, New Horizons in the Study of Language and Mind, p.110.

(3) Ibid, p.112.

العضو الجسدي أمر طبيعي ومعتدل... لماذا يفترض التجريبيون وجود "نظرية للتعلم" تستطيع أن تفسر اكتساب البنى الإدراكية من خلال الخبرة؟ هل يوجد دليل من الجسم على ذلك ينشأ خلال البحث العلمي أو الملاحظة أو الاستبطان الذي يقودنا إلى النظر للتطور الطبيعي والعقلي بأساليب مختلفة؟ بالطبع الإجابة إنه لا يوجد ما يدل على ذلك، فلم يقدم ال علم سببًا لقبول المبدأ العام الذي يتمثل في القول: " إنه لا يوجد شيء في العقل إلا ومر بالحس أولاً ". [1] تنمو اللغة لدى الإنسان استنادًا إلى تلك البنية الفطرية "ملكة اللغة" التي تعتبر منبع النمو اللغوي والمعرفة اللغوية.

5 – 2 – فرض الفطرية Innateness Hypothesis

تقوم أطروحة الفطرية عند تشومسكي على الاعتقاد بأن اللغة ترتكز على مخزون غني من المبادئ والأفكار الفطرية [2]. يقوم فرض الفطرية الجديد – كما يدعوه "كوبر" – على أساسين عريضين، يتمثل الأساس الأول في تفسير الوجود المزعوم للملامح اليقينية العامة لكل اللغات أو أنحاء اللغات. نحن لا نستطيع تفسير هذه الكليات اللغوية بالافتراضات البديلة – مثل القول إن كل اللغات اشتقت تاريخيًا من أصل بدائي,ولذلك يجب أن نرجعها إلى التنظيم العقلي الفطري الإنساني العام عند البشر، في حين يتمثل الأساس الثاني في أن معرفة اللغة عند الشخص لن يتم اكتسابها إذا لم يكن يعرف على نحو فطري مبادئ وصور النمو [3].

إن النظرية الفطرية، والعقلانية تختلف عن النظرية السلوكية في نقطتين هامتين: [1] أعطت النظرية العقلية اهتمامًا متزايدًا للعوامل الفطرية في اكتساب اللغة. [2] قدمت تفسيرًا مختلفًا لدور العوامل البيئية في اكتساب اللغة[4].

إلى جانب تشومسكي يأتي عالم النفس مكنيل McNeil حيث يؤكد أن كل

---

(1) Noam Chomsky, Reflection on Language, p. 11.

(2) David Cooper, Knowledge of Language, New York: Humonities Press Inc,1975, p.2.

(3) Ibid,pp. 2 - 3.

(4) Judith Lind Fors, Children's Language and Learning, p. 105.

طفل يولد ومعه كليات البنية اللغوية. [1]

إن النظرية الفطرية استمدت دعمها من البحث البيولوجي المرتبط بتطوير اللغة؛ حيث قدم لينبرغ أربع معايير يستعملها علماء الأحياء لإيضاح فطرية الشيء من عدم فطريته وهي كالتالي:

1 – هل هناك تغير داخل النوع (أي: واقع ضمن نوع أحيائي أو شامل أعضاء من نوع أحيائي واحد)، بمعنى: هل تنفذ المجموعات المختلفة داخل النوع الواحد النشاط بطرق مختلفة؟

2 – هل للظاهرة تاريخ داخل النوع، أي: هل نستطيع تتبع تطورها من المرحلة الأكثر بدائية إلى المرحلة الأكثر تطورًا؟

3 – هل هناك دليل على الاستعداد الوراثي؟ أي: نستطيع إيضاح إنه إذا لم يكن لدى شخص ما استعداد وراثي لتعلم النشاط فإنه لن يستطيع تعلمه بالمشاركة؟

4 – هل هناك افتراض علاقة عضوية بمعنى: هل من المحتمل أن عضوًا محددًا يملكه الكائن لو كان الكائن قادراً على أن يشارك في السلوك؟

لو جاءت الإجابة عن السؤال الأول والثاني، بالنفي. وبالإيجاب عن السؤالين الثالث والرابع، إذن الظاهرة فطرية[2].

يقارن لينبرغ بين حالة المشي وحالة الكتابة باعتبار الأولى فطرية والثانية غير فطرية، وذلك على النحو الآتي:

بالنسبة للمشي الإجابة على السؤال الأول والثاني هي (لا)، والثالث والرابع هي (نعم).

1 – لدى الجنس البشري فقط هذا النوع من الحركة، إنها كلية لكل البشر.

2 – لا يمكن تتبع تطور المشي على القدمين من المرحلة البدائية إلى المرحلة المعقدة خلال الثقافات البشرية، أي لا يمكن النظر في الثقافة والقول إن

(1) Ibid., p. 105.

(2) Kirsten Malmk Jear, The Linguistic Encyclopedia, London: Routledge 1991,p.377.

هناك حالة من المشي البدائي، وليس هناك أي نقاط جغرافية ولا أية آثار منتشرة في الأزمنة السابقة تدل على ذلك. كل إنسان يمشي لديه نفس نموذج الهيكل العظمي الخاص بالقدم.

3 - يبدو المشي وراثي؛ لأنه مهما تدرب الحيوان فلن يسير على قدميه مثل الإنسان.

4 - من الملاحظ أن المشي على قدمين ذو علاقة عضوية، لكي تمشي على قدمين فأنت تمتلك قدمين لهما علاقة معينة بباقي الجسم [1].

بالنسبة للكتابة:

1 - هناك مقدار من التنوع في أنظمة الكتابة داخل الجنس البشري. يوجد عدد من الأنظمة الناجحة جنبًا إلى جنب ونجحت أيضًا في الماضي.

2 - للكتابة تاريخ يمكن تتبعه داخل الجنس البشري، فهناك ثقافات لم يكن لديها أنظمة كتابية وتاريخ أي نظام كتابي يمكن تتبعه، لدينا بعض المعرفة بمناطق اختراع وتطور الكتابة، وتعد الكتابة حدثاً حديثاً نسبيًا في تاريخنا.

3 - تأكيد امتلاك نظام كتابي يحتاج استعداد وراثي يجب أن نوضح أن الثقافات التي ليس لديها نظام كتابي تختلف جينيًا عن الثقافات التي لديها نظام كتابي.

4 - ليس هناك أي عضو ناقص في أعضاء الثقافات التي لم تكتشف الكتابة[2].

لقد جذب لينبرغ الانتباه إلى بعض النقاط العامة المتعلقة باكتساب اللغة، حيث يعتبر اكتساب اللغة أكثر مماثلة للتحديد الجيني للمهارات (مثل مهارة السير على قدمين) من النقل الثقافي (مثل الكتابة). عندما يولد الطفل لا يقدر على المشي ولا يقدر على الكتابة، ومع ذلك، يتمتع باستعداد بيولوجي فطري لتعلم المشي على قدمين وليس لديه مثل هذا الاستعداد البيولوجي للكتابة؛ حيث إن تعلم الكتابة يعني مسألة تدريب. لقد أشار لينبرغ إلى أن استعمال اللغة - يماثل المشي على قدمين - فالسلوك الذي يوضح [1] تحديد الاختلاف داخل الجنس البشري، [2] لا تبدأ

---

(1) Ibid, p. 377.

(2) Ibid, p. 377.

الإشارة بالسلوك داخل التاريخ التطوري للجنس البشري [3] دليل على الاستعداد الوراثي. البشر مشكلين وراثيًا لنوع معين من التحرك والاتصال الرمزي من خلال اللغة. [4] الوجود الواضح للترابط العضوي[1],هو سلوك يستند إلي وجود البنية الفطرية البيولوجية المحددة وراثيًا لدى الكائن الحي ويتمثل دور الخبرة أو البيئة فى إثارة تلك البيئة وتنشطيها.

بذلك يربط عمل لينبرغ بين اكتساب اللغة والنضج البيولوجي داعماً الرؤية الأقوى والمبكرة للنظرية الفطرية التي وضعت افتراضين مهمين حول المكون الفطري لاكتساب اللغة يتمثلان في: [1] الوراثة الجينية على نحو أوسع مما كان مفترض، حيث إن الطفل ليس ببساطة «لوحاً أبيض» عند الميلاد، [2] الوراثة الجينية للقدرات العقلية ليست ببساطة قدرة عامة للتعلم ولكن على الأصح أنها تشمل استعداد بيولوجي محدد لاكتساب اللغة [2].

دعائم فرض الفطرية

هناك حجج تدعم الفطرية [3]:

1 - خاصة الجنس البشري:

يتكلم اللغة الكائنات البشرية فقط، نحن نمتلك شيء بيولوجي محدد للغة، ذلك الشيء يعادل ملكة تعلم اللغة الفطرية.

2 - الفترة الحرجة: critical period

يكشف اكتساب اللغة عن" آثار الفترة الحرجة": حيث تنخفض القدرة على تعلم اللغة بعد البلوغ بشكل كبير، هذه الصورة مقارنة بباقي عملية النمو المحكومة بيولوجيًا توضح أن اكتساب اللغة محدد على نحو كبير أيضًا بالجنيات الوراثية.

3 - سهولة التعلم: facility of acquition

تكتسب اللغة بسرعة وسهولة ملحوظة وفى مرحلة عمرية صغيرة جداً.

---

(1) Ibid., p. 106.

(2) Ibid., p. 107.

(3) Fion Cowie, “Innateness of Language,” in Routledge Encyclopedia of Philosophy, (ed.) by Edward Cric, London: Routledge, 1998, p.387.

4 – الكليات اللغوية linguistic universals

يوجد تشابهات تركيبية ودلالية عميقة بين كل اللغات الطبيعية المعروفة، فطالما لايوجد دليل قوى يؤكد وجهة النظر القائلة بأن اللغات الحالية منحدرة من أصل واحد، فإنه يجدر القول إن هذه العموميات ما هي إلا سلاسل من الطرق التى بها بنيت ملكة اللغة.

5 – التعقد اللغوى: complexity linguistic

يمضى علماء اللغة فترات طويلة في دراسة النحو، على حين يتعلم الأطفال مجمل النحو لأنه لغة ببساطة، فقط بالاستماع إلى الكلام الدائر حولهم، يرجع ذلك إلى فطرية ملكة اللغة.

يقدم فرض الفطرية تفسيرًا جديدًا للظواهر التي لا يوجد تفسير مقنع لها، وهي:[1].

1 – الكلية universality:

هناك ما يجبر البشر على نحو فطري لكي يتحدثوا لغات النحو العام فقط، إننا نلاحظ أن مبدأ تبعية البنية عام فى كل اللغات، فإذا ما سألنا هل فى الإمكان إيجاد لغة إنسانية لا تخضع لذلك المبدا؟ يأتى الرد أنه من الصعب وجود تلك اللغة، بناء على ذلك فإن علماء اللغة على صواب فى اعتقادهم فى إن كل اللغات البشرية محكومة بقواعد النحو العالمى.

2 – فقر المثير:

تتضح معالم فقر المثير فى محاورة مينون؛ لأن سقراط لم يعلم العبد لكن فقط قام بإثارته أو حثه ليظهر استجاباته بالاستفسار، أي: قام بدور مولد أفكار المثلث، الخط، الخط المستقيم، نفس الشيء صحيح في حالة اللغة، على الرغم من انتشار أسطورة تدعي أن الأطفال يتعلمون اللغة بتداعي الصوت مع الشيء. طبقًا للأسطورة، في حضور فيدو fido يقول الوالدن كلب، فيتعلم الطفل كلمة كلب بتشجيع والديه. دعنا نفترض أن بالوقت طفل عنده 6 سنوات أصبح لديه 13 ألف

---

(1) Ibid.,p.387.

كلمة، الآن اسأل نفسك كم عدد المرات التى جلس فيها الآباء أو الآخرون مع أطفالهم حتى يعيدوا الكلام مرة ثانية على مسامع أطفالهم كما فى حاله" كلب"؟ سوف يكون من المدهش جدًا لو كانت الإجابة " آلاف المرات" حتى لو وضعت الأسطورة الفهم بأن ذلك يحدث الآن ألاف المرات فلن تسمح سوى بتعلم مئات الكلمات القليلة فقط، بل ما هو أدعى للتأمل قليلا لو قام الطفل بربط كلمة كلب حينما نظر الى فيدو بذيل الكلب وليس بالكلب, وبدأ يستعمل كلب ليتكلم عن الأحصنة، وهناك عدد غير متناهى من التداعيات الأخرى التى يمكن تخيلها التي تستلزم ألا يشجع الطفل عليها وأن يعاد توجيهه إلى الاستعمال الصحيح من جديد. علاوة على ذلك في النموذج المفترض من قبل الأسطورة يجب أن يعلم الأطفال – حتى هؤلاء في نفس الجماعة اللغوية – كلمات مختلفة فى أوقات مختلفة، بمعدلات مختلفة فى الحقيقة يكتسب الأطفال الكلمات تقريبًا في نفس المعدل وذلك يخالف رؤية السلوكي.[(1)]))

لقد اعتمد سقراط على سرعة فهم العبد للمفاهيم الهندسية على الرغم من عدم خضوعه للتعليم أو أيه صورة من صور" نهج التعليم"، وذلك حتى يوضح أن هذه المفاهيم يجب أن تكون فطرية. تعد النظرية الفيثاغورثية وما حدث للعبد معها مثال جيد على ضرورة وجود نوع مجرد محدد غني من المعرفة؛ لأنها تتطلب معرفة مفاهيم المثلث قائم الزاوية، وأيضًا مفاهيم: الجانب، الزاوية، الخط، الطول، أيضا تستلزم معرفة كيف تطبق هذه المفاهيم على الأمثلة، [(2)] قام العبد بفهم تلك المعرفة فطرية لأنه لم يخضع لأي نوع من التعليم.

3 – التفرد: suigneris

تعلم اللغة أمر فريد مختلف تمامًا عن اكتساب المهارات الإدراكية الأخرى من حيث إنه:

1 – يتم في سن صغير جدًا أو يكتمل قبل سن الثانية عشر.

---

(1) James McGilvary, Chomsky ,p,69.

(2) Ibid.,p.64.

2 – مستوى الإنجاز مماثل تماما مقارنة بالمهارات العقلية الأخرى.

3 – يكتسب كل الأطفال – مهما كانت لغاتهم – عناصر القدرة اللغوية بنفس الطريقة، إن الاكتساب متماثل على نحو تطوري عبر الأفراد والثقافات. [1]

يستند فرض الفطرية عند تشومسكي على وجود ملكة اللغة باعتبارها البنية الفطرية التي تمثل جهاز اكتساب اللغة language acquisition device، وملكة اللغة ما هي إلا ملكة واحدة من ملكات العقل. يصوغ فرض الفطرية على أنه: نظرية لغوية، نظرية للنحو العام.إنه يمثل الخاصة الفطرية للعقل، من حيث المبدأ، يجب أن نكون قادرين على تفسيرها بمصطلحات البيولوجيا الإنسانية [2]. وبذلك يفسر تشومسكي معرفة اللغة بالاحتكام إلى فطرية اللغة عند المتعلم باعتبارها حالة فيزيائية وهبة بيولوجية، وتثير الخبرات فقط التطور البيولوجي لملكة اللغة الفطرية.

بناءً على ما سبق هناك أسس بيولوجية لاكتساب اللغة، يدعم ذلك الافتراض أن قدرة الأطفال على صياغة القواعد المعقدة وتأليف أنحاء اللغة المستخدمة حولهم تتم في فترة قصيرة نسبيًا، بالإضافة إلى ذلك تشابه مراحل اكتساب اللغة بين الأشخاص المختلفين، مما يؤيد القول إن الأطفال لديهم قدرات ببيولوجية فطرية. فتعلم اللغة يماثل تعلم المشي، ويخالف تعلم القراءة أو تعلم قيادة الدراجة «. إن العديد من الناس لا يتعلمون أبدًا القراءة لأنهم لم يتدربوا على فعل ذلك أي الذهاب إلى المدرسة أو معلم يقوم بذلك، على حين نجدهم يجيدون التعامل باللغة بشكل تام[3]. وإن دل ذلك فإنما يدل على أن هناك قدرات بيولوجية تهيئ الإنسان لأداء بعض المهام بدون إعداد وتدريب وتعليم، منها القدرة على اكتساب اللغة.

إن اللغات الإشارية دليل على الفطرية البيولوجية للغة، يرى البعض الأطفال

(1) Michael Davitt , Language and Reality: An Introduction to the Philosoply of Language,Oxford: Blackwell Publishers,1999,pp.192 - 93.

(2) Noam Chomsky, Reflections on Language, p. 34.

(3) (1) Robert Rodman , An Introduction to Langnage,Florida: Hdt,Rinehart and Winston,Inc, 1988,p382.

الصم غير القادرين على سماع أصوات اللغة المتكلمة قادرين على اكتساب اللغة المتكلمة كما يفعل الأطفال الطبيعيون، مع ذلك نجد الأطفال الصم لآباء صم الذين يتعرضون للغة الإشارة يتعلمون لغة الإشارة في مراحل توازي اكتساب اللغة عند الأطفال الطبيعيين حينما يتعلمون من اللغات الشفهية. اللغات الإشارية هي لغات إنسانية لا تستخدم أصوات لتعبر عن المعاني، بل تستخدم إيماءات الجسم واليد، إنها تعد الصور المستخدمة لتمثل الكلمات، إن اللغات الإشارية هي تطور كامل للغات ومن يعرف اللغة الإشارية يكون قادراً على إبداع وفهم عدد غير محدد من الجمل الجديدة، شأنه فى ذلك شأن متكلم اللغات المنطوقة.

ولذلك لو أن اللغة الإنسانية كلية بمعنى أن كل أعضاء الجنس البشري لديهم القدرة على تعلم اللغة، فمن غير المدهش أن تتطور اللغات الإشارية من حيث هي بديل للغات المنطوقة بين أفراد لا يسمعون، أي: كلما نمت معرفتنا عن القدرة اللغوية الإنسانية كلما اتضح أن اكتساب واستعمال اللغة لا يعتمد على القدرة في إنتاج وسماع الأصوات لكن يعتمد على قدرة إدراكية مجردة محددة بيولوجيًا تفسر المتشابهات بين اللغات الإشارية واللغات المنطوقة[1].

نخلص مما سبق، إلى أن الفطرية تتعلق بالأساس الجيني لاكتساب اللغة الذي يتجسد في الحالة الأولية لملكة اللغة. في حين يمثل التحديد الخاصة المميزة لملكة العقل وذلك يتضح من السؤالين التاليين حول تحديد ملكة اللغة: أولاً: هل ملكة اللغة تحدد الجنس البشري فقط؟ ثانيًا: هل تحدد ملكة اللغة اكتساب اللغة فقط؟ من ثم ينسحب التمييز بين تحديد الجنس البشري (السؤال الأول)، تحديد اللغة– (السؤال الثاني) بالإشارة إلى سؤال تحديد الجنس البشري، يعتبر تشومسكي أن الحالة الأولية لملكة اللغة محددة بالفعل للجنس البشري، فهي خاصة الجنس البشري عامة في كل البشر ومقصورة على الجنس البشري فقط، ملكة اللغة، في كلمات أخرى، يأخذها تشومسكي باعتبارها "خاصة العقل/ المخ التي تميز البشرعن الطيور أو القرود ". يتعلق تحديد اللغة بالحالة الأولية لملكة اللغة الخاصة

(1) ((Ibid.,p.384.

باكتساب اللغة فقط؛ لأن ملكة اللغة ليست آلية تعلم عامة[1].

يتصور تشومسكي العقل باعتباره نسقًا من "الأعضاء العقلية" mental or- gans وملكة اللغة أحد تلك الأعضاء (أو كيان واحد منها)، كل من هذه الأعضاء له بنيته ووظيفته المحددة، ويتحدد شكلها العام بواسطة الموهبة الطبيعية الوراثية، وهذا التحديد البيولوجي يمدنا بأساس حياتنا العقلية [2].

يمثل بذلك فرض الفطرية أحد ملكات العقل العامة في الجنس البشري وهي ملكة اللغة التي تؤدي وظيفتين أساسيتين للنظرية العقلانية: أولاً: تمد الجهاز الحسي بالتحليل المبدئي للمعلومات اللغوية والتخطيطية التي تحدد بدقة تامة النوع المحدد للأنحاء، يعتبر كل نحو نظرية للغة معينة محددة الخصائص الصورية والدلالية للنظام اللامتناهي للجمل، هذه الجمل لكل منها بنية خاصة تؤلفها اللغة المولدة عن طريق النحو. ثانيًا: تعطي ملكة اللغة الإثارة المناسبة التي تؤلف النحو، ويعرف الشخص توليد اللغة عن طريق النحو المؤلف. وتستخدم هذه المعرفة في فهم ما يسمع وينتج في المحادثة باعتبارها تعبير عن التفكير داخل تقييدات المبادئ المجسدة بطريقة مناسبة للمواقف، وهذه يتم تصورها عن طريق الملكات العقلية الأخرى الحرة من تحكم المثيرات [3].

وكما سبقت الإشارة إلى أن ملكة اللغة خاصة إنسانية عامة تتنوع قليلاً خلال الجنس البشري بقدر ما نعرف... ولملكة اللغة حالتان يتمثلان في: أولاً: الحالة الأولية initial state تعبر عن الموروثات ويمكن أن نطلق عليها النحو الكلي، ثانيًا: الحالة الثابتة (المستقرة) steady state نظريات الحالات المحققة أو الأنحاء الخاصة، وتعد هذه الحالات المحققة نفسها اللغات الداخلية (لغة الأنا الداخلية) internal language [4].

وكما يقول تشومسكي: "هناك ما يسوغ الاعتقاد بأن لدى البشر

---

(1) R. Botha, Challenging Chomsky, pp. 27 - 28.

(2) Noam Chomsky, Rules and Representations, p. 242.

(3) Noam Chomsky, Reflections on Language, p. 13

(4) Ibid., p. 64

"عضوًامخصوصًا مقصورًا على استخدام اللغة وتأويلها، لنسمه بــ "الملكة اللغوية". ويمكن أن نأخذ الملكة اللغوية على أنها مشتركة بين أفراد النوع. وتتخذ حالات تتنوع بطرق محدودة تبعًا لتنوع التجربة، وتسهم هذه الحالات بتفاعلها مع أنظمة أخرى (معرفية، إحساسية حركية)، في تحديد صوت التعبيرات اللغوية ومعناها"[1]. وينظر تشومسكي إلى ملكة اللغة باعتبارها نظام حدسي ذو مبادئ غير متغيرة إلى حد بعيد [2].

ويمكن النظر إلى الملكة اللغوية على أنها شبكة متداخلة معقدة من نوع ما موصلة بصندوق للمفاتيح يحتوي عددًا من المفاتيح التي يمكن أن تثبت في وضع معين، فإذا لم توضع المفاتيح في وضع معين فإن النظام سيظل معطلاً، أما إذا وضعت في واحد من الأوضاع المسموح بها فإن النظام سيعمل بالطريقة التي تمليها عليه طبيعته، وسيكون عمله مختلفًا تبعًا للكيفية التي توضع بها المفاتيح، فالشبكة الثابتة هي نظام مبادئ النحو العام، أما المفاتيح فهي المتغيرات التي ستثبت بالتجربة.

ولابد أن تكون المادة الأولية المقدمة للطفل كافية من أجل أن توضع المفاتيح في وضع معين. وعند وضع المفاتيح في وضع التشغيل فإن ذلك يعني أن الطفل تملك ناصية لغة بعينها، وأنه يعرف حقائق تلك اللغة يعرف أن تعبيرًا معينًا له معنى معين، وهكذا [3].

وكل وضع من الأوضاع المسموح بأن توضع المفاتيح عليها سينتج عنه لغة معينة، فاكتساب اللغة في شق منه عملية وضع للمفاتيح في وضع معين بناء على المادة الأولية المقدمة، أي أنها تثبيت للقيم التي تأخذها المتغيرات. وعندما تُحدد تلك القيم فإن النظام بأكمله سيعمل، لكنه لا توجد أيه علاقة بسيطة بين القيم المختارة لمتغير معين والنتائج التي ستترتب على هذا الاختيار عندما يشق هذا

---

(1) Ibid., p. 367.

(2) Ibid., p. 368.

(3) Noam Chomsky, Reflections on Language,p. 63.

الاختيار طريقه عبر النظام المتشابك للنحو الكلي[1].

يؤكد تشومسكي على أن القدرات العقلية mental capacities هي المسئولة عن اكتساب اللغة ويجب أن نميزها عن تعلم المهام أو النشاطات، مثل: لعب الشطرنج أو تعلم الفيزياء أو التاريخ، إن ملكة اللغة مؤلفة من جهاز اكتساب اللغة الذي لا يتنوع عبر الثقافات. فكل فرد منح وراثيًا "آلية جهاز اكتساب اللغة" الذي يحدث الانتقال من الحالة الأولية لملكة اللغة للحالات التالية، ويضع الخبرة للحالات المحققة.

وسأتناول بالعرض كلاً من الحالة الأولية لملكة اللغة "النحو الكلي" والحالة الثابتة المستقرة لملكة اللغة "لغة الأنا الداخلية" I – Language.

5 – 2 – 1 - النحو العام Universal Grammar

لم يكن تشومسكي أول من نادى بضرورة البحث عن المبادئ الكلية الموجودة فينا على نحو فطري بيولوجي فيما أسماه « النحو العام»، بل سبقه إلى ذلك الفيلسوف الألماني آلستد(1630) Alsted حيث استعمل أولاً مصطلح النحو العام general grammar لكي يميزه عن النحو الخاص special grammar، مدعيًا أن وظيفة النحو العام الكشف عن الملامح التي تربط المفاهيم النحوية العامة في كل اللغات، مشيرًا إلى أن النحو العام هو النموذج العام لكل نحو خاص أيا كان، وناشد علماء اللغة البارزين أن يوظفوا بصائرهم في هذه المسألة"[2].

إن اكتشاف طبيعة النحو العام الذي يصف مبادئ كل اللغات الإنسانية أهم أهداف النظرية اللغوية، وإن كان هدف عالم الطبيعة اكتشاف « قوانين الكون الطبيعي، « فإن هدف اللغوي اكتشاف « قوانين اللغة الطبيعة « وهناك عدد من الحقائق تدعم نظرية النحو العام وهي[3]:

1 – حيثما يوجد البشر توجد اللغات.

---

(1) Ibid., p. 64.

(2) Victoria fromkin, Robert Rodman: An Introduction to Langnage.Florida: Hdt,Rinehart and Winston,Inc.,1988,p.17.

(3) Ibid., p. 18 – 19.

2 – ليس هناك لغات بدائية، كل اللغات متساوية في التقعيد وفي القدرة على التعبير عن أية فكرة في الكون، يمتد معجم اللغة حتى يشمل كلمات جديدة لمفاهيم جديدة.

3 – تتغير كل اللغات عبر الزمن.

4 – العلاقات بين أصوات ومعاني اللغات المتكلمة وبين الإيماء إن(العلامات) ومعاني لغات الإشارة في معظمها اعتباطية.

5 – تستخدم كل اللغات الإنسانية سلسلة متناهية من الأصوات المتميزة التي تتجمع حتى تشكل عناصر ذات معنى أو كلمات، هي نفسها تشكل سلسلة غير متناهية من الجمل الممكنة.

6 – تحتوي كل الأنحاء على قواعد صياغة الكلمات والجمل ذات نوع متشابه.

7 – تشتمل كل لغة متكلمة على وحدات صوتية متميزة يمكن تعريفها من قبل سلسلة متناهية من الخصائص أو الملامح الصوتية, كل لغة متكلمة لديها نوع من الحروف اللينة ونوع من الحروف الساكنة.

8 – تتشابه المقولات النحوية في كل اللغات (مثل: الاسم، الفعل).

9 – هناك كليات دلالية مثل " مذكر"، "مؤنث "، " حيوان"، " إنسان" موجودة في كل لغات العالم.

10 – كل لغة لديها طريقة للإشارة إلي زمن الماضي، النفي، صياغة الأسئلة، وهكذا.

11 – يستطيع المتكلمون فى كل اللغات إنتاج وفهم سلسلة غير متناهية من الجمل، وتكشف الكليات التركيبية أن كل لغة لديها طريقة لصياغة الجمل.

12 – يستطيع أي طفل طبيعي ولد في أي مكان في العالم بصرف النظر عن الاختلافات العرقية، الجغرافية، أو البيئية الاجتماعية أو الإرث الاقتصادي أن يتعلم أية لغة، فالاختلاف الموجود بين اللغات ليس ناشئ عن أية أسباب بيولوجية.

يعتبر النحو الكلي – الحالة الأولية لملكة اللغة – نظرية معرفة وليس نظرية

سلوك، إنه يتعلق بالبنية الداخلية للعقل الإنساني. طبيعة هذه المعرفة تتلازم مع مشكلة كيف تكتسب المعرفة..... تعتقد نظرية النحو العام أن المتكلم يعرف سلسلة من المبادئ العامة التي تطبق على كل اللغات[1]. إن الجوانب المهمة لمعرفة اللغة ليست تلك الجوانب التي تكون صحيحة بالنسبة لكل لغة فردية على حدة، ولكن تلك الجوانب الصحيحة لكل اللغات لتوضيح البنية الداخلية للعقل، بالإضافة إلى أن ذلك يجب أن يعكس نمو خصائص كل العقول، وذلك أفضل من أن نعرف كيف نعرف الإنجليزية أو الفرنسية. يرى تشومسكي علم اللغة دائمًا باعتباره تطورًا للتفسيرات العميقة للغة الإنسانية عموماً مفضلاً ذلك على تفسير اللغات الخاصة، وفي ذلك يقول: " التقدم الحقيقي في علم اللغة يكمن في اكتشاف الملامح الحقيقية للغات، والتي يمكن اختزالها إلى خصائص كلية للغة وتفسيرها بمصطلحات هذه الجوانب العميقة للصورة اللغوية "، وعلى سبيل المثال: الظواهر المتعددة في الإنجليزية يمكن اختزالها إلى مبدأ فردي لتبعية البنية، والظواهر المماثلة في اللغات الأخرى يمكن أن ترتبط بنفس المبدأ. العديد من المبادئ الأخرى وجوانب العقل يمكن اكتشافها بنفس العملية [2]. يتمثل الهدف الرئيسي من النحو العام في اكتشاف طبيعة العقل الإنساني.

يقول تشومسكي: « إن اللغة ملكة فطرية «، وذلك يعني أننا ولدنا ولدينا نسق من القواعد تدور حول اللغة في رؤوسنا، التي يشير إليها باعتبارها «النحو العام»، يعتبر النحو العام الأساس الذي تقوم عليه كل اللغات البشرية: لو زار عالم لغة المريخ الأرض علي سبيل الافتراض، فسوف يستنتج الدليل التالي أنه توجد لغة واحدة فقط مع عدد من التنوعات (الاختلافات) المحلية. وعلل تشومسكي ذلك «افتراضه لوجود النحو الكلي» السهولة التي يكتسب بها الأطفال اللغة الأم mother language. فلن تكون معجزة حقيقية لو أن الأطفال يتعلمون لغتهم بنفس الطريقة التي يتعلمون بها الرياضيات أو كيف يركبون الدراجة[3].

---

(1) V. Cook, Chomsky's Universal Grammar, pp. 1 - 2.

(2) Ibid,pp. 6 – 7.

(3) Ibid.,p.15.

لا ينسخ الأطفال ببساطة اللغة التي يسمعونها حولهم، ولكنهم يستنتجون منها القواعد التي يستخدمونها لإنتاج الجمل التي لم يسمعوها من قبل. لا يتعلمون ذخيرة الجمل ويقولونها كما يعتقد السلوكيون – ولكن يولد النحو جمل جديدة لا متناهية. يولد الأطفال مزودين بالنحو العام في أمخاخهم. ويقدم هذا النحو عدد معين من الإمكانيات (الاحتمالات)، على سبيل المثال: بعض اللغات بنيتها الأساسية فاعل فعل مفعول svo فنسبة 75% من لغات العالم تستخدم البنية السابقة (الإنجليزية – الفرنسية.. الخ) أو sov (اليابانية... الخ) البعض vso والبعض ovs. وعندما يبدأ الطفل في الاستماع إلى والديه سوف يدرك على نحو لا واعي نوع اللغة التي يتعامل معها، وسوف يضع نحوه الصحيح وفقًا "لوضع البارامترات"[1].

ولقد حصلت نظرية النحو العام على تأييد واسع، فالمشكلة المنطقية لاكتساب اللغة طبقًا لأنصار النحو الكلي تتمثل في " هل يمكن تعلم اللغة بدون معرفة محددة للنحو العام"؟. والسبب الرئيسي وراء هذه الحجة هو مشكلة أفلاطون؛ حيث يرى تشومسكي أن المدخلات فقيرة وناقصة من ناحيتاين، والحجج عند فودر Fodor تتشابه مع تشومسكي أو أنصار النحو العام؛. حيث إن المدخلات الخارجية ذاتها لا تفسر اكتساب اللغة وأن اكتساب اللغة محددٌ مسبقًا وراثيًا، أضف إلى ذلك أن مثل هذا الاتجاه لدراسة اكتساب اللغة يختلف كلية عن وجهة نظر بياجيه وفجوتسكي اللذين أكدا علي دور العوامل البيئية والاجتماعية في تنمية اللغة [2].

يقول تشومسكي عن النحو العام: " إنني كنت أشير إلى اللغة الإنسانية والإدراك الإنساني وفي ذهني خصائص بيولوجية معينة وأهمها تلك الخصائص المحددة جينيًا، والتي تميز الجنس البشري... وهذه الخصائص تحدد أنواع الأنظمة الإدراكية – ومن بينها اللغة – التي يمكن أن تتطور في العقل البشري، وفي حالة اللغة سوف أستخدم مصطلح "النحو العام" للإشارة إلى سمات هذه القدرة البيولوجية، وهكذا فإن خصائص النحو الكلي هي " ضرورة بيولوجية " [3]. يضع

---

(1) Ibid., p. 16.

(2) Ibid., p.18.

(3) Noam Chomsky, Rules and Representations, p.190.

النحو الكلي سمات الملكة اللغوية العامة بين الجنس البشري عمومًا، أي سمات اللغة الإنسانية العامة الفطرية الموجودة لدى كل البشر التي جعلت عالم اللغة المريخي يؤكد أننا نتحدث لغة واحدة ولكنها تختلف في هوامشها فقط.

ومن المهم – كما يرى تشومسكي – أن نميز هذا الاستخدام – السابق للنحو العام عن استخدام آخر مختلف، يعتبر "النحو العام" تجسيداً لسمات "اللغة كما هي" وليست اللغة الإنسانية، وبهذا المعنى فإن النحو العام يحاول أن يصل لخصائص اللغة الضرورية منطقيًا ونظريًا من جهة المفهوم، وهي الخصائص التي إذا غابت عن نظام ما لا يمكن أن نسميه لغة مثل خاصية وجود جمل وكلمات. إن دراسة السمات الضرورية بيولوجيًا جزء من العلوم الطبيعية؛ لأن اهتمامها هو تحديد جانب واحد من علم الجينات البشري، وتحديدًا هو طبيعة القدرة اللغوية [1].

يؤكد تشومسكي أن البحث في موضوع النحو العام وفقًا لهذا المعنى يقع في نطاق ما يسميه هيوم Hume "الفلسفة الأخلاقية" بمعنى "علم الطبيعة البشرية"، الذي يعتني بـــ "الأسس والينابيع السرية وكيف تتحرك في عملياتها"، والأهم من ذلك تلك "الأجزاء من معارفنا التي تتولد من الطبيعة". وقد اعتبر ديكارت أن هذا هو أهم جزء يكون فيه البحث "لتحديد طبيعة ومجال المعرفة الإنسانية" [2].

ونخلص مما سبق إلى أننا ربما نفكر في النحو العام على أنه برنامج وراثي تنظيمي يسمح بمدى من الإدراكات الممكنة التي تجعل اللغات الإنسانية ممكنة، أي من هذه الإدراكات الممكنة يمثل حالة نهائية تمثل نحو اللغة المحددة، فالنحو العام نسق محدد وراثيًا في الحالة الأولية، وهو معين، مترابط باتساق ويكرر تحت سلسلة حالات عن طريق الخبرة ليتحول إلى الأنحاء الخاصة التي تكون ممثلة في الحالات الثابتة المحققة. والنظر إلى مسألة نمو اللغة على هذا النحو يبرر أنه من الممكن للشخص أن يعرف على نحو واسع أكثر من الخبرة التي يمتلكها [3].

---

(1) Ibid., p. 191.

(2) Ibid., p.270.

(3) Noam Chomsky, Rules and Representations, p. 274.

5 - 2 - 2 - اللغة الداخلية (المتذوتة) Internalized Language

تشير اللغة الداخلية إلى الحالة الداخلية للمخ / العقل عند الفرد المستقلة عن العناصر الأخرى في العالم. إن اللغة الداخلية ما هي إلا حالة نضج ملكة اللغة عند الفرد أي حالة ملكة اللغة الثابتة Steady State بحيث تمتلك ملكة اللغة في تلك الحالة النسق المعرفي اللغوي على نحو تام، ويستطيع الطفل عند وصوله إلى الحالة الثابتة – اللغة الداخلية – استعمال اللغة على نحو مماثل للراشدين. ولقد غيرت دراسة النحو التوليدي عند تشومسكي الاهتمام من دراسة اللغة الخارجية(المجسدة) externalized language – تختصر إلى language – e – إلى دراسة اللغة الداخلية، أي من دراسة اللغة باعتبارها موضوع خارجي إلى دراسة نسق اللغة المحقق والممثل داخلياً في العقل/ المخ. ومن ثم النحو طبقًا للغة الداخلية ليس سلسلة من العبارات حول الموضوعات الخارجية، ولكن بالأحرى وصف دقيق لما يعرفه الشخص عندما يعرف اللغة [1].

في سياق عقلانية تشومسكي تحول مركز الاهتمام من مصطلح الأداء performance – عند المدرسة اللغوية البلومفليدية – إلى مصطلح القدرة competence ومن ثم تحول الاهتمام من اللغة الخارجية المرتبطة بمصطلح الأداء إلى اللغة الداخلية التي تعد أحد جوانب القدرة اللغوية، حيث يهدف علماء اللغة الخارجية – الاتجاه البنيوي الأمريكي – إلى تجميع عينات اللغة ووصف خصائصها، إن اللغة الخارجية ما هي إلا تجميع للجمل وفهمها على نحو مستقل بعيداً عن خصائص العقل [2].

فقد غيرت دراسة النحو التحويلي مركز الاهتمام من السلوك الفعلي أو الممكن من نتائج السلوك إلى دراسة نظام المعرفة الذي يكمن وراء استخدام وفهم اللغة. وبصورة أكثر عمقًا انصب الاهتمام علي الهبة الفطرية التى تمكن البشر من الحصول علي أن يحصلوا مثل هذه المعرفة. إن النحو التحويلي ليس قائمة من القضايا خاصة بموضوعات خارجية مؤلفة بصورة ما، بل يدعي بالأحرى

---

(1) Rudolf Botha, Challenging Chomsky, p. 69.

(2) V. Cook, Chomsky's Universal Grammar, p. 12.

أنه يصور بالضبط ما يعرفه المرء عندما يعرف اللغة، والنحو العام هو تحديد لهذه المبادئ الفطرية المحددة بيولوجيًا التي تؤلف مكونًا واحدًا من مكونات العقل الإنساني، وهو ملكة اللغة [1].

يذكر تشومسكي، على سبيل المثال، أن علم اللغة الوصفي والبنيوي, بالإضافة إلى علم النفس السلوكي، يتعامل مع مفاهيم اللغة الخارجية ويعتبر مداخل اللغة عملية تجميع لبعض أنواع الكيانات – على سبيل المثال – الأفعال، المنطوقات، الكلمات، الجمل... الخ، أو بعض أنواع الأنساق مثل الصور أو الأحداث. إن النحو وفقًا لتلك الرؤية، تجميع للعبارات الوصفية المتعلقة باللغة الخارجية، أي الأحداث الكلامية الممكنة أو الفعلية حسب مصطلحات تشومسكي، ويختار النحو بناء على مقدار تطابقه على نحو صحيح مع اللغة الخارجية، فإذا تطابق نحوان بشكل صحيح مع اللغة الخارجية، فلا مجال للقول بصحة نحو وخطأ آخر [2].

لا يشتمل مدخل اللغة الخارجية على النظريات التي تؤكد على المظاهر الفيزيائية للغة فقط، ولكن يشتمل أيضًا على معالجة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، " على أنها تجميع أو نسق للأفعال أو سلوك من نوع ما "، حيث تربط دراسة اللغة الخارجية الجملة.... بالمواقف في لحظة التحدث بالعلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمستمع. وتركز أيضًا على السلوك الاجتماعي بين الناس مفضلة ذلك على العالم الفسيولوجي الداخلي [3].

يلخص الشكل التالي الاختلاف بين اللغة الداخلية واللغة الخارجية، ومما هو جدير بالذكر أن نظرية اللغة الداخلية لا تتعلق بالتحليل القائم على كميات كبيرة من المعلومات الملحوظة ولا المبادلات الاجتماعية المستخدمة في الحديث ولا تنوعات الطبقة الاجتماعية أو أغراض الكلام، إنها مرآة العقل [4].

---

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية وطبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة د. محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993، ص 83: 84.

(2) Rudolf, Botha, Challenging Chomsky, p. 69.

(3) V. Cook, Chomsky's Universal Grammar, p. 13.

(4) Ibid., pp. 16 – 17.

اللغة الخارجية E. Language	اللغة الداخلية I. Language
عينات من اللغة (الأداء)	جملة مبتكرة فردية (القدرة)
تصف ملامح اللغة بواسطة «الأبنية»	تصف جوانب العقل بواسطة المبادئ
اتفاق اجتماعي	حقيقة عقلية
سلوك	معرفة
مواقف خارجية	تمثيل داخلي
قدرة عملية أو اتصالية	قدرة نحوية

5 - 2 - 3 - اعتراضات على فرض الفطرية:

ينتقد هيلاري بوتنام فرض الفطرية وذلك في مقالته «فرض الفطرية ونماذج شارحة في علم اللغة»، حيث يذكر أنه تم تقديم عدد من الحقائق التجريبية التي تساند فرض الفطرية، وتتمثل فيما يلي[1]:

(1) سهولة تعلم الطفل للغته الأم: فالطفل الصغير يستطيع أن يصل لمستوى الإجادة التامة للغة بسهولة أكبر بكثير من الفرد البالغ ودون تعليم وتدريب مباشر، فالتعرض للغة لفترة قصيرة هو ما يتطلبه الأمر للطفل ليحقق إجادة المتكلم الأصلي للغة.

(2) حقيقة أن مفهوم التعزيز يبدو غير ضروري لتعلم اللغة، فبعض الأطفال يبدو أنهم تعلموا النطق دون أن يتكلموا واستطاعوا التكلم في سن متأخرة نسبيًا مما أدهش البالغين الذين اعتبروهم بكم.

(3) إن القدرة على تطوير كفاءة المتكلم الأصلي لا تعتمد على مستوى الذكاء؛ لأن الأفراد ذوي درجات الذكاء المنخفضة يستطيعون دمج الأشكال النحوية

(1) Hilary Putnam, " The Innateness Hypothesis and Explanatory Models in Linguistics," in Philosophy of Language (ed.) J. R. Searle, London: Oxford University Press, 1977, pp. 243 - 244.

للغتهم الأم.

(4) كما أن الكليات اللغوية التي تشترك فيها اللغات تدعم فرض الفطرية.

(5) وهناك حجة أخرى تقول: " ما الذي يمكن أن يبرر تعلمنا للغة؟ " وهذه مهمة معقدة توازي صعوبتها تعلم نظرية فيزيائية معقدة، فمن المعجزة أن ينجح عُشر الجنس البشري في تعلم اللغة بدون وجود معاونة فطرية.

بعد عرض تلك الأدلة التي تساند فرض الفطرية يقوم بوتنام بنقدها على النحو التالي:

(1) عدم وضوح فرضية سهولة تعلم اللغة وضرورة مفهوم التعزيز:

دعنا نفكر الآن مليًا في فرضية سهولة تعلم الأطفال للغتهم الأم، فطالب الجامعة البالغ الذي يدرس لغة أجنبية يقضي ثلاث ساعات أسبوعيًا في المحاضرات. وفي خلال أربعة عشر أسبوعًا يكون قد تعرض إلى اثنتين وأربعين ساعة عن اللغة، وفي خلال أربع سنوات يكون قد تعرض لحوالي 300 ساعة من اللغة وقليل منها يكون استماعاً حقيقياً لمتحدثين أصليين للغة، وعلى النقيض نجد أن المدرسين الذين يعتمدون على طريق التدريس المباشر يقدرون أن 300 ساعة تمكن المتعلم من أن يتكلم اللغة الأجنبية بطلاقة، فمن المؤكد أن 600 ساعة (ولنقل 300 ساعة من الاستماع و300 من القراءة) سوف تمكن الفرد البالغ من الحديث والقراءة بطلاقة باللغة الأجنبية وأن يستخدم كمية كبيرة من المفردات اللغوية مقارنة بالطفل. وقد يعترض البعض بأن الفرد البالغ قد لا يحقق لكنة ونطق المتكلم الأصلي. وهذا طبيعي لأنه ظل يتحدث بشكل واحد طوال حياته وهناك مجموعة من العادات التي يجب أن نتخلى عنها صوتيًا ليتعلم أشكال النبر والنطق الجديدة. فما يمكن أن نبرره لنظرية التعلم لا يمكن أن نعتبره دليلاً على صحة فرضية التكوين الفطري[1].

والطفل حين يصل إلى سن الرابعة أو الخامسة يكون قد تعرض إلى ما يتجاوز 600 ساعة، وعلاوة على هذا فلو كان التعزيز غير ضروري نجد أن

(1) Ibid., p. 247.

معظم الأطفال يتم تعزيزهم بشكل واعي ومتكرر من خلال أفراد بالغين بسبل متعددة، مثل: التكرار المستمر للجمل التي تتكون من كلمة واحدة (كوب) في حضور الأطفال، وأي متكلم أجنبي يستطيع أن يحقق إجادة أكبر للغة من الطفل، ومن المؤكد أن الطفل يمتلك نطقًا ولكنه أفضل. وأخطاء الطفل المتعددة لا تنتج عن تأثير عادات وقواعد اللغة الأم ولكن بسبب عدم اكتسابه لقواعد لغته الأصلية بشكل كامل بعد، ويبدو لي – كما يقول هيلاري بوتنام – أن هذا الدليل لفرضية الفطرية يقلب الأمور رأسًا على عقب [1].

(2) يمكن تبرير الكليات اللغوية دون اللجوء إلى فرضية الفطرية:

لنفترض وجود بشر طوروا لغتهم ذاتيًا في مكانين أو أكثر، فلو كان تشومسكي محقًا، لوجدنا نوعين أو أكثر من البشر ينتمون إلى المجموعات الأصلية ولن يقدر الأطفال الطبيعيون في كل مجموعة على تعلم اللغات التي يتحدثها الآخرون. وبما أننا لا نلحظ هذا حيث إن هناك مجموعة واحدة في كل العقول الآدمية، فيمكن أن نستنتج (إذا صحت فرضية الفطرية) أن استخدام اللغة قفزة ثورية ظهرت لمرة واحدة، ومن ثم يرى بوتنام إمكان تبرير تلك الكليات اللغوية على افتراض انحدار اللغات المختلفة من لغة واحدة طورها البشر وانتشرت من خلال الغزو أو المحاكاة لبقية الجنس البشري وإن كان ذلك يدعم على نحو ضعيف فرضية الفطرية [2]. ولكنه يبرهن على إمكان تبرير الكليات اللغوية بدون اللجوء إلى فرض الفطرية، فما تلك الكليات اللغوية إلا بسبب انحدار اللغة من أصل لغوي واحد.

يعد نيلسون جودمان وكواين من المعارضين للأفكار الفطرية، فليست هناك أفكار فطرية مغروسة فى البنية العقلية، لكن ما هو فطري يفهم لديهم بلغة الاستعداد أو الميول أو القدرات الفطرية، وفى ذلك يقول جودمان: إن» ما هو فطري ليس التصور أو الصور أو الصيغ ولكن بالأحري الميول والاستعدادت والعادات أو القوى الكامنة... والحديث عن الأفكار الفطرية ما هو إلا افتراض لتفسير القدرات

---

(1) Ibid., pp. 247 – 248.

(2) Ibid., pp. 246 - 247.

ومن ثم يفضل النظر للأفكار الفطرية على أنها مطابقة للقدرات الفطرية [1].

يذهب كواين إلي الاعتقاد بأن تشومسكي ليس عقلانيًا بل تجريبيًا، ففي تعليقه على وجهات نظره أشار إلي أن كل رجل عقلانى كان تجريبيًا؛ وذلك لأن السلوكية لا تنكر ما هو فطرى كما يعتقد تشومسكي [2]. ويذهب فى ذلك إلي أن السلوكي بمعرفة مسبقة وعلى نحو مبهج يغرق في الآليات الفطرية لتعلم الاستعداد، وفي حين يكون التدعيم وانطفاء الاستجابات أساسيين بالنسبة للسلوكي، فإنهما يعتمدان على التفاوت القبلي في المساحة الكيفية للموضوع وذلك للحديث عن الإثارات... وطالما كل استجابة متعلمة تفترض مسبقًا التفاوت القبلي، فإن بعض هذا التفاوت غير متعلم ومن ثم فطري. إن الميول والاستعدادات الفطرية حجر الزاوية بالنسبة للسوكية.... من ثم فإن المساحة الكيفية للإثارات ليست إلا بنية فطرية نحتاجها فى تفسير أي تعلم، وبشكل خاص تعلم اللغة.[3]

من ثم يتضح أن كواين يتحدث عن ما هو فطري بلغة الاستعداد والميول، أما تشومسكي يتحدث عن أفكار فطرية عامة مشتركة بين الجنس البشري كله(النحو العام) لا تحتاج إلا مجرد الإثارة الحسية الخارجية لتتم عملية اكتساب المعرفة عمومًا ومعرفة اللغة على نحو خاص.

---

(1) Neilson Goodman, " Symposium on Innate Ideas,". in the Philosophy of Language (ed.) by J.R. Searle. London: Oxford university Press, 1971, pp. 143 - 144.

(2) Kenneth Stern, " Neorationalism and Empirism," in Language and philosophy.p. 19.

(3) W.V.Quine, "Linguistics and Philosophy," in Language and Philiosophy, P. 95.

6. تعقيب

انصب اهتمام هذا الفصل على تناول قضية اكتساب المعرفة اللغوية الإنسانية باعتبارها نموذجًا إنسانيًا مصغرًا من اكتساب المعرفة الإنسانية بوجه عام، فلولا وجود المعرفة الإنسانية للعالم الخارجي والعالم الداخلي(ذواتنا)، لوجدت قطيعة بيننا وبين العالم الخارجي من جهة وبيننا وذواتنا من جهة أخرى، من ثم اهتم الفلاسفة بقضية اكتساب المعرفة وتعددت وسائل اكتساب وتعددت وسائل اكتساب المعرفة من حسٍ وعقلٍ وحدسٍ. ولقد طبق تشومسكي اهتمامه بالمعرفة الإنسانية على المعرفة اللغوية، وهذا جعله يضع المدخل العقلاني في اكتساب اللغة في مقابل المدخل التجريبي في صورة أسئلة ذات إجابات محددة ملخصًا بذلك النزاع بينهما، وذلك في مقالته» فى طبيعة واستعمال واكتساب اللغة» على النحو التالي:

أولاً: المدخل التجريبي:

1 – ما هى معرفة اللغة؟ معرفة اللغة نسق من العادات، الاستعدادت والقدرات، هذه الإجابة واسعة الانتشار وأثرت في فلاسفة مثل فنجنشتين وكواين.

2 – كيف تكتسب اللغة؟ تكتسب عن طريق الاشراط، والتدريب والعادة، أو عن طريق آليات التعلم العامة مثل الاستقراء.

3 – كيف تستعمل اللغة؟ يمثل استعمال اللغة تدريباً للقدرة أو أية مهارة مثل ركوب الدراجة[1]

ثانيا: المدخل العقلاني:

1 – ما هى معرفة اللغة؟ اللغة نسق من القواعد متعدد الأنواع، وتمثل معرفة اللغة هذا النسق.

---

(1) Noam Chomsky, "On the Nature, Use and Acquisition of Language,".p.12.

2 – كيف تكتسب اللغة؟ تحدد الحالات الأولية لملكة اللغة قواعد وأنماط التفاعل الممكنة، تكتسب اللغة عن طريق عملية انتقاء القواعد الملائمة للدليل وتحت الخبرة الحسية مخزون القواعد الموجود فى جهاز اكتساب اللغة(ملكة اللغة).

3 – كيف تستعمل اللغة؟ يمثل استعمال اللغة السلوك المحكوم بقاعدة، حيث تدخل التمثيلات العقلية للقواعد فى كلامنا وفهمنا للغة.[1]

ولقد برهن تشومسكي على نجاح المدخل العقلاني في اكتساب اللغة من خلال عرضه لنظريته.

---

(1) Ibid., p.15.

الفصل الخامس

استعمال اللغة

1 – تمهيد.
2 – السمة الإبداعية في استعمال اللغة.
3 – الإبداع اللغوي من منظور تشومسكي.
4 – التمييز بين القدرة اللغوية والأداء اللغوي.
5 – مشكلة المعني.
6 – المعني عند تشومسكي.
7 – تعقيب.

1. تمهيد

تعد اللغة المستعملة لغة نابضة بالحياة، بغير ذلك الاستعمال تصير لغة مهملة. لذلك يمثل الاستعمال القلب النابض بالحياة لكل اللغات البشرية، القلب الخلاق المبدع لكل التعبيرات اللغوية داخل قالب اللغة. وإن كانت الحاجة أم الاختراع في حياتنا والسبب الرئيس وراء إبداع التراث العلمى والثقافي، فإن الحاجة اللغوية أم الإبداع اللغوى – إن صح التعبير – الإبداع اللغوي اليومي الدائم والمستمر والإبداع اللغوي لحاجات علمية وثقافية تستجد على الساحة الفكرية. إن الاختراعات العلمية الحديثة والتراث الثقافي سواء الفلسفي أو الأدبي أو الاجتماعي يولد دومًا وإلى مالا نهاية تعبيرات لغوية جديدة تدخل لأول مرة في السياق اللغوي الاجتماعي، مثال ذلك: في العلم نجد النسبية، الحاسوب، الانشطار النووي.... الخ، وفي التراث الثقافي: العولمة، الرأسمالية، الاشتراكية،.... الخ، فكل متغير يطرأ على الحياة عامة تولد له اللغة الاصطلاح المناسب أو الكلمة الملائمة والجملة المعبرة.... الخ، وإن دل ذلك فإنما يدل على أن اللغة المستعملة لغة خلاقة مبدعة على نحو كبير. لإبراز الصورة السابقة يمكن أن نقارن اللغات الحية مثل العربية، الإنجليزية، الفرنسية... باللغات الميتة مثل الهيروغلوفية، اللاتينية القديمة، القبطية... الخ، وسنجد أن اللغات الميتة توقفت عن الإبداع اللغوي تمامًا، فليس لديها ما يقابل كلمات مثل الحاسوب، الانشطار النووي، العولمة....الخ.

يصدق بناء على ما سبق القول بأن الاستعمال روح اللغة. وذلك ما جعل فتجنشتين يقول: «المعنى هو الاستعمال «، وأصبحت نظرية الاستعمال من أبرز نظريات المعنى، ذلك يدل على أهمية الدور الذي يلعبه استعمال اللغة في تداولها.

لقد أدرك تشومسكي ضرورة تناول الاستعمال اللغوي حتى يكتمل تناوله الفلسفي للغة؛ لذلك طرح سؤاله الثالث عن استعمال اللغة وصاغه على النحو التالي: كيف توضع معرفة اللغة موضع الاستعمال؟ أو كيف توظف معرفة اللغة

في الاستعمال؟ [1] أو كيف تستعمل معرفة اللغة؟ وكلها أسئلة تدور حول محور واحد هو استعمال اللغة.

يعرف تشومسكي استعمال اللغة بأنه: « سلوك تحكمه قاعدة. فلدينا معرفة ضمنية عامة بقواعد اللغة، ونستعملها في بناء التعبيرات الحرة» [2].وهناك ثلاث سمات لاستعمال اللغة تتمثل في: إنتاج المنطوقات (من قبل المتكلم)، معالجة / تفسير المنطوقات (من قبل المستمع)، ووضع الأحكام الحدسية حول خصائص المنطوقات (من قبل المتكلم/المستمع). ولقد انصب اهتمام تشومسكي على السمة الأولى لاستعمال اللغة وهي إنتاج المنطوقات وكانت محور اهتمامه، ويتضح ذلك من التمييزات المفاهيمية الموضوعية لديه، لقد أوضحت تلك التمييزات مفهوم السلوك اللغوي من حيث هو قاعدة محكومة تطبق على إنتاج المنطوقاتولم يقدم شيئاً يذكر عن السمتين الثانية والثالثة أي تفسير المنطوقات، ووضع الأحكام اللغوية الحدسية حول خصائص المنطوقات.[3]

عند استعمال اللغة تظهر مشكلتان رئيستان تسعى أحدهما إلى تقويض علم النفس الفردي الذي يقوم عليه النحو التوليدي التحويلي مع نبذ مفهوم اللغة الخاصة التي يسمح تشومسكي بإيجاده؛ حيث تتمثل في القواعد الخاصة التي قد لا تماثل قواعد لغتنا، لكن من الممكن أن تكون قواعد خاصة للغة بشرية طالما نطق بها كائن بشري يُسمح لنا أن نعطيه عقلاً, لأنه يتمتع بالحرية والإرادة ليس مجردًا له، وذلك يدخل ضمن إطار النحو الكلي لديه.

---

(1) Rudolf Botha, Challenging Chomsky,p.91.

(2) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية – طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص392.

(3) Rudolf Botha,Challenging Chomsky,p 91.

2 - السمة الإبداعية في استعمال اللغة:

من المحتمل أن يذكر أي كتاب حديث عن اللغة، أن اللغة إبداع (وإن شئت تعبيرًا آخر قل إنتاج)، وليس الإبداع المراد هنا هو ما نجده عن الشعراء والأدباء والخطباء، وإنما المعنى المقصود من أن المتكلمين جميعاً لديهم طلاقة إبداعية في استعمال اللغة. والإبداع اللغوي هو حجر الأساس الذي وضعه تشومسكي ضد التفسير التجريبي والسلوكي لتعلم اللغة، وتبنيه نظرية اكتساب اللغة وفرضية الفطرية الجديدة [1]. تدعم مارجريت دراك الملاحظة السابقة في مقال بعنوان " الجانب الإبداعي في استعمال تشومسكي لفكرة الإبداعية " حيث قالت: " في محاولة نعوم تشومسكي للإجابة عن السؤال الذي وضعه في بداية كتابه " اللغة والعقل " ما مساهمة دراسة اللغة في فهمنا للطبيعية البشرية؟، لعب مفهوم الإبداع دورًا رئيسًا في فكره، ويمكن القول أنه ربما كان أكثر مفهوم مؤثر في " ثورة تشومسكي " في علم اللغة النفسي، لقد مجد تشومسكي إبداع اللغة الإنسانية بشكل مبالغ فيه – وأيضًا أتباعه – ووضحه بواسطة علم اللغة التحويلي التوليدي الذي استند إليه مرارًا وتكرارًا في حملته ضد السلوكية وفي دعمه كرامة وتفرد الإنسان.[2]

من ثم يتكشف لي ولكل من تابع فلسفة اللغة والعقل عند تشومسكي أن الإبداع اللغوي ما هو إلا السمة الفارقة المميزة المحددة للجنس البشري، المعبرة عن حرية الإرادة الإنسانية وتفرد الكائن البشري داخل منظومة العالم الخارجي الذي يحيا فيه، وهو السمة المميزة للغة الإنسانية عن كل أنظمة الاتصال الحيوانية الأخرى. وتجدر الإشارة إلى أن المساجلات حول الطبيعة الآلية للحيوانات كانت تعود دائمًا إلى المظهر الإبداعي لاستعمال اللغة وإلى التأكيد على أنه « لو كانت

(1) David Cooper, Knowledge of Language,p101.

(2) Margaret Drach, " The Creative Aspect of Chomsky's Use of Notion of Creativity " The Philosophical Review, vo 1. 9, No.1, Jan., 1987,pp.45.

الحيوانات تفكر لكان بمقدورها أن تستعمل – بصورة صحيحة – الكلام وتنوعاته اللامتناهية « [1]، وذلك يتوافق مع رؤيته للغة بأنها أداه للتعبير الحر عن الفكر.

هنا يلتقي تشومسكي وديكارت مرة أخرى مما يؤكد إعجاب تشومسكي بعلم اللغة الديكارتي، وفي ذلك الصدد يقول تشومسكي: «إن السمة الإبداعية للاستعمال العادي للغة ليست اكتشافًا جديدًا، بل تمدنا السمة الإبداعية للاستعمال العادي للغة بدعامة مهمة لنظرية العقل عند ديكارت فيما يتعلق بدراسته حدود التفسير الآلي، وتزودنا بعنصر حاسم في بناء الفلسفة الاجتماعية والسياسية للتنوير المعادية للاستبداد.» [2] ولذلك يأصل تشومسكي للسمة الإبداعية في استعمال اللغة في كتابه " علم اللغة الديكارتي "، وفي ذلك يقول: " كان ديكارت قادرًا على إقناع نفسه بأن كل مظاهر السلوك الحيواني يستطيع تفسيرها وفقًا لفرضية الحيوان آلة، لكن في إثناء هذا البحث طور نظامًا مهمًا ومؤثرًا عن الفسيولوجيا التأملية، لكنه توصل إلى نتيجة مؤداها أن لدى الإنسان قدرات فريدة لا يستطيع تفسيرها وفقًا للأساس الآلي على نحو صرف – على الرغم من امتداده الواسع جدًا – فالتفسير الآلي يزودنا بتفسير وظيفة الجسم الإنساني وسلوكه. لكن الاختلاف الجوهرى بين الإنسان والحيوان يظهر بوضوح جدًا في اللغة الإنسانية – خصوصًا – قدرة الإنسان على صياغة جمل جديدة تعبر عن أفكار جديدة تكون ملائمة للمواقف الجديدة ". [3]

لقد افترض ديكارت أن الاختلاف بين البشر من الناحية الأولى والآلات والكائنات الحية الأخرى من ناحية ثانية يكمن في امتلاك البشر للعقول، بينما الآلات والكائنات الحية الأخرى لا تتمتع بعقول. يستطيع البشر استعمال اللغة إبداعيًا فقط؛ لأن استعمالاتهم اللغوية تأتي نتيجة لعمل العقل الذي تفردوا بامتلاكه.

إن اختبار الإبداعية creativity test والملاحظات التي قام عليها تبدو صحيحة ويبقى صالحًا حتى اليوم، بينما هناك جهود متعددة في القرون الماضية

---

(1) ميشال زكريا – الألسينة – علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية 1985، ص 40.

(2) Noam Chomsky, Rules and Representations, P.102.

(3) Noam Chomsky,Cartesian Linguistics,P.3.

للبرهنة على أنه ليس هناك مبدع غير الكائنات البشرية يستعمل اللغة بطريقة تظهر الإبداعية واللانهائية والملاءمة. وهناك جهود سعت إلى إيجاد حيوانات أو آلات ربما تجتاز اختبار الإبداعية للعقل – الأمثلة في السنوات الحديثة تضمنت اختبارات على الشمبانزى والحاسوب، الذي برمج لمحاماة الكلام الإنساني، لكن تلك الجهود لم تحقق أغراضها. (1)

تظهر مناقشة ديكارت « اختلاف الإنسان « في نهاية الجزء V من كتابه " مقال في المنهج"…. يعتقد أن الكون آلة تخضع لمبادئ آليات التماس principles of contact machines. نموذجه عن النسق الفيزيائي تقريبًا ما يتوقعه الشخص من مهندس في القرن التاسع عشر لينتجه لو سئل إيضاح كيف تعمل الأشياء. كل الأشياء في الكون تعمل بالطريقة ذاتها التي تعمل بها الأجهزة الآلية التي صممها الإنسان ويخضع عملها لمبادئ آليات التماس. يعتقد ديكارت صحة نفس الشيء بالنسبة لسلوك الكائنات الحية. كان على وعي بدور أعضاء الحس والأعصاب في الإدراك الحسي، وقدم تفسيرًا مفصلاً لكيفية حدوث الرؤية والتذوق نتيجة لتأثير الموضوعات الخارجية على أعضاء الحس وإرسال هذه الإشارات إلى المخ. كان ينظر إلى المخ من حيث هو جهاز آلي، أي " معالج للمعلومات" – كما نقول اليوم – أنه آلة معقدة تتوسط بين المدخلات الحسية وحركات الكائن الحي، ولا يخضع للقوانين أيضًا بل يخضع لتلك الآلات. لو أن الفلسفة الآلية صحيحة، والكائنات ليست شيئًا سوى آلات معقدة جدًا، فإن سلوك الكائنات الحية قابل للوصف والتنبؤ بالاحتكام إلى المبادئ والمقولات الآلية. (2)

مع ذلك لا يمكن للفلسفة الآلية التعامل مع كل السلوك المتوقع من قبل كل الكائنات الحية، على الأقل بعض الأنشطة الإنسانية تخضع لمبدأ مختلف مثل الإبداعية. فلنأخذ الاستعمال العادي للغة بوصفه نموذجاً لذلك. إن الإبداع اللغوي مغاير للإبداع الفني الذي لا يقوم عليه سوى بعض البشر، ومختلف عن صور الأنشطة الإنسانية الأخرى التي تعتمد على مواهب وقدرات خاصة أو على الذكاء

(1) James McGilvary, Chomsky ,p.79.

(2) Ibid.,p.80.

العادي، أما الإبداع اللغوي فكل شخص قادر عليه وكل شيء يوضحه ويظهره.

الإبداع اللغوي هو اختبار منطقي لطبيعة العقل الذي أثبت أن الكائنات البشرية هي وحدها التي تمتلك العقل.[1]

لقد وجد ديكارت أثناء مناقشته للسمة الإبداعية لاستعمال اللغة، استحالة خضوعها للتفسير الآلي، ومن ثم تميز البشر بجوهرين متميزين، أولًا: الجسم وجوهره الامتداد، والعقل وجوهره التفكير. بذلك أصبح العقل ملازمًا للبدن باعتباره صورته «. وبناء عليه يلعب الجوهر المفترض دور « المبدأ الإبداعي « جنبًا إلى جنب مع المبدأ الآلي « المفسر لوظائف الجسم. [2]

وصف ديكارت ثلاث ملاحظات اعتقد في صلتها بالإبداع:

أولاً: لا يوجد ارتباط صارم بين الحوادث التي تقع للشخص والمسائل التي يتفوه بها. بديهيًا الإنتاج اللغوي عند الناس لا يرتبط بحادثة معينة، فلا نستطيع أن نتوقع أنه في حالة خضوع الإنسان لحادثة معينة سوف يقول شيئاً بعينه. يسمى تشومسكي تلك الملاحظة «بالتحرر من المثير «، وتعني أن ما يقوله الشخص غير مرتبط بأي مثير محدد أو نوع من المثيرات. [3]

بعض النتائج النظرية التي تتبع هذه الملاحظة: ليس هناك سبب للاعتقاد في وجود علاقة سببية بين إنتاج الكلام والبيئة. علاوة على ذلك، ليس هناك سبب للاعتقاد في وجود نظرية سببية تربط الحوادث بالكلمات[4]، استعمال اللغة متحرر من كل المثيرات خارجية أو داخلية، وبفضل هذا التحرر من ضوابط المثيرات يمكن استعمال اللغة بوصفها وسيلة تفكير وتعبير ذاتية، ليس فقط عند الأفراد المتفوقين، بل عند كل إنسان سوي. [5]

ثانيًا: الكلمات الصادرة من فهم الشخص القابلة للإدراك والفهم عادة تأتي

---

(1) Ibid,.pp. 80 - 81.

(2) Noam Chomsky, Cartesian linguistics,p.5.

(3) James McGilvary, Chomsky.p.81.

(4) Ibid.,p. 81.

(5) ميشال زكريا، الألسنية، ص 40 – 41.

في أي عدد من المجموعات متعددة الأنواع من البناء مع آلاف من الكلمات. بديهى إذن أنه لا يوجد سبب لتوقع حد فوقي سواء على عدد أو وفرة مجموعات الكلمات والأبنية المختلفة القابلة للفهم التي ينتجها الشخص. تسمى هذه السمة بــ «اللامحدودية» unboundedness.

ثالثًا: بينما استعمال اللغة متحرر من المثيرات وغير مرتبط بالحادثة التي يقال فيها من قبل أي مبادئ سببية، وغير محدود في العدد على نحو واضح، مع ذلك نجد أن النتاج اللغوي عند الناس ملائم للحوادث التي تنتج فيها.... هذا الملمح للجانب الإبداعي من استعمال اللغة المعروف بالملائمة appropriateness، حيث إنه ليس هناك سبب للاعتقاد بأن هناك أية صورة من صور الارتباط السببي بين ما يقوله الشخص والحوادث التي يقول فيها ذلك. [1] تمثل ظاهرة الإبداع اللغوي عند تشومسكي ثلاث عناصر متميزة من السلوك اللغوي عند المتكلم: أولًا: قدرته على توليد وفهم عدد غير محدود من المنطوقات الجديدة، ثانيًا: التحرر من المثيرات في استعمال اللغة، ثالثًا: قدرته على إنتاج المنطوقات الملائمة للموقف. [2] بذلك يرتبط الإبداع والفهم بعلاقة طردية، تعكس الحقيقة التالية: كلما ازداد الفهم اللغوي ازداد الإبداع في استعمال اللغة، وكلما ازداد الاستعمال اللغوي ازداد الفهم اللغوي، فحينما نصل إلى اكتساب لغة صحيحة نحويًا، فالاستعمال المبدع للغة يقارب بيننا وبين فهمنا للقواعد الصحيحة للغة.

---

(1) Ibid.,pp. 81 - 82.

(2) Marke De Brett,Ways of Meaning,p.43.

3 - الإبداع اللغوي من منظور تشومسكي:

لقد ظهر مفهوم الإبداع لأول مرة في كتاب تشومسكي « قضايا معاصرة في النظرية اللغوية 1964، حيث أكد أن الحقيقة الرئيسة التي يجب على أية نظرية لغوية مهمة التوجه إليها تكمن في: أن المتكلم الناضج يمكن أن ينتج جملة جديدة من لغته في مناسبة ملائمة، ويستطيع المتكلمون الآخرون فهمها مباشرة على الرغم من جدتها تمامًا بالنسبة إليهم. معظم خبراتنا اللغوية – لدى المتكلمين والمستمعين على السواء – جمل جديدة، وطالما لدينا فهم كامل للغة فإن نوع الجمل التي نستطيع العمل معها بطلاقة وبدون صعوبة أو تردد واسع جدًا، بحيث تناسب كل الأغراض العملية (ومن الواضح، كل الأغراض النظرية) غير المتناهية. ولا يتضمن الفهم الطبيعي للغة فقط القدرة على الفهم المباشر لعدد غير محدود من الجمل الجديدة تمامًا، ولكن أيضًا يتضمن القدرة على تمييز الجمل الشاذة ووضع التفسير لها. [1]

يعني فهم اللغة التام – عند تشومسكي – أن الشخص قادر على فهم عدد غير محدود من التعبيرات الجديدة على خبرته، التي لا تحمل تشابهاً فيزائياً بسيطاً، ولا تناظر التعبيرات التي تؤلف خبرته اللغوية، وقدرته على إنتاج مثل هذه التعبيرات في المواقف الملائمة، وأن تكون مفهومة من قبل الآخرين، لا تزال في حاجة إلي الفهم. الاستعمال العادي للغة بهذا المعنى نشاط إبداعي creative activity، وهذه السمة الإبداعية للاستعمال العادي للغة أحد العوامل الجوهرية التي تميز اللغة الإنسانية من أى نسق معروف للاتصال الحيواني. [2]

يؤكد تشومسكي أن مناقشته للسمة الإبداعية لاستعمال اللغة تدور حول ثلاث

---

(1) Margret Drach, “The Creative Aspect of Chomsky’s Use of Notion of Creativity,”. pp47 - 48.

(2) Noam Chomsky, Rules and Representations,p.100.

ملاحظات مهمة، الملاحظة الأولى: هي أن الاستعمال العادي للغة متجدد بمعنى أن جزءًا كبيرًا مما نقوله حين نستعمل اللغة بصورة عادية هو جديد تمامًا، ليس تكرارًا لما سمعناه من قبل، وليس بالذات محاكاه للبنية (بغض النظر عن المعنى المعطى إلى الكلمتين محاكاة وبنية)، وللجمل وللكلام الذي سمعناه في الماضي. وهذا تحصيل حاصل، ولكنه تحصيل حاصل مهم غالبًا ما نُسى وأنكر أكثر من مرة خلال المرحلة السلوكية في علم اللغة..... هذه المرحلة التي كان يقال خلالها – على نحو شبه كلي –: «إن بالإمكان تصور المعرفة التي يمتلكها الفرد باللغة، على أنها رصيد من القواعد قد تم تعلمه بواسطة التكرار الثابت والتمرين الدقيق، وضمن ذلك لا يكون التجدد – في الأكثر – سوى مسألة قياس. وبالإمكان أن نعتبر – بصورة مؤكدة – أن عدد جمل اللغة الأم التي نفهمها حالًا وبدون أي شعور بالصعوبة أو بالغرابة عدد هائل، وعدد النماذج القائمة ضمن استعمالنا للغة الاستعمال العادي – والتي بالإمكان فهمها بسهولة – يصل إلى رقم أعلى من عدد الثواني في حياة الإنسان، وبهذا المعنى يكون استعمال اللغة تجديدياً «.[1]

تؤكد الملاحظة الثانية أن استعمال اللغة ليس فقط تجديديًا ومداه الضمنى غير متناه، بل هو أيضا متحرر من كل المثيرات خارجية كانت أم داخلية. وبفضل هذا التحرر من ضوابط المثيرات يمكن استعمال اللغة بوصفها وسيلة تفكير وتعبير ذاتية ليس فقط عند الأفراد المتفوقين, بل أيضا عند كل إنسان سوى.هذه الملاحظة أظهرت الملاحظة الثالثة للاستعمال اللغوى وهى تماسك اللغة وملائمتها للظروف , ووهو مايتنافى تماما مع سيطرة المثيرات.

من ثم تمثل ظاهرة الإبداع اللغوي (الإبداع في استعمال اللغة). ثلاث عناصر متميزة من السلوك اللغوي عند المتكلم: أولاً: قدرته على توليد وفهم عدد غير محدود من المنطوقات الجديدة، ثانيًا: التحرر من المثيرات في استعماله للغة، ثالثًا: قدرته على إنتاج المنطوقات الملائمة للمواقف [2].

نبدأ بالعنصر الأول حقيقة أن متكلم اللغة في اكتسابه الفهم الكامل للغته

(1) ميشال زكريا، الألسنية، ص 40 - 41.

(2) Marke De Brett, Ways of Meaning, p.43.

والأساس النحوي والمعجمي المحدود يستطيع إنتاج وفهم عدد كبير غير محدود من الجمل الجديدة في اللغة. هنا لدينا صورتان:

أولاً: كل لغة لديها أساس محدود finitebase.

ثانيًا: تولد صورة هذا الأساس الجمل بطريقة ما بدون جد، على سبيل المثال: معظم الجمل في اللغة لم يسمع بها من قبل. لكن يجب أن نتذكر أن اللغات تجريد من السلوك اللغوي، لذا يجب أن تدرك هذه الصورة بطريقة ما في قدرة المتكلم المقتدر، يجب أن تظهر بطريقة ما في فهمه. إن إدراك الصورة الأولى مسألة تحيز، ولكن إدراك الصورة الثانية وهي الطبيعة غير المحدودة للغات الطبيعية يتم بوضوح في قدرتين إبداعيتين أو إدراكيتين:

الإبداع الدلالي: semantic creativity يعني قدرة المتكلم على فهم عدد غير محدود من الجمل وإدراك معانيها، الإبداع النحوي: syntactic creativity يعني قدرة المتكلم على تصنيف عدد غير محدود من سلاسل الرموز والجمل (أو الضوضاء) على أنها نحوية أو غير نحوية [1].

يثير ارتباط الفهم والإبداع مشاكل ترتبط بالوصف والتفسير، ويشمل ذلك وصف لما يفهمه، ويجب أن يتضمن وصف لغتنا لمعاني الجمل التي يفهمها المتكلم، وصف لما يدركه من الجمل كمعاني، لكن عدد هذه الجمل غير محدود، أيضًا مشكلة التفسير تتجسد في التوفيق بين الإدراكات عند المتكلم للصورتين السابقتين، أي تفسير كيف يستطيع المتكلم بداية من قاعدة نحوية ودلالية محدودة لديه توليد قدرات إدراكية غير محدودة. [2] يتوقف حل لغز الوصف والتفسير على إقامة نظرية في المعنى تستطيع مواجهة صلات الإبداع والاستعمال والفهم معًا.

والجدير بالذكر أن البعض يسمي ذلك العنصر من الإبداع اللغوي إنتاجية اللغة productivity of Language – قدرة مستعملي اللغة على إنتاج وفهم الجمل الجديدة استنادًا إلى خبرتهم. لقد لعبت ملاحظات تشومسكي عن الإنتاج

---

(1) Ibid.,p.44.

(2) Ibid.,p.44.

اللغوي linguistic productivity دورًا حاسمًا في تطوير تقريره الذاتي عن الظواهر اللغوية، ودعوي الذاتية هي أن اللغة ليس لها وجود بعيداً عن تمثيلها العقلي وهناك صلة واضحة ومباشرة بين الذاتية اللغوية وتفسير تشومسكي للإبداع الذي يظهر في إنتاج استعمال اللغة العادي،[1] فالإنتاجية اللغوية تستند في المقام الأول على المعرفة اللغوية « القدرة اللغوية « الممثلة عقليًا داخل البنية العقلية / المخية للإنسان.

تأكيد تشومسكي على الفهم وتوليد عدد غير محدود من المنطوقات الجديدة، يعني ضمنًا ليس فقط أن يفهم الناس العديد من الجمل الجديدة عليهم، ولكن نسبة عالية من هذه الجمل ستكون غير مماثلة (مختلفة) كليةٍ لأي جمل صادفوها سابقًا. في فترة من حياته، يتعلم المتكلم معنى الجمل المتعددة التي صادفها، وتلك تصوغ « منطوقات متعلمة. بعد تلك الفترة سوف ينتج ويفهم – مباشرة وبدقة – العديد من الجمل الجديدة التي تكون على خلاف تام للمنطوقات المتعلمة، ينتج عن ذلك استحالة تفسير فهم الجمل الجديدة بلغة التعميم الاستقرائي من محتوى المنطوقات المتعلمة أو القياس التجريبي مع محتوى المنطوقات المتعلمة [2].

يعني ذلك توجيه النقد للمدخل التجريبي في علم اللغة والفلسفة على السواء – الذي فشل في التعامل مع الملاحظات الديكارتية العقلانية حول اللغة المتعلقة بالإبداع في استعمال اللغة، وفي ذلك الصدد يقول تشومسكي: « أخفق علم اللغة الحديث في التعامل مع الملاحظات الديكارتية فيما يتعلق باللغة الإنسانية بأسلوب جاد، بلومفيلد – على سبيل المثال – يلاحظ أن اللغة الطبيعية ما هي إلا « إمكانيات تجميع لا متناهية على نحو عملي». لكن ليس هناك أمل في تفسير استعمال اللغة على أساس التكرار أو التسجيل، لكنه ليس لديه شيء يقوله حول ما وراء المشكلة، عن ملاحظة نطق المتكلم لصور جديدة من المنطوقات على أساس قياس للصور المماثلة التي سمعها من قبل. بنفس الطريقة ينسب هوكيت الإبداع بالكامل إلى القياس، ملاحظات مماثلة وجدت عند بول، سوسير، جيسبرسن، وغيرهم، أي

---

(1) Fred D'Ogostino, Chomsky's System of Ideas, P.156.

(2) David Cooper, Knowledge of Language,p.102.

تفسير السمة الإبداعية لاستعمال اللغة بالقياس أو النماذج النحوية grammatical patterns. إن ذلك ليس أقل فراغ من وصف السلوك الذكي عند رايل من حيث هو تمرين " للقوى " والاستعدادات " لبعض الأنواع الغامضة أو محاولة تفسير الاستعمال الإبداعي العادي للغة في مصطلحات التعميم أو العادة أو الإشراطً[1]. يصر تشومسكي على القول بأن الجمل المستعملة في الحديث اليومي ليست " جمل مألوفة " أو " تعميمات لجمل مألوفة، بل إن الحديث عن كونها من الجملالمألوفة يتنافي مع العقل. [2]

إذا ما تناولنا العنصر الثاني للإبداع اللغوي المتمثل في التحرر من المثيرات في استعمال اللغة، وينص على أن المتكلمين لديهم " قدرة على إنتاج وتفسير الجمل الجديدة على نحو مستقل عن تحكم المثيرات، وبمعنى آخر المثيرات الخارجية أو الحالات الداخلية المتماثلة على نحو مستقل ". [3] إن هذا المعنى للإبداع في استعمال اللغة يسعى إلى تقويض وجهة النظر المنسوبة إلى كواين وسكينر التي تنص على أن معرفة اللغة « تعقد الاستعدادات للاستجابةً أو « شبكة متداعية من قبل الاستجابة الاشراطية، وفي ذلك السياق يقول تشومسكي: « إن خلق التعبيرات اللغوية الجديدة الملائمة يكون النموذج العادي لاستعمال اللغة، فإذا قيد بعض الأفراد أنفسهم على نحو كبير بسلسلة محدودة من الأنماط اللغوية،، فسوف ننظر إليهم باعتبارهم من المعاقين عقلياً. [4]

وهنا يقدم الإبداع عند تشومسكي بهذا المعنى نقطة اعتراض جوهريةعلى السلوكية، وذلك على النحو التالي: لو تم إنتاج الجملة تحت تحكم المثير، إذن بعض المثيرات والاستجابات المنطوقة يجب أن تكون جديدة، طالما أن المتكلمين ينتجون جملا جديدة. الآن لكي ينتج مثير جديد استجابة جديدة متماثلة (متوافقة) من خلال الإشراط، إذن يجب أن تكون المثيرات على الأقل مشابهة للمثيرات في الماضي، وإلا لن يكون للإشراط تأثير في الموقف الحالي. أيضًا طالما أن المثيرات والاستجابات

(1) Noam Chomsky. Cartesian Linguistics, pp.12 - 13.

(2) David Cooper, Knowledge of Language, P.102.

(3) Ibid. p.104.

(4) Noam Chomsky, Rules and Representations,p.100.

يجب أن تكون قابلة للملاحظة، فإن التشابهات بين المثيرات والاستجابات يجب أن تكون قابلة للملاحظة؛ لذلك أي شخص يؤمن بإنتاج الجمل تحت تحكم المثير يجب أن يؤمن بأن الجمل الجديدة استجابات تماثل تلك الاستجابات التي أثيرت في الماضي من قبل مثيرات مشابهة بشكل ملحوظ للمثيرات الخالية، ينتج عن ذلك أن الجمل الجديدة يجب أن تتشابه على نحو ملحوظ مع الجمل التي صادفها المتكلمون من قبل. [1] يتضح من ذلك نجاح مفهوم الإبداع اللغوي في استعمال اللغة عند تشومسكي في تقويض المخرجات عند كواين وسكينر، وذلك يوضح مدى الارتباط والاتساق بين المعنى الأول والثاني للإبداع اللغوي؛ لأن سيطرة المثيرات لن تسمح بإنتاج وفهم الجمل الجديدة لدى المتكلم / المستمع.

يتفق كاتز في كتابه «فلسفة اللغة» مع تشومسكي في ذلك المنحى؛ حيث يرى أن الشخص الذي تعلم ما تعنيه بعض الجمل فإنه يزاوج سلاسل الصوت بالمعنى (أو قل التفسيرات الصوتية مع الدلالية)، ذلك يتضمن إدراك العناصر الدلالية المتنوعة في الجمل التي تتزاوج مع بعض الأصوات، من ثم تتمثل مهمة أو مشكلة المتكلم في ابتكار – على أساس مما تعلمه – سلسلة من القواعد والمبادئ التي سوف تجعله قادرًا في المستقبل على مزاوجة الأصوات مع المعاني. ففي التفسير التجريبي هذه المبادئ تعميمات استقرائية من الملامح الملاحظة للجمل المتعلمة، وذلك يأخذ الصورة التالية « بما أن هذا الملمح الصوتي ارتبط في الماضي مع هذا العنصر الدلالي، فإن هذا الملمح الصوتي أو الملمح المشابه له يجب أن يرتبط مع نفس العنصر الدلالي أو العنصر المشابه له في الحالة القائمة [2].

فإذا فسرت نظرية التداعى حالة تعلم اللغة على النحو السابق.... فإنها لا يمكن أن تكون صحيحة بالنسبة للشخص الذي يفهم جملة جديدة، حيث يكون لديه معرفة بنيتها الضمنية بما أننا نعرف أن البنية السطحية دليل فقير على المعنى. فعلى سبيل المثال: الأمر " ساعد الرجل " Help the man يفهم حين تكون " أنت " فاعل، لكن لا يوجد انعكاس لذلك الملمح " الفاعل " على المستوى السطحي

---

(1) Ibid., p.104.

(2) Ibid.,p.105.

أو المستوى الصوتي، يترتب على ذلك أن الشخص لا يستطيع فهم الجمل الجديدة اعتمادًا على التعميمات التي تربط الملامح القابلة للملاحظة مع العناصر الدلالية – بالنسبة للملامح القابلة للتمثيل على مستوى البنية العميقة فقط – بينما تكون ضرورية لفهم الجمل – غير القابلة للملاحظة بمعنى أكثر تحديدًا، أن الملامح الصوتية فقط القابلة للملاحظة. وبمعنى أكثر توسعًا، هذه الملامح السطحية ترتبط مع الأشكال الصوتية القابلة للملاحظة أيضًا، لكن الملامح العميقة التي لم ترتبط مباشرة مع الأصوات لا يمكن ملاحظتها، من ثم حينما يكتسب المتكلمون اللغة بالتعميم الاستقرائي فإنهم سوف يربطون القواعد مع الملامح السطحية بالمعاني، وهذا لا يكفي لفهم معاني الجمل بالكامل [1].

أما العنصر الثالث وهو قدرة المتكلم على إنتاج المنطوقات الملائمة للمواقف ,فلم يتناوله بالإيضاح.

(1) Ibid.,p.105.

4 - التمييز بين القدرة اللغوية والأداء اللغوي:

من المعقول البدء بالإشارة إلى أصول مفهوم « القدرة اللغوية « والمفهوم المرافق له « الأداء اللغوى «. تكمن تلك الجذور – بالطبع – في التمييز المشهور بين اللغة langue والكلام parole عند فردينان دي سوسير. لقد تبنى أصحاب الاتجاه البنيوي في علم اللغة ذلك التمييز الضمني، ولكنهم حاولوا إعادة صياغته في مصطلحات أكثر اتفاقًا مع وجهة نظرهم (التجريبية) في اللغة، فعلى سبيل المثال: يصف زيلج هاريس اللغة بأنها " مجرد الترتيب العلمي للكلام " « merely the scientific arrangement of parole» على حين يقارن شارلز هوكيت العلاقة بين اللغة والكلام بالعلاقة بين العادات والسلوك. (1)

قدم تشومسكي مصطلحات " القدرة " و" الأداء " لأول مرة في جلسة منعقدة بتاريخ 1962 في كلمة وجهها إلى مؤتمر الكونجرس الدولي التاسع لعلماء اللغة؛ حيث لم ينكر أنهما يشبهان تمييز دي سوسير، لكنه اختار مصطلحات جديدة ليؤكد على الاختلاف بين اللغة Langue عند سوسير والقدرة Competence لديه، عندما لفت الانتباه إلى مفهوم القدرة من حيث هو النحو التوليدي الذي يعبر الأبداع المحكوم بقاعدة على عكس مفهوم سوسير للغة بأنها مخزون لعناصر اللغة (2)، وفي ذلك الصدد يقول تشومسكي: " التمييز الذي ذكرته هنا – يقصد بين القدرة والأداء – يرتبط بتمييز سوسير بين اللغة / الكلام، لكن من الضروري رفض تصور سوسير للغة بأنها مجرد مخزون تصنيفي للمفردات systematic in-ventory of item، بل ترجع بالأحرى إلى تصور همبولدتي عن القدرة الضمنية

(1) Frederick Newmeyer, Generative Linguistics, New York - Routledge,1996, p.169.

(2) Ibid.,p.170.

underlying competence من حيث هي نسق من العمليات التوليديةً. [1] ويدعم ديفيد كوبر رأي تشومسكي مؤكدًا أنه يعتقد أحيانًا أن تمييز تشومسكي بين القدرة والأداء في اللغة مماثل تمامًا – أو مشابه – لتمييز سوسير بين اللغة والكلام، لكن ذلك غير صحيح؛ حيث إن تمييز سوسير كان بين مخزون من المواد اللغوية والمنطوقات التي تتألف منها.... ويرى كوبر أن بعض الكتاب يشكون في وجود تمييز حقيقي بين القدرة والأداء، لكنه يدعم وجود ذلك الفرق بالفعل، فالشخص يمكن أن يميز بين القدرة على فعل شيء وفعل ذلك الشيء فعلاً. [2]

لقد أثارت السمة الإبداعية لاستعمال اللغة (مشكلة ديكارت) العديد من المناقشات والمساجلات بين تشومسكي نقاده، كانت مارجريت دراك في طليعة النقاد، وذلك في مقاله بعنوان " السمة الإبداعية لاستعمال مفهوم الإبداع عند تشومسكي" حيث تتساءل: " أين يكمن الإبداع؟ في القدرة أم في الأداء؟ " [3]. فيجب عرض ما يعنيه المصطلحان في فلسفة تشومسكي وصلتهما بالإبداع اللغوي.

يضع تشومسكي في كتابه " جوانب نظرية النحو " (1965) تمييزاً جوهرياً بين القدرة (معرفة المتكلم / المستمع للغته) والأداء (الاستعمال الفعلي للغة في مواقف ملموسة)..... إن الأداء ليس انعكاساً مباشر للقدرة. يوضح تسجيل الكلام العادي بدايات كثيرة خاطئة، انحرافات عن القواعد، تغيير الهدف في منتصف الحديث وهكذا، [4] فبدلًا من التركيز على سطح الحدث اللغوي، أي الأداء، ركز تشومسكي على القدرة اللغوية؛ فقواعد اللغة عنده وصف للقدرة الحقيقية للمتكلم – المستمع المثالي. إن الهدف الاستراتيجي لعلم اللغة هو الكشف عن القدرة اللغوية المشتركة بين جميع المتكلمين التي تمكنهم من فهم وبناء عدد غير محدود من الجمل الصحيحة نحويًا والتي لم تسمع من قبل، وأما الأداء فشيء ثانوي؛ إذ لا يشكل سوى قمة جبل كبير من القدرة اللغوية التي يتحكم في تشكيلها عوامل كثيرة لا تتعلق بعلم اللغة، فلدراسة الأداء، أي الكلام لابد من المرور أولًا على القدرة

---

(1) Noam Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax.p.4.

(2) David Cooper, Knowledge of Language p.28.

(3) Margaret Drach, " the Creative Aspect of Chomsky's Use of Notion of Creativity ," p49.

(4) Noam Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax.p.4.

اللغوية أو معرفة النسق اللغوي. والنسق هو الكتلة الكبرى التي تسند الحدث الكلامي والتي يتضمنها الحدث نفسه عند كل من المتكلم والمستمع، ومن هنا كان التركيز على القدرة؛ لأنها تسبق الأداء وجودًا، وهى التي تولده أيضًا، فالأداء يفترض سلفًا وجود القدرة، في حين لا تفترض القدرة سلفًا وجود الأداء، وعليه فالأداء تابع للقدرة [1]. إن المشكلة بالنسبة للغوي وأيضًا بالنسبة للطفل الذي يتعلم اللغة أن نحدد من معلومات الأداء النسق الضمني من القواعد المفهومة من قبل المتكلم / المستمع والذي يوضع للاستعمال في الأداء الفعلي[2].

يُعد النحو التوليدى المعبر عن نظرية القدرة اللغوية في كل لغة، وفي ذلك يرى تشومسكي أن كل متكلم لغة لديه فهم كامل وتمثيل داخلي للنحو التوليدي الذي يعبر عن معرفته للغته، ولا يعنى ذلك القول إنه على وعي بقواعد النحو أو حتى يستطيع الوعي بها أو أن معرفته الحدسية للغة دقيقة بالضرورة. إن اهتمام النحو التوليدى سوف يتعلق في الجزء الأعظم منه – بالتعامل مع العمليات العقلية التي تكمن وراء المستوى الفعلي أو حتى المحتمل للوعي، علاوة على ذلك، من الواضح تمامًا أن تقارير ووجهات نظر المتكلم حول سلوكه وقدرته اللغوية ربما تكون خاطئة، وهكذا يحاول النحو التوليدي تحديد ما يعرفه المتكلم بالفعل، وليس ما يقرره حول معرفته، [3]من ثم نستطيع القول: النحو التوليدي لكل لغة يساوي نظرية القدرة اللغوية لكل لغة.

من ثم تهتم نظرية النحو بالتساؤل التالي: ما طبيعة معرفة الشخص للغته، المعرفة التي تجعله قادرًا على استعمال اللغة بنمط إبداعي عادي؟ إن الشخص الذي يعرف اللغة لديه فهم كامل لنسق القواعد الذي يعزو الصوت والمعنى بطريقة محددة إلى نوع لا متناهي من الجمل الممكنة. كل لغة تتألف من تزاوج معين للصوت والمعنى في مجال لا متناهي، بالطبع الشخص الذي يعرف اللغة ليس لديه وعي بأنه يمتلك الفهم الكامل لهذه القواعد أو بوضعها موضع الاستعمال،

---

(1) فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص374.

(2) Noam Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax.p.4.

(3) Ibid.,p.6.

ولا يوجد أي سبب لافتراض أن معرفة قواعد اللغة يمكن أن تكون حاضرة في الوعي..... نجمع المعلومات المتعلقة بتطابق الصوت / المعنى، الصورة وتفسير التعبيرات اللغوية في لغات متعددة. نحاول أن نحدد لكل لغة نسق القواعد الذي يفسر مثل هذه المعلومات – على نحو أكثر عمقًا –، نحاول تأسيس المبادئ التي تحكم صياغة هذه الأنساق من القواعد لأية لغة إنسانية. (1)

يسمى نسق القواعد الذي يحدد علاقة الصوت / المعنى للغة المعطاة « بالنحو « أو نستخدم مصطلح أكثر تقنية « النحو التوليدي « لتلك اللغة. يحدد النحو التوليدي للغة سلسلة غير متناهية من الأوصاف البنيوية **structural descrip–tions**، يحتوي كل منها على البنية العميقة، البنية السطحية، التمثيل الصوتي، التمثيل الدلالي وبنيات صورية أخرى. تسمى القواعد التي تربط البنية العميقة والسطحية بالتحويلات النحوية**grammatical transformations**، أما القواعد التي تربط البنية السطحية والتمثيل الصوتي مفهومة جدًا إلى حد معقول. يبدو أن كلًا من البنية العميقة والبنية السطحية تدخلان في تحديد المعنى، (2)ذلك النسق اللغوي المعقد يلخصه مصطلح القدرة اللغوية. بناء على ذلك، تتطابق القدرة مع " الفهم الكامل " للنسق الضمني للقواعد التي يضعها المتكلم / المستمع للاستعمال الفعلي. وبعبارة كوبر: القدرة = معرفة اللغة. والقدرة = الفهم الكامل للنسق الضمني للقواعد.

يتبع ذلك منطقيًا أن معرفة اللغة عند الشخص تمثل الفهم الكامل لنسق القواعد ويعرف كاتز " القدرة اللغوية " من حيث هي " القواعد الداخلية التي يعرفها المتكلم / المستمع ". (3) لقد نشأ الخلط بسبب من الناحية الأولى، يرى كاتز أن الفشل في تمييز القدرة عن الأداء يرجع إلي الخلط بين عالم اللغة وعالم النفس، يهتم علماء اللغة بالقدرة، بينما يهتم علماء النفس بالأداء. من ناحية أخرى من الواضح أن علماء النفس لا يستطيعون تجاهل القدرة في أبحاثهم النفسية اللغوية في

---

(1) Noam Chomsky.Rules and Representations.p.103 - 104.

(2) Ibid.P.110.

(3) David Cooper, Knowledge of Language.p28.

حين يتعلم اللغويون من ملاحظة الأداء. لتجنب هذا الخلط، يجب أن يدرك الشخص أنه على الرغم من اهتمام علماء اللغة وعلماء النفس بالقدرة، فإنهم يفعلون ذلك بأساليب مختلفة، ويحدد ذلك الاختلاف عن طريق التمييز بين عالم اللغة وعالم النفس، فاهتمام اللغوي بالقدرة يماثل اهتمام عالم الرياضيات بالرياضة؛ حيث يهتم بالعلاقات المجردة بين العناصر والبنيات اللازمنية في الحقل المنطقي، أما اهتمامه بالأداء يفعله فقط ليحصل على حقائق حول البنية اللغوية، من ناحية أخرى يهتم عالم النفس بطبيعة الآليات المخية (العقلية) التي منها تلك البنيات المجردة تدرك تجريبيًا وتحليلاتها السببية التي تشكل أساس السلوك اللفظي. (1)

يقدم تشومسكي نوعان من القدرة هما القدرة النحوية-grammatical competence والقدرة الاستعماليةpragmatic competence يتعلق النوع الأول بنظرية بنية اللغة، ويتعلق الآخر بنظرية استعمال اللغة. يصف تشومسكي القدرة النحوية بأنها الحالة الإدراكية التي تشمل كل مظاهر الصور والمعاني وعلاقاتها شاملة البنيات الضمنية التي تدخل في تلك العلاقة التي نعزوها للنسق المحدد للعقل الإنساني الذي يربط تمثيلات الصور والمعاني.... سوف أستمر أدعو ذلك النسق التحتي " ملكة اللغة".

يشير تشومسكي للقدرة النحوية بأنها " معرفة النحو " أيضًا، على حين يصف القدرة الاستعمالية من حيث هي نسق من القواعد والمبادئ... التي تحدد كيف توقيع الأداة (اللغة) موضع الاستعمال، تشتمل القدرة الاستعمالية على ما يدعوه بول جرايس Paul Grice " منطق الاصطلاح " logic of conversa-tion، ربما نقول: إن القدرة العملية تضع اللغة في الموضع التأسيسي لاستعمالها؛ حيث تربط المقاصد والأغراض بالمعاني اللغوية التي هي في المتناول. (2)

وأخذ تشومسكي القدرة النحوية لتمثل النسق الحدسي لملكة اللغة وميزها عن القدرة المفاهيمية أو النسق المفاهيمي، ذلك النسق " الذي يسمح لنا بالإدراك ووضع المقولات والرموز، وربما التعقل بطريقة بدائية "؛ فالنسق المفاهيمي أكثر

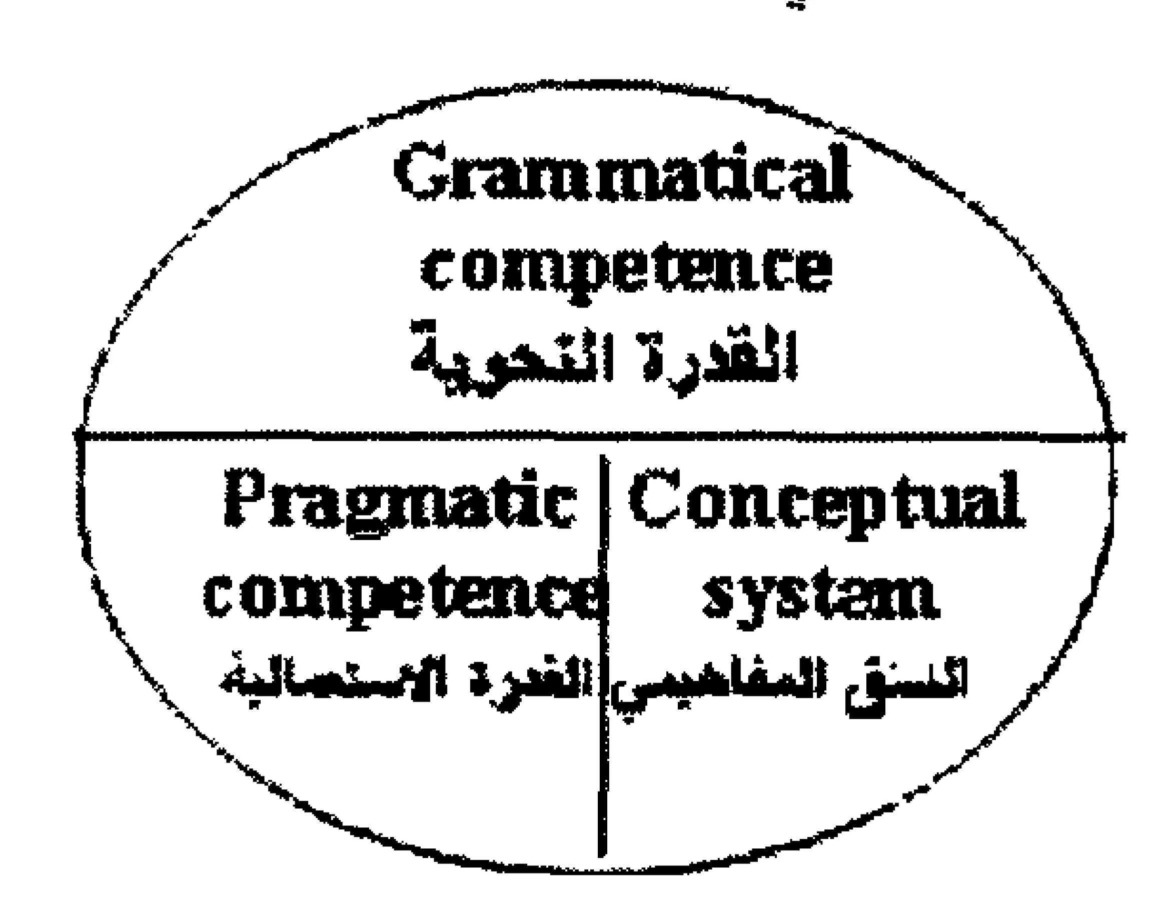
---

(1) Jerrold Katz, Semantic Theory. New York - Harper & Row, publishers.p.25.

(2) Rudolf Botha, Challenging Chomsky,p 75.

بدائية من النسق الحدسي، ولقد اعتبر تشومسكي النسق الحدسي – على سبيل المثال – القدرة النحوية خاصة فريدة للإنسان، في حين يعتقد أن الشمبانزي ربما لديه قدرات مفاهيميةconceptual capacities، وفي ذلك يقول: " ربما يعتقد أن القردة العليا ينقصها بوضوح القدرة على تطوير المبادئ البسيطة للبنية الحسابية للغة الإنسانية، بالرغم من ذلك تمتلك أجزاء من البنية المفاهيمية تجعلها قادرة على تكوين الصور البدائية للوظيفة الرمزية أو الاتصال الرمزي، بينما تفتقر تمامًا إلي ملكة اللغة الإنسانية. الدعم الممكن لتلك الرؤية هو القول أن البشر مع عجز اللغة – ربما تدمير بسيط يصيب ملكة اللغة – يستطيعون اكتساب أنساق مشابهة لتلك التي يتعلمها القردة، كما لو كان القردة هنا تسبه البشر من دون ملكة اللغة ".(1)

مع الإشارة لعمل بريماك Premack، يلاحظ تشومسكي أن القردة لا ينقصها فقط القدرة الحسابية اللغة، بل ينقصها أيضًا قدرة البشر على التعامل مع إحصاء الأرقام. بناء عليه قادته تلك الملاحظة إلى سلسلة نتائج مهمة حول ما يجعل البشر متفردين عن الكائنات الأخرى، " الخطوة العظيمة في التطور الإنسانى"، طبقًا لوجهة نظر تشومسكي كانت ارتباط القدرة المفاهيمية والقدرة الحسابية، "فقط عندما ارتبطت القدرة المفاهيمية مع القدرة الحسابية فإن النسق المفاهيمي أصبح بالفعل مؤثرًا ". إذا حاولنا تخطيط وجهة نظر تشومسكي في تأليف معرفة اللغة، فإن معرفة اللغة تتألف من القدرة النحوية، ةالقدرة الاستعمالية والنسق المفاهيمي وهي مكونات معرفة اللغة. والجدير بالذكر التأكيد على أن القدرة النحوية تشير إلى معرفة النحو أو النسق الحسابي لملكة اللغة. (2)



(1) Ibid.,pp.76 - 77.

(2) Ibid., pp.77 - 78.

يرى تشومسكي أن هناك صلة وثيقة بين تفسيره للإبداع وتفسيره العقلاني للقدرة اللغوية. في الحقيقة يقترح تشومسكي الادعاء العقلاني أن مستعملي اللغة يعرفون نحو لغتهم، وذلك يرفر الأساس لتفسير الإنتاجية اللغوية. [1]

ينتقد جلبرت هيرمان الإبداع اللغوي وفقًا لتصور تشومسكي؛ فإذا كان قد أعلن أن ظاهرة الإبداع اللغوي تمثل لغزًا نحاول التقدم ببطء نحو تقديم التفسير الملائم له، فإن لهيرمان رأيًا مخالفًا؛ حيث يعتقد هيرمان أن هذه الظاهرة يتوقف لغزها حينما نراها نتيجة طبيعية لحقيقتين:

أولاً: إننا نتكلم ونتواصل عادة باللغة التي نفكر بها. ثانيًا: إننا لدينا قوة التفكير المبدع. لكن ثاني هذه الحقائق غامض للغاية؛ لذلك يشير تشومسكي إلى التساؤل التالي: كيف يكون التفكير المبدع ممكنًا؟ ذلك «لغز تام»، لكن على أية حال، عندما نأخذ في الاعتبار السمات الجديدة غير المحدودة لاستعمال اللغة، فإن اقتراح هيرمان يؤدي إلى مجرد تأجيل المشكلة [2].

---

(1) Fred D'Agostino. Chomsky's System of Ideas.p 156.

(2) Mark Bretton Platts,.Ways of Meaning. P. 46.

5 – مشكلة المعني

تعد قضية المعنى من أهم وأخطر قضايا الفكر البشري؛ لأن المعنى ينبوع الفكر الإنساني، فإن لم يكن هناك مغزى ودلالة واضحة للغة – كلمات ذات معاني وجمل ذات معاني – لم يكن هناك فكر أو حضارة إنسانية، كانت حياتنا ضرباً من العبث، فإذا لم يفهم الواحد منا الآخر فكيف نتواصل، بل ما هو أكثر من ذلك كيف نعبر عن اكتشافنا للعالم من حولنا، بمعنى آخر كيف يتسنى لنا إبداع فكرنا وحضارتنا إن لم يكن هناك مدلول للغتنا، حتى الإشارات والإيماءات لها مدلول بين أصحابها سواء الحيوانات أو البشر، وإن دل ذلك فإنما يدل على خطورة قضية المعنى في الحياة، فالمعنى هو من أعطى للحياة أهميتها؛ لذلك من الطبيعي أن تشغل قضية المعني علماء اللغة وفلاسفة الغة وغيرهم.

وأسئلة المعني كثيرة، منها:

1 – ما هو المعنى؟ وما طبيعة المعنى؟

2 – ما الذي يحدد معنى كلمة ما أو جملة؟

3 – ما الفرق بين المعنى في اللغات الطبيعية واللغات الصورية؟

4 – ما علاقة المعنى بالنسق المعرفي البشري، هل هي علاقة اتصال أم انقطاع؟

يحاول علم الدلالة semantics إيجاد الإجابة لتلك الأسئلة، فتنوعت الإجابات طبقًا لاختلاف وجهات نظر أصحابها؛ لذلك أصبح لدينا العديد من نظريات المعنى الفلسفية والدلالية التي حاولت وضع شروط محددة للمعنى. بناء عليه يجدر التعرض لتلك النظريات قبل عرض نظرية تشومسكي الدلالية.

لكن ما هو علم الدلالة؟ يجيب كاتز بأن علم الدلالة هو دراسة المعنى ثم يضع قائمة بعدد الظواهر والتي تعد دلالية، تشتمل تلك القائمة على الترادف syn- onymy، المطابقة antonmy، حالة المعنى meaningfulness، حالة اللامعني

meaninglessiness، الشذوذ الدلالي semantic anomaly، الإطناب re-dundancy، الغموض الدلالي semantic ambiguity. تقديم أية حقيقة تتعلق بتعبير له صلة بهذه الظواهر ما هي إلا حقيقة عن معنى هذا التعبير، وأية نظرية معنى لا تعالج كل أو بعض تلك الظواهر مشكوك في كونها نظرية معنى[1].

يؤكد كاتز أن نظرية المعنى هدف البحث في علم الدلالة وليست شرطًا أساسيًا، فنظرية المعنى مجرد نظرية عن الظواهر الدلالية المتنوعة: " نظرية عن المبادئ الضمنية التي سوف تقيم علاقة متبادلة، وهكذا تنظم الحقائق التجريبية ضمن ميدان علم الدلالة". من ثم يؤكد أن سؤال ما هو المعنى؟ غالبًا يفسر على نحو خاطئ بأنه يستلزم إجابة بسيطة (على سبيل المثال معنى التعبير ما يشير إليه)، في حين أنه يستلزم بالفعل نسقًا واضحًا جدًا من الوصف والتعميم والتنبؤ بالمدى الواسع للملاحظات الدلالية المحددة. من هنا يؤكد أن الإجابة على صورة " المعنى هذا أو ذاك" سوف يكون لها قيمة بقدر ما تكون صورة مكثفة عن نظرية متطورة كاملة من هذا النوع، مثل: إجابة "الكهرباء=الإلكترون والبروتون..."، فهي ببساطة صورة مكثفة عن نظرية مفصلة لظاهرة الكهرباء[2].

يقدم ديفيد كوبر تصنيفاً لنظريات المعنى في كتابه "الفلسفة وطبيعة اللغة" في ثلاث نظريات عامة، وهي على النحو التالي[3]:

1 - النظرية العقلانية mentalistic theory:

تعتقد هذه النظرية - ذات الرؤى المتعددة - أن للتعبير معنى لو ولو فقط ارتبط مع مفردة عقلية معينة مثل تصور او صورة عقلية أو فكرة، وفقًا لذلك يكون التعبيران مترادفين إذا، وإذا فقط، أرتبطا بنفس المفردة العقلية؛ لذا على سبيل المثال: ربما نعتبر كلمة "جرو" ذات معنى لأنها ترتبط بصورة عقلية معينة وأنها تترادف مع كلمة " كلب صغير"؛ لأن كلاهما يرتبط بنفس الصورة العقلية، ففحص المعنى يصبح هنا فحص للحالات والعمليات العقلية للأشخاص.

---

(1) Janet Foder, Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar, The Harvester press, 1977. P. 9.

(2) Ibid., p. 10.

(3) David Cooper, Philpsophy and the Nature of Language, Harlow: Longman, 1988,pp. 14 - 15.

2 - النظرية السلوكية behaviourist theory:

تعتقد هذه النظرية - ذات الرؤى المتعددة - أن للتعبير معنى لو ولو فقط أحدثت المنطوقات استجابات سلوكية معينة في الناس أو أنها نتاج استجابة لمثيرات معينة. ويكون التعبيران مترادفين إذا، وإذا فقط ارتبط بنفس المثيرات. ويتطلب فحص المعنى فحص السلوك المرتبط مع منطوقات التعبيرات.

3 - نظرية الاستعمال Use theory:

تعتقد هذه النظرية ذات الرؤى المتعددة - أن للتعبير معنى لو ولو فقط استطاع الناس استعمالها لأغراض معينة وبأساليب معينة، فالتعبيران مترادفان لو ولو فقط تم استعمالهما بنفس الأسلوب ولنفس الغرض؛ لذلك يعد فحص المعنى فحصًا لدور التعبيرات في أنشطة الإنسان.

على حين يقدم فرانسوا راستير Francois Rastier تصنيفًا آخر، وذلك في كتابه علم دلالة للأوصاف Semantics for Descriptions، فيرى أنه في الثلاثين سنة الأخيرة تم تطوير أربعة أنواع رئيسية من النظرية الدلالية، هم[1]:

1 - علم الدلالة المنطقي logical semantics:

يحاول تقييم صدق المنطوقات ويصف الحالات التي تعبر فيها اللغة عن الصدق ويسمى ذلك المنحى علم دلالة شروط الصدق semantics.

لقد ظهرت سيطرة قضية المعنى على ذلك النحو في أواخر منتصف القرن الماضي، لكنها خضعت لتغييرات مهمة نتيجة لصورية المنطق، ولذلك السبب يسمى أيضًا علم الدلالة الصوري formal semantics. يعرف علم الدلالة المنطقي المعنى بأنه العلاقة بين الرمز والموضوع الذي يرمز إليه في العالم الفعلي، ويخضع للتقسيم الذي صاغه موريس وكارناب بين علم التركيب syntax وعلم الدلالة semantics وعلم الاستعمال pragmatics.

---

(1) Francois Rastier, Semantics for Descriptions: From Linguistics to Computer Science, Stanford, California: CSLI publications,2002.,pp. 26 - 28.

2 – علم الدلالة النفسي psychological semantics:

يعرف المعنى بأنه العلاقة بين الإشارات signs والتمثيلات أو العمليات العقلية، وتطوره يمكن أن نعزوه إلى القرن التاسع عشر، كان باعث على نظريات متنوعة للأعمال الدلالية (كولاين Quillain، كولينز Collins، لوفتس Loftus).

3 – علم الدلالة الإدراكي cognitive semantics:

ربما يظهر على أنه فرع من علم الدلالة النفسي بقدر اعتباره أن المعنى ما هو إلا تمثيل عقلي، مع ذلك لا يعرف علم الدلالة الإدراكي أي بروتوكولات تجريبية أو موضوعية. ينتمي لهذا الاتجاه اللغوي لاكوف Lakoff ولانجكر Langacker... يوجز لانجكر هذا البرنامج الواسع في هذه المصطلحات " يعزز علم الدلالة اللغوي محاولة التحليل البنيوي والوصف التوضيحي للكيانات المجردة، مثل: الاعتقادات والتصورات". قاد ذلك الطموح علم الدلالة الإدراكي إلى اتجاهان مختلفان – كلاهما مأزق (طريق مسدود): (1) وصف الخبرات العقلية. (2) وصف الحالات السابقة على الخبرة. طبقًا لمارك جونسون Mark Johnson فإن وجود البنيات الدلالية الكلية تعد شرط لخبرتنا بالإضافة إلى صياغة إحساسنا بأنفسنا.

4 – علم الدلالة اللغوي المستقل autonomous linguistics semantics:

يعد فرعًا من علم اللغة البنيوي الأوروبي وتطوره يمكن رده إلى بداية القرن العشرين، يعرف المعنى بأنه العلاقة اللغوية بين الرموز.

يمكن تصنيف نظريات المعنى إلى فئتين، ويأتي ذلك التصنيف من تحليل سؤالين عن المعنى هما: ما معنى الجملة sentence meaning؟ وما المعنى لدى المتكلم speaker›s meaning؟ إن معنى الجملة هو ما تعنيه الجملة بصورة حرفية، فالجملة " زيد رئيس قسم نشيط" تعني: زيد رئيس قسم نشيط، وكان الرأي عند فريجه أن العبارة السابقة تأخذ الصيغة الآتية: " زيد رئيس قسم نشيط" صادقة إذا وفقط إذا كان زيد نشيطاً في رئاسة القسم، ولكن تخيل أنني أتحدث مع زائر إلى قسمي وسألني عن زميلي زيد، وعما إذا كان فيلسوفًا مهمًا، وكان ردي هو نطق الجملة " زيد رئيس قسم نشيط" ولكني لم أقصد معناها الحرفي الدقيق، ولكني قصدت معنى آخر، هو أن زيدًا فيلسوف غير مهم، وهنا يظهر المعنى لدى المتكلم

ليتجاوز المعنى الحرفي، وينتقل إلى مقاصد المتكلم[1].

وفي هذه الحالة نجد أنفسنا أمام مسألة العلاقة بين معنى الجملة، والمعنى لدى المتكلم، هل نفسر معنى الجملة في حدود المعنى لدى المتكلم أو نعكس طريق السير؟ رأى فريجه أن تفسير معنى الجملة المتمثل في امتلاك شروط الصدق، يأتي في المقام الأول، ثم يأتي تفسير المعنى لدى المتكلم بعد ذلك، ولكن الرأي عند جرايس أن طريقة فريجه تقلب الأمور رأسًا على عقب، وأن الصواب هو أن تفسير معنى الجملة يأتي في حدود المعنى لدى المتكلم[2].

لقد لاحظ ستراوسون في مقالته « المعنى والصدق « أن هناك معركة حامية الوطيس بين فريقين من الفلاسفة، الفريق الأول ناصر فكرة فريجه، والفريق الثاني يؤيد فكرة جرايس، يقول ستراوسون: « إن المعركة على ما يبدو أنه القضية الأساسية في الفلسفة لها شيء من الطبيعة الهوميرية، والمعركة الهوميرية تقتضي الآلهة والأبطال، وأستطيع أن أذكر بصورة مؤقتة على الأقل بعض القادة الأحياء والأرواح الكريمة (يقصد الأموات) في الجهة الأولى، هناك على سبيل المثال: جرايس، اوستن، وفتجنشتين المتأخر، وفي الجهة الثانية، هناك فريجه وفتجنشتين المبكر وتشومسكي. ويسمى ستراوسون فلاسفة الجهة الأولى « أصحاب نظرية قصد الاتصال» ويضع ستراوسون نفسه في زمرتهم، ويسمى الفلاسفة في الجهة الثانية « أصحاب علم الدلالة الصوري»، ويمكن أن نتبنى مصطلحًا أكثر شمولًا، فنقول: إن فلاسفة الجهة الأولى يقدمون نظريات الاستعمال في المعنى (ومن بينها النظرية القصدية)، ويقدم فلاسفة الجهة الثانية النظرات الصورية في المعنى[3].

ويمكن أن نوجز مجموعة من المسائل التي اتفق عليها أصحاب النظريات الصورية ونظريات الاستعمال في المعنى ومجموعة من المسائل التي اختلفوا عليها، وهي كما يلي:[4].

---

(1) صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الخامسة والعشرون، الرسالة 230 يونيو 2005، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ص30.

(2) المرجع السابق، ص30.

(3) المرجع السابق ص31.

(4) المرجع السابق ص37 – 38.

أولاً: أبرز المسائل التي اتفقوا عليها:

1 – تحكم اللغة قواعد دلالية وتركيبية، وهذه القواعد تحدد معاني الجمل فيها، وتسمى معاني الجمل في هذه الحالة بالمعاني اللغوية.

2 – هناك علاقة بين مقاصد المتكلمين والمعاني اللغوية للجمل التي يستخدمها المتكلمون.

3 – الجملة هي الحامل الأساسي للمعنى أو الوحدة الأساسية للمعنى؛ فالجمل في النظريات الصورية هي حوامل القضايا التي تنقل ما يجوز أن يكون صادقًا أو كاذبًا، والجمل في نظريات الاستعمال هي حوامل أفعال الكلام ومركز مقاصد المتكلمين.

ثانيًا: أهم المسائل التي اختلفوا عليها:

1 – ركز أصحاب النظريات الصورية على البنية الصورية للغة، على حين ركز أصحاب نظريات الاستعمال على اللغة الطبيعية من حيث هي كذلك.

2 – يضع أصحاب النظريات الصورية توكيدًا كبيرًا على بنية الجملة، على حين يضع أصحاب نظريات الاستعمال توكيدًا أساسيًا على اعتقادات المتكلمين ومقاصدهم.

3 – يرى أصحاب النظريات الصورية أن تفسير معنى الجملة يأتي في المقام الأول، ويأتي بعد ذلك تفسير المعنى لدى المتكلم، وهذا يعني أن اللغة تفسر قبل الكلام، أما أنصار نظرية الاستعمال فيرون أن تفسير المعنى لدى المتكلم له أسبقية على تفسير معنى الجملة، وهذا يعني أن الكلام يفسر قبل اللغة.

بناء عليه تقع نظرية تشومسكي الدلالية ضمن النظريات الصورية في المعنى، فقد ركز جهده على تحليل بنية الجملة ووضعية المكون الدلالي في الجملة، وكيف تعطي الجملة تفسيرها الدلالي؟ واضعًا بذلك أسبقية تفسير معنى الجملة على ما يقصده المتكلم منها، ويتضح ذلك في قوله: "إننا لا نستطيع أن نفترض أن للعبارات شروط صدق، بل نمتلك شيئًا أكثر تعقيدًا وهو مؤشرات

الصدق truth indications [1]، مما يعني تفسير المعنى في حدود مؤشرات الصدق المتعلقة بالجملة وليس بناء على ما يقصده المتكلم منها.

وجدير بالذكر أن هذا الخلاف بين نظريات الاستعمال والنظريات الصورية في المعنى يثير التساؤل عن العلاقة بين علم الدلالة وعلم الاستعمال pragmat-ics، فإن كان علم الاستعمال يدرس العلاقة بين التعبيرات اللغوية واستعمالاتها، ويتضمن استعمال المصطلح التمييز بين القدرة اللغوية في صورتها المجردة واستعمال تلك القدرة من قبل المتكلمين والمستمعين، فإن التمييز بين علم الدلالة وعلم الاستعمال ينسجم مع التمييز بين المعنى والاستعمال أو بين القدرة والأداء، ومن ثم علم الدلالة هو مستوى من علم اللغة الذي يتأثر كثيرًا بعلم الاستعمال، ولكن العلاقة بين علم الدلالة وعلم الاستعمال ما زالت موضوعًا للخلاف. إن النقطة الرئيسة هي: هل من الصحيح فصل علم الاستعمال عن علم الدلالة تمامًا؟

في هذا الصدد يري جيفري ليش في كتابه" علم الدلالة " أن هناك ثلاث نظريات متميزة منطقيًا في هذا الخلاف، وهي كما يلي:[2].

1 - المذهب الدلالي semanticism: حيث يصنف علم الاستعمال تحت علم الدلالة.

2 - المذهب الاستعمالي pragmaticism: حيث يصنف علم الدلالة تحت علم الاستعمال.

3 - المذهب التكاملي complementarism: وفيه علم الاستعمال وعلم الدلالة حقلان متميزان متكاملان.

---

(1) Noam Chomsky, Powers and Prospects,p.52.

(2) GeoffreyLeech,Semantics:TheStudyofMeaning,Harmondsworth:Penguin,1974,p.319.

6 – المعني عن تشومسكي

تقع نظرية تشومسكي في المذهب الدلالي، أي تقديم تحليل البنية الدلالية للجمل ومؤشرات صدقها وما يتصل بذلك من إيضاح دور القدرة اللغوية لدى المتكلم على الاستعمال أو الأداء اللغوي أي مقاصد المتكلم.

تجدر الإشارة أن هناك جانبين لنظرية تشومسكي الدلالية:

أولاً: استبعاد التناول السلوكي للمعني (جانب سلبي)

ثانيًا: تقديم النظرية العقلية في المعنى (جانب إيجابي)

أولاً: استبعاد التناول السلوكي للمعنى:

جاءت الصياغة المبكرة لمفهوم المعني السلوكي على يد «واطسن»؛ حيث مهد لذلك بنقده التناول العقلي للمعنى المتضمن للقول بأن معنى التعبير «هو الفكرة المرتبطة به»، وفي ذلك يقول:» دعني أشرح كلماتهم معنى العطر الأصفر الموجود أمامي فكرة عن العطر، لكن لو أصبح في رأسي الفكرة بدلًا من الإدراك الحسي، يعني ذلك أن معنى الفكرة فكرة أخرى، وهكذا إلى ما لا نهاية، فلكي يحمي السلوكي نفسه يجب أن يقدم تفسيرًا مختلفًا. نأخذ حالة بسيطة موضوع « النار»: –

1 – حرقت بها في سن 3 سنوات، قمت بالابتعاد عنها، ثم بعمليات عطوفة غير شرطية حاولت أسرتي إلغاء الاستجابة السلبية للنار تمامًا، فحل محلها أشراطات جديدة.

2 – تعلمت الاقتراب من النار عندما تصبح صورة باردة.

3 – تعلمت طهي السمك واللعب اعتمادًا عليها في رحلات الصيد [1].

إن المعنى عند واطسون هو ما يفعله الفرد أو بمصطلح آخر سلوكه،

---

(1) John Watson, Behaviorism, p.249.

المعنى مجرد طريقة يتفاعل بها الفرد مع الشيء، فالكلمات عند واطسون وظيفتها استدعاء الاستجابات تمامًا كما تعمل الأشياء، فالكلمات تؤدي دور البدائل للأشياء، تحدث الكلمة في حضور الشيء وتستدعي استجابة خاصة، فتؤسس رابطة تداعي بين الكلمة والشيء، وفي حالة غياب الشيء تؤدي الكلمات دور المثير البديل[1].

كان موقف بلومفيلد أكثر نضجًا، فعرف معنى التعبير أنه:" الموقف الذي ينطق فيه المتكلم بالتعبير والاستجابات التي يحدثها ذلك التعبير في المستمع "، ومنذ ذلك الوقت قام اللغويون والفلاسفة بمحاولات كثيرة لتفسير المعني في حدود المثير والاستجابة[2].

لقد سعى بلومفيلد إلى تفسير المعنى السلوكي علميًا على نحو خاضع للملاحظة؛ ولذلك يعتقد أن المثيرات التي تحث المنطوقات والاستجابات التي تحدث تحت تأثيرها يجب أن تكون نصبَ أعيننا في تفسير معنى المنطوقات، لكن قدمت انتقادات لهذا التفسير السلوكي للمعنى، منها في المقام الأول: كلمة مثل (منزل) ريما تنتج استجابات مختلفة جدًا في مناسبات مختلفة وليس المعنى المقصود في كل مناسبة، ثانيًا: ربما لا تنتج كلمة (منزل) استجابات في بعض المناسبات [3].

إن تحليل المعنى في رأي بلومفيلد « النقطة الضعيفة في دراسة اللغة « وسيبقى من الضروري أن تتقدم المعرفة الإنسانية أبعد بكثير من حالتها الحالية؛ لأن التفسير الدقيق لمعنى الكلمات يعتمد على الوصف الكامل والعملي للأشياء والحالات والمواقف التي تؤدي فيها الكلمات دور البدائل.

لقد وجه للتفسير السلوكي للمعنى انتقادات كثيرة، فمثلا يرفض كاتز التناول السلوكي للمعنى؛ والسبب وراء ذلك أن المعاني – عنده – ليست المثيرات أو الاستجابات، فعلى سبيل المثال: نطق التعبير ساعد « help " يأتي نتيجة للخطر

---

(1) John Lyons, Semantics, volume one. Cambridge:Cambridge University Press, 1977,p.125.

(2) David Cooper, Philosophy and the Nature of Language,p.28.

(3) Ibid.,p.29.

أو على الأقل للخير، والاستجابة لها تكون الاندفاع لمساعدة المتكلم، مع ذلك معاني ساعد " help " ليست الخطر[1].

يقول كوبر ناقدًا التفسير السلوكي للمعنى: إنني أخلص إلى أن أية محاولة لتفسير الترادف بلغة تطابق المثير سوف تكون منافية للعقل، فلو حصرنا المثير في الأشياء الخارجية، ولو وضعنا عوامل عقلية، مثل: الاعتقادات بين المثير، فذلك ما هو إلا أمر دائري (غير مباشر)؛ لذلك أية تفسيرات سلوكية للمعنى يجب أن تفشل بسبب دائريتها... حيث يتضح كيف يكون من المستحيل مطابقة الاستجابات أو المثيرات السلوكية المتنوعة إلا بلغة الاستجابات والمثيرات[2]. بناء على ما سبق يرفض تشومسكي النظرية السلوكية في المعنى أيضًا متبنيًا النظرية العقلية في المعنى.

ثانياً: النظرية العقلية في المعني

بذلك وجدت اعتراضات كثيرة على التفسير السلوكي للمعنى، ففي العمل المعاصر في علم الدلالة جري تبني العقلانية ضد النظرية السلوكية، وتأييد القول بأن المعنى ظاهرة عقلية؛ حيث رجع تشومسكي إلى العقلانية التي حاول أصحاب مذهب السياق الهروب منها، وأصبحت فكرة أن الوظيفة الأولية للغة هي توصيل الأفكار مقبولة مرة ثانية.

لكن تجدر الإشارة إلى أن كاتز وفودور هما اللذان طرحا القضية الدلالية على نحو واضح في النحو التوليدي؛ وذلك بعد نشر المقالة الرائدة في علم الدلالة « بنية النظرية الدلالية» 1963 وتبين لهما أن كثيراً من القواعد التحويلية – مثل التي تحول الجملة المبينة للمعلوم إلي جملة مبينة للمجهول – تحافظ على ثبات معنى الجمل،واتضح للنحو التحويلي أن علم الدلالة له وضع مهم في النظرية اللغوية[3].

لقد حاول هذان العالمان أن يطورا الفرضية الدلالية بالإضافة إلى ذلك فقد أرادا قضية الدلالة بشكل شامل في اللغات الإنسانية كلها، لقد وضعا نوعين اثنين

---

(1) Janet Fodor,Semantics,p.14.

(2) David Cooper,Philosophy and the Nature of Language,p.36.

(3) Geoffrey Leech,Semantics,p.343.

من القواعد الدلالية:

1 – القواعد المعجمية.

2 – القواعد التفسيرية.

إن وظيفة القواعد المعجمية وإيضاح المفردات المعجمية، ثم بيان وظائفها الدلالية في التراكيب، أما وظيفة القواعد التفسيرية فهي تحديد الطريقة التي من خلالها يمكن ضم المفردات المعجمية بعضها إلى بعض، وذلك من أجل تفسير التراكيب الدلالية[1].

على أيه حال إن القواعد التفسيرية تمزج التفسير الدلالي للتراكيب المتولدة في مستوى المكون التوليدي التركيبي وتبين الطريقة التي من خلالها يمكن لهذه التراكيب المتولدة في مستوى المكون التوليدي التركيبي والمتحولة في مستوى المكون التحويلي أن تسهم في دلالة التركيب، ولكن فرضية كاتز وفودور الدلالية لم تحفل بنماذج كثيرة من التراكيب الدلالية، أضف إلى ذلك أن هذه الفرضية لم تكن قوية بحيث يمكنها أن تربط المكون الدلالي بالمكون التوليدي التركيبي.

إن الذي استطاع أن يقوي الربط بين هذين المكونين هما كاتز وبوستال، وذلك من خلال تقديم مفهوم جديد للقواعد التفسيرية وللتحويل الدلالي للمعنى على أسس مضبوطة، وأيضا من خلال التحديد الدقيق. إن تطوير المبادئ الدلالية الذي قام به كاتز وفودور وبوستال، شجع تشومسكي لأن يسد الفجوة الدلالية في منهجه التوليدي التركيبي، وهكذا حاول أن يدمج هذه المبادئ الدلالية المتطورة في منهجه؛ وذلك لأنه سعى في كتابه «البنى التركيبية « 1975 إلى التأكيد على انفصال النحو عن المعنى، وقدم أمثلة لجمل صحيحة نحويًا لكنها غير ذات معنى، يقول في ذلك الصدد: « إن مفهوم «النحوي» grammatical لا يمكن أن يتطابق مع "ما له معنى" meaningful أو "ذو مغزى" «significant» في أي فهم دلالي"[2]. وقدم جملتين على صحة زعمه، هما:

---

(1) مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس بدمشق. 1986. ص54.

(2) Noam Chomsky,Syntactic Structures, p. 15.

1 – Colorless green ideas sleep furiously.

تنام الأفكار الخضراء بلا لون غاضبة

2 – Furiously sleep ideas green colorless.

تنام غاضبة أفكار خضراء بلا لون

الجملة الأولى صحيحة نحويًا غير ذات معنى، أما الجملة الثانية غير صحيحة نحوياَ وغير ذات معنى.

لكن رجع تشومسكي عن زعمه لاستقلال النحو عن المعنى وإهماله دراسة المعنى، فقدم أكثر الدعاوي انتشارًا باعتبارها تدعم اعتماد النحو على المعنى، وذلك كما يلي[1]:

1 – يتميز المنطوقان فونيميا إذا وفقط إذا أختلفا في المعني.

2 – المورفيمات أصغر عناصر ذات معنى.

3 – الجمل النحوية هي الجمل التي تحمل معنى دلالي.

4 – العلاقة النحوية فعل – فاعل (بمعنى آخر المركب الاسمي – المركب الفعلي من حيث هما تحليل للجملة) تطابق "المعنى البنيوي" العام فعل – فاعل.

5 – العلاقة النحوية فعل – مفعول (بمعنى آخر الفعل – المركب الاسمي من حيث هما تحليل للمركب الفعلي) تطابق المعنى البنيوي فعل – هدف أو فعل مفعول الفعل.

6 – الجملة المبنية للمعلوم تطابق الجملة المبنية للمجهول، فهما جملتان مترادفتان.

بالرغم من تقديم تشومسكي أمثلة مضادة لبعض تلك المزاعم – فعلى سبيل المثال: بالنسبة لرقم(1) هناك منطوقات متميزة فونيميًا ومتطابقة في المعنى (ما يسمى المترادف)، ومنطوقات متطابقة فونيميًا ومختلفة في المعنى (ما يسمى

---

(1) Ibid., p. 94.

المشترك اللفظي homonym) [1] – فإنه يؤكد أن تلك الأمثلة لا ينبغي أن تعمينا عن واقع أن ثمة تطابقات مدهشة بين البني والعناصر المكتشفة ضمن التحليل النحوي الصوري والوظائف الدلالية النوعية، فليس ثمة توكيد من التوكيدات – السابقة – خاطئ كلية، بل إن بعضها قريب جدًا من الصحة، ومن ثم يبدو من الواضح أن مطابقات لا يمكن إنكارها – رغم أنها مطابقات غير كاملة – تقع بين الخصائص الصورية والدلالية. الحقيقة أن المطابقات يشوبها هذا القدر من انعدام الدقة بأن المعنى سيكون غير ذي نفع نسبيًا باعتباره قاعدة للوصف النحوي، ويعزز هذا التحليل الدقيق كل اقتراح يعرض الاعتماد على المعنى، ويظهر في الواقع أننا قد نخطئ في بعض التعميمات المهمة حول البنية اللغوية. لو أننا تتبعنا بعض الأساليب الدلالية الغامضة تتبعًا ضيقًا جدًا، فلقد رأينا مثلًا أن العلاقة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول ليست سوى مثال لمظهر عام وأساسي جدًا من مظاهر البنية اللغوية الصورية. ولم يكن للشبه القائم بين المبني للمجهول والمبني للمعلوم والنفي وبين الإخبارية والاستفهامية وغيرها من العلاقات التحويلية، أن يظهر للنور لو أننا لم نكتشف العلاقة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول – حصرًا – في إطار مفاهيم مثل الترادف[2].

لقد تدخل في تناول قضية المعنى عند تشومسكي عنصر حاسم جعله يصر على ضرورة إدخال المكون الدلالي في صميم النظرية التوليدية التحويلية للنحو – على الرغم من إغفاله له في كتاب «البنى التركيبية» –، يتمثل ذلك العنصر في الفهم، فحقًا قد توجد جمل صحيحة نحويًا لكنها مجرد لغو – غير ذات معنى – لن يستطيع العقل الإنساني فهمها، ومع تأكيده على مفهوم الإبداع اللغوي من حيث هو القدرة على إنتاج وفهم وتفسير الجمل، وذلك لن يتحقق بمجرد قصر التناول للجملة على المستوى اللغوي. وفي ذلك يقول تشومسكي: « لفهم الجملة يجب معرفة ما هو أكثر من تحليلها على كل من المستوى اللغوي، يجب معرفة الإشارة ومعنى المورفيمات أو الكلمات التي تتألف منها الجملة أيضًا. إننا لا نتوقع من

---

(1) Ibid., p. 95.

(2) مصطفي كمال وآخر، "علم النحو وعلم الدلالة" مقالة من كتاب "البنى النحوية" من ص99 – 106. ص103.

النحو الكثير من المساعدة في ذلك المجال. إن تلك الأفكار تشكل مادة بحث علم الدلالة، ففي وصف معنى كلمة تشير في أغلب الأحيان أو على نحو ضروري إلى الإطار النحوي الذي يتضمن تلك الكلمة، ومثال على ذلك: في وصف معنى كلمة «ضرب» hit، فإننا بلا شك نصف الفاعل ومفعول الفعل في مفاهيم "الفاعل" و"المفعول" التي يبدو أن أفضل تحليل لها من حيث هي مفاهيم صورية تنتمي إلى نظرية النحو، بل سنجد أنه من الطبيعي أن العديد من الكلمات أو المورفيمات من المقولات النحوية المفردة توصف على نحو دلالي في مصطلحات مماثلة إلى حد ما، ومثال على ذلك: الفعل في حدود الفاعل والمفعول... الخ "[1].

النحوي عند تشومسكي يحاول في بنائه المكون الدلالي تأليف سلسلة من القواعد تزودنا بنموذج القدرة النحوية للمتكلم والذي يجب أن يتطابق مع فهم المتكلم للغموض، الترادف، اللغو، التناقض الذاتي.. وهكذا.[2] فالفهم الإنساني للغة لا يتم عنده إلا بتضافر المكون النحوي مع المكون الدلالي مع المكون التحليلي في نظريته اللغوية.

واتخذت معالجة تشومسكي للمعني عدة صور تأتي في النظريات الآتية:

1 – النظرية المعيارية.

2 – النظرية المعيارية الموسعة.

3 – النظرية المعيارية الموسعة المنقحة.

وسوف اكتفي بعرض النظرية المعيارية فيما يلي:

يلخص تشومسكي نظريته المعيارية في كتابه "جوانب من نظرية النحو" 1965 على النحو التالي: يتألف النحو من المكون التركيبي، والمكون الدلالي، والمكون الصوتي، لا يلعب المكون الدلالي والمكون الصوتي أي دور في التوليد التكراري لبني الجمل، إنهما مكونان تفسيريان، يشتمل المكون التركيبي على المكون الأساسي، والمكون التحويلي يشمل على مكون الأساس الذي يتألف من

---

(1) Noam Chomsky, Syntactic Structures, pp. 103 - 104.

(2) John Searl, "Chomsky's Revolution in Linguistics," p. 25.

مكون فرعي مقولاتي والمعجم، يولد المكون الأساس والبنيات العميقة، مدخل البنية العميقة المكون الدلالي، مخرجها التفسير الدلالي، وترتبط بالقواعد التحويلية في البنية السطحية التي تعطي التفسير الصوتي عن طريق قواعد المكون الصوتي، من ثم يربط النحو التفسيرات الدلالية بالعلامات، ويتوسط هذه الارتباطات القواعد التكرارية للمكون النحوي[1].

بناء عليه يولد المكون القاعدي البنية العميقة التي تتضمن المعنى كله، تتحول هذه البنية العميقة إلى بنية سطحية من خلال القواعد التحويلية التي هي قواعد حافظة للمعنى، أي إنها قواعد لا تغير معنى التركيب، إن لهذه القواعد التحويلية من القوة ما يجعلها تضيف أو تحذف أو تبدل أو تنقل الأركان اللغوية[2]. يعتبر المكون الدلالي المستوى التفسيري الذي يعمل على البنية العميقة، يعطي هذا المكون الدلالي التفسير الدلالي للبنية العميقة من خلال القواعد الدلالية التي تضم معاني الأركان اللغوية المختلفة من أجل إنتاج التمثيل الدلالي التركيبي[3]. أما المكون الصوتي فهو مستوى تفسيري يعمل على البنية السطحية للتركيب مستعملاً القواعد الصوتية لإنتاج التمثيل الصوتي[4].

وتجدر الإشارة إلى أنه من ضمن الادعاءات المحددة للنظرية المعيارية أن البنية السطحية هي المستوى الوحيد من علم التركيب المسئول عن تحديد التفسير الصوتي، وأن البنية العميقة هي المستوى الوحيد المسئول عن التفسير الدلالي، تأتي النقطة الثانية بالمبدأ المهم المتمثل في أن القواعد التحويلية حافظة المعنى، أي لا تبدل بأية حال المعني في البنى التي تعمل عليها، مما يعني أن كل الجمل التي لديها نفس البني العميقة لها نفس المعاني[5].

---

(1) Noam Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, p. 63.

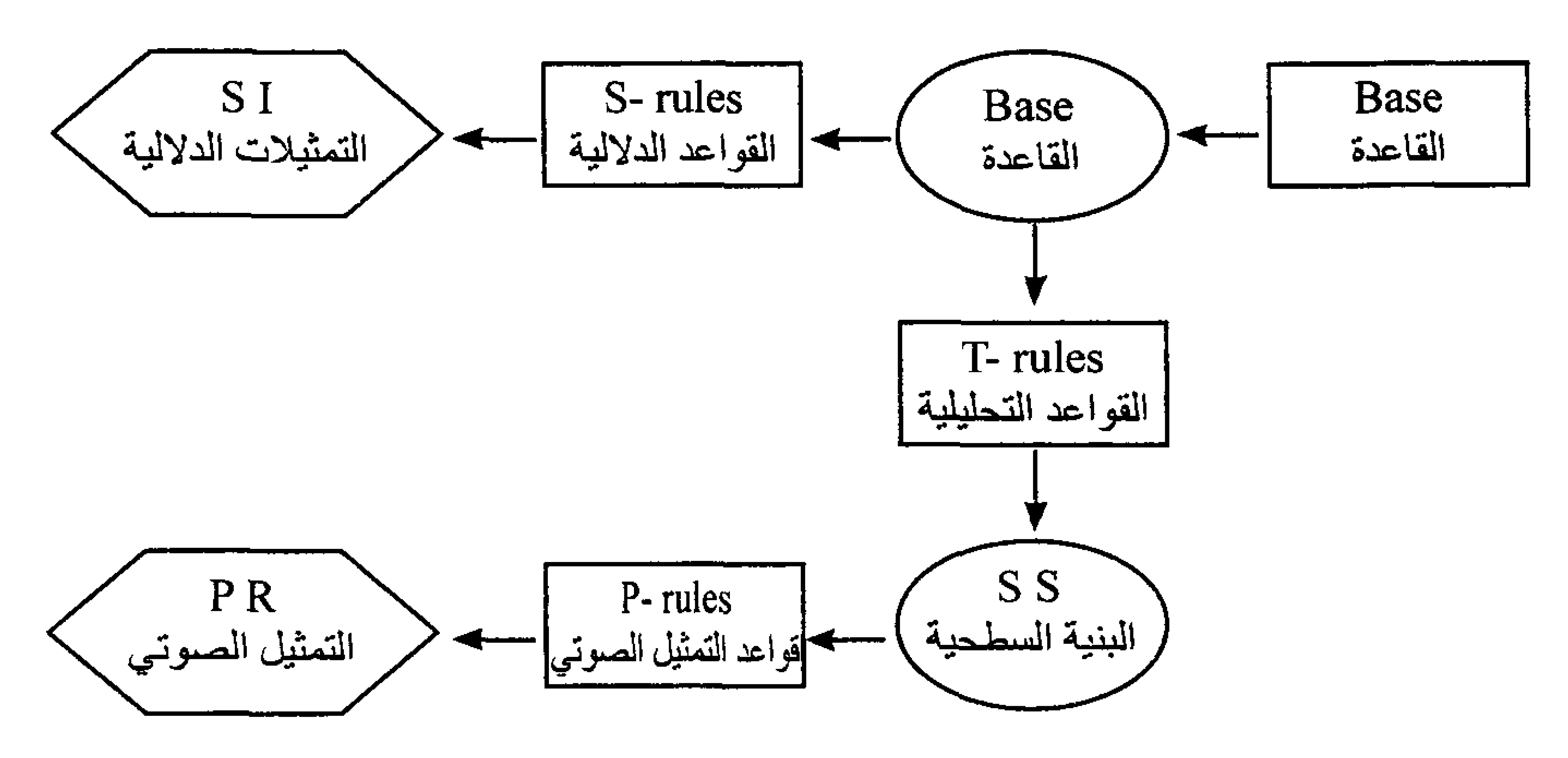
(2) مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس بدمشق1986. ص55.

(3) المرجع السابق، ص56.

(4) المرجع السابق، ص56.

(5) Geoffrey Leech, Semantics,p.345.

وفي الإمكان تمثيل النظرية المعيارية بيانيًا، كما قدمها جون ليونز في كتابه علم الدلالة[1]، على النحو التالي:



النظرية المعيارية Standard theory

لقد تعرضت النظرية المعيارية للانتقاد، فعلى الرغم من أن النظرية المعيارية تمدنا بمكون دلالي تفسيري، أي أن معاني الجمل محددة بتطبيق القواعد الدلالية على الأساس التركيبي، فقد اتضح أن بعض سمات المعاني تحديدًا تظهر مرتبطة بالبنية السطحية أكثر من ارتباطها بالبنية العميقة، وهكذا تم افتراض جديد أن قواعد الإسقاط المحددة للمعنى يجب أن تعمل على البني السطحية وذلك أفضل من عملها على البني العميقة، بمعنى آخر: لم تعد تتضمن النظرية التفسيرية الادعاء بأن كل الجمل التي لها نفس البني العميقة لها نفس المعنى[2].

فلم تعد البنية العميقة في النظريات المعيارية دقيقة بشكل كاف من أجل شرح طبيعة العلاقات الدلالية في التراكيب العالمية، فقد ادعى لاكوف أن البنية العميقة في النظرية المعيارية لا تستطيع أن تشرح التراكيب التي لها بنى سطحية مختلفة، وتمثلها بنية دلالية تجريدية واحدة كما في الأمثلة (1)، (2)[3].

---

(1) John Lyons, Semantics, volume 2,p.412.

(2) Geoffrey Leech. Semantics.p.345

(3) مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص56.

.Seymour sliced the salami with aknife – 1

.Seymour used a knife to sliced the salami – 2

وقد كانت الحجة أن البنية العميقة لا تستطيع تحديد البنية الدلالية الصحيحة لتركيب غامض، كما في المثال(3).

.John and mary left – 3

فإننا لا نعرف ما إذا كان ((John and mary قد غادرا مع بعضهما في الوقت نفسه، أو أن (John) و(mary) قد غادرا في أوقات مختلفة.

إن أهم الحجج التي أتت ضد البنية العميقة في النظرية المعيارية كانت من مدرسة علم الدلالة التوليدي ومدرسة علم الدلالة التصنيفي، فقد أرتكز احتجاج مدرسة علم الدلالة التوليدي حول أن البنية العميقة ليست عميقة بشكل كاف لضبط الاختلافات الدلالية في التراكيب وخاصة تلك الاختلافات الدلالية المتعلقة بتراكيب النفي وتراكيب الكم العددية[1].

وهكذا فإن تراكيب كالممثلة في (4)، (5) لها أكثر من بنية دلالية على النقيض مما جاء في النظرية المعيارية لتشومسكي.

.John did not buy many books – 4

.Many book were not bought by John – 5

إن الاختلاف بين هذين التركيبين هو أن التركيب (4) يناقض الحالة التي تقول:

((John bought many books))

أما التركيب المتمثل في (5) فإنه لا يناقض الحالة التي تقول:

((John bought many books))

كانت اعتراضات علم الدلالة التصنيفي على يد فيلمور وتشيف وكوك متمثلة

---

(1) المرجع السابق ص56 – 57.

في البنية العميقة لا تستطيع ضبط الاختلافات الدلالية في تراكيب مثل: [1].

6 - the door opened.

7 - John opened the door.

8 - the wind opened the door.

إن الأركان الاسمية the door في (6) وJohn في (7) وthe wind في (8) إنما لها علاقات دلالية مع الفعل opened، على حين اعتبرت النظرية المعيارية كل هذه الأركان الاسمية على أنها فواعل في البنية العميقة.

لقد كانت حجج العلماء المنتمين إلى علم الدلالة التصنيفي هي أن الفعل نواة مركزية في هذه التراكيب، هذا الفعل يقتضي وجود موضوع وجوبي هو the door ويقتضي وجود فاعل جوازي هو John أو أداة هي the wind، وانتقد جاكندوف النظرية المعيارية موضحًا أن بعض المكونات في النظرية المعيارية غير شمولية؛ وذلك لأن بعض القواعد الدلالية التفسيرية يمكنها بشكل جوازي أن تغير المعنى، والنتيجة هي أنه سيكون هناك تفسيران دلاليان لتركيب واحد[2].

---

(1) المرجع السابق ص58.

(2) المرجع السابق ص58.

7 – تعقيب:

تناول هذا الفصل بعض القضايا العميقة في الفكر الفلسفي اللغوي متمثلة في استعمال اللغة وإشكالية المعنى، وتؤكد كتابات تشومسكي على اهتمام نظريته النغوية بالمعنى والاستعمال، حيث يقرر أن: « النظرية اللغوية (أو النحو الكلي) الخاصة المُحددة وراثيًا للجنس البشري المعطاة بيولوجيًا، لا يتعلمها الطفل لكنه بالأحرى يطبقها في تطوير معرفة اللغة؛ لذلك يعد الافتراض بأن تلك النظرية اللغوية الفطرية المحددة للصورة العامة والبنية العامة للغة ليست مرتبطة بالخصائص الجوهرية للمعنى واستعمال اللغة، افتراضاً منافياً للعقل[1].

(1) Noam Chomsky,Language and Responsibility.p.140.

المراجع

أولاً: مؤلفات تشومسكي الفلسفية واللغوية

1) الكتب

1. Chomsky, Noam. Syntactic Structures.The Hague: Mouton, 1957.

2. .... Current Issues in Linguistic Theory. The Hague: Mouton, 1964.

3. .... Aspects of the Theory of Syntax.Cam-bridge, Mass: Mit Press, 1965.

- صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية بعنوان "جوانب من نظرية النحو"، ترجمة مرتضي جواد باقر، الناشر جامعة البصرة، (د.ت).

4. .... Cartesian Linguistics:A Chapter in the History of Rationalist Thought. New York: Harper & Row, 1966.

5. .... Language and Mind. New York: Harcourt Brace & world, 1968.

- صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية بعنوان "اللغة والعقل"، ترجمة إبراهيم مشروح ومصطفى خلال، الناشر تانسيفت مراكش، الطبعة الأولى، 1993.

6. .... Reflection on Language. New York: Pan-theon Book, 1975.

7. .... Essays on Form and Interpretation. New York: North. Holland, 1977.

8. .... Language and Responsibility: Based on Conversation with Mitsou Ronat. Translated from the French by John Viertel. New York: Pantheon Books, 1979.

9. .... Rules and Representations. Oxford: Blackwell, 1980.

10. .... On The Generative Enterprise. A Dis– cussion – with Riny Huybregts and Henkvan , Dordrecht, Hall and. Foris Publication, 1982.

11. .... Knowledge of Language: It's Nature Origins, and Use. New York: praeger, 1986.

– صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية بعنوان "المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها"، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993.

12. .... Language and Problems of Knowledge. Cambridge, Mass: MIT Press, 1988.

– صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية بعنوان "اللغة ومشكلات المعرفة"، ترجمة حمزة بن قبلان الميزيني، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1990.

13. .... Powers and Prospects: Reflections on Human Nature and the Social Order. London: Pluto Press, 1996.

14. .... New Horizons in the Study of Language and Mind Cambridge and New York: Cambridge University Press, 2000.

– صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية بعنوان "آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن"، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005. ولم أرجع إليها لغموضها.

2) مقالات لم تنشر في الكتب السابقة

15. .... «A Review of B.F. Skinner›s verbal Behavior,» in The Structure of language: Readings in the Philosophy of Language, (eds) by J.A. fodor and and J.J. Katz. pp. 547 - 578.

16....................... "Linguistics and Philosophy," in Language and Philosophy, (ed) by Sidney Hook. New York: New York University Prese, 1969.

17. .... "Some Empirical Assumtions in Modern Philosophy of Language," In, Rudolf Carnap and others (eds) Challenges to Empricism, Belmont, CA: Wads worth Pub, Co., 1972, pp.35 - 48.

18. .... "Recent Contribution to the Theory of Innate Ideas," in Innate Ideas. (ed) by Stephen Stich, Berkeley, CA: California University Press, 1975, pp. 128 - 140.

19. .... "Language and Cognition," in David Johnson, The Future of the Cognitive Revolution, New York: Oxford University press, 1977, pp.1 - 23.

20. .... "A Note on the Creative Aspect of Language," The Philosophical Review, 1982, 91,3, pp.423 - 434.

21. .... "On the Nature, Use and Acquisition of Language," in Jose fatoribio and Other (eds) Language and Meaning in Cognitive Science, New York: Garled Pub., Inc. 1988, pp.1 - 27.

3) ما ترجم من مقالات وأعمال أخرى لتشومسكي إلي العربية:

1. نعوم تشومسكي: «اللسانيات والعلوم الإنسانية»، ترجمة مصطفي المسناوي، مجلة بيت الحكمة، العدد السادس، أكتوبر 1987، الدار البيضاء.

2. نعوم تشومسكي: «هل هي فلسفة للغة»، ترجمة مصطفي المسناوي، مجلة بيت الحكمة، العدد السادس، أكتوبر 1987، الدار البيضاء.

3. نعوم تشومسكي: «الولايات المتحدة تنتهك مبادئ القانون الدولي»، ضمن كتاب العولمة والأرهاب: حرب أمريكا على العالم، ترجمة حمزة المزيني، مكتبة مدبولي القاهرة،2003.

3. نعوم تشومسكي: «محاضرة في ديار بكر»، ضمن كتاب العولمة والأرهاب: حرب أمريكا على العالم، ترجمة حمزة المزيني، مكتبة مدبولي القاهرة،2003،ص ص69 - 116.

4. نعوم تشومسكي: «الولايات المتحدة – إسرائيل – فلسطين»، ضمن كتاب العولمة والأرهاب: حرب أمريكا على العالم، ترجمة حمزة المزيني، مكتبة مدبولي القاهرة،2003، ص ص 156 - 166.

5. نعوم تشومسكي: النظام العالمي القديم والجديد، ترجمة عاطف معتمد عبد الحميد، نهضة مصر، القاهرة، 2007.

ثانيًا: كتابات عن تشومسكي

22. Barsky, Robert F. Noam Chomsky: A Life of Dissent. Cambridge, Massachusetts: The Mit Press, 1997.

23. Blatt, Martu. Noam Chomsky, Social Text, No 9110 , the60's without Apology, Spring - Summer, 1984, pp.286 - 290

24. Botha, Rudolf. Challenging Chomsky: The Generative Garden Game. New York: Basil Blackwell, 1989.

25. Cook, V. J. Chomsky's Universal Grammar, New

York: Basil Blackwell, 1981.

26. D' Agostino, Fred. Chomsky's System of Idea, Oxford: Clarendon Press, 1988.

27. Drach, Margaret. "The Creative Aspect of Chomsky's Use of Notion Of Creativity," The Philosophical Review, Vol. 9, No. 1 Jan. 1981, PP. 44 - 65.

28. George ,Alexander. "Whence and Wither the Debate Between Quine and Chomsky?," The Journal of Philosophy, Vol. 83 ,No. 9, Sep., 1986, pp. 489 - 499.

29. Harman, Gilbert. "Review of Language and Mind" In Gilbert Harman,"(ed.), On Noam Chomsky: Critical Essays, New York: Anchor Press, 1974, pp. 195 - 205.

30. Katz, Jerrold J. "Chomsky on Meaning," Language, Vol, 56, No.1 Mar. 1980, pp. 1 - 41.

31. Lyons,John. Noam Chomsky, New York: Viking press, 1970.

32. McGilvary, James. ; Chomsky: Language, Mind and Politics, Cambridge: Polity, 2003.

33. Moore, Terence and Others. Understanding Language: Towords APost Chomskyan Linguistic, London: Macmillan Press, 1982.

34. Newmeyer, Frederick. J " Has there Been Chomskyan Revolution in Linguistics,"Language, Vol. 62, Nol. Mar, 1986, PP. 1 - 18.

35. Searl, John " Revolution's Chomsky in Linguistics," in,

Gilbert. Harman (ed.), On' Noam Chomsky: Critical Essays, Gardencity, New York: Anchor Press, 1974, pp. 2 - 33.

36. Smith, Neil. Chomsky: Ideas and Ideals. New York: Cambridge University Press, 2004.

ثالثاً: دراسات في فلسفة اللغة

37. Baars, Bernard. The Cognitive Revolution in psychology. New York: Guilford Press, 1986.

38. Beaugrande ,Robert de. "Performative Speech Acts in Linguistics Theory: the Rationality of Noam Chomsky," on - line at: http://www.beaugrande.com/chomprag.htm

39. Benton, Ten and Other. Philosophy of Social Science. London: Palgave, 2001.

40. Bloomfield, Leonard. Language. New York: H.Holt & Co., 1933.

41. ...."Language or Ideas," In, Jerrold. J. Katz, (ed.) The Philosophy of Linguistics, New York: Oxford University Press, 1985.

42. Carnap, Rudolf. The Logical Syntax of Language. New York: Humanities Press Inc, 1951

43. Cohen, Bernard. "The Eighteeth - Century Origins of the Concept of Scientific Revolution, " Journal of the History of Ideas, vol. 37, No.2. (Apr - Jun., 1976), PP. 257 - 288.

44. Cohen, H. Floris. The Scientific Revolution: A Historiographical in Quiry. Chicage: University of Chicago Press. 1994.

45. Cooper, David Edward. Knowledge of Language. New York: Humanities Press, Inc, 1975.

46. .... Philosophy and the Nature of Language. Harlow: Longman, 1988.

47. Cowie, Fiona. "Innateness of Language," in Edward Craic (ed.) Routledge Encyclopedia of Philosophy, London: Routledge, 1998,pp.384 - 389.

48. David, Lindberg C. "Conception of Scientific Evolution: From Bacon to Butterfield: Apreliminary Sketch," in David C. Lindberg and other, Reappraisals of the Scientific Revolution, New York: Cambridge University Press, 1990.

49. Davis, Steven. Philosophy and Language. Indianapolis: BobbsMerrill, Inc, 1976.

50. Davit, Michael. Language and Reality: An Introduction to philosophy of Language. Oxford: Blackwell Pub., 1999.

51. Donald, Margret Mac" Professor Ryle on the Concept of Mind, " The Philosophical Review, V 01.60, No.I.(Jon., 1951), pp.80 - 90.

52. Ennaji, Moha. Introduction to Modern Linguistics. Oxford: Afriqueorient press, 1998.

53. Esper, Erwin. Mentalism and Objectivism in Linguistics: The Sources of Leonard Bloomfield's Psychology of Language. New York: American Elsevier Pub. Co., 1968.

54. Fodor, Jerry. The Language of Thought, Sussex: Harvester Press, 1976.

55. .... Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar. New York: Harvester Press. 1977

56. .... The Modularity of Mind: An Essay on Faculty Psychology. Cambridge: Mit, Press, 1983.

57. Gardner, Howard. The Mind's New Science: A History of The Cognitive Revolution. New York: Basic Books, 1983

58. Goodman, Neilson. "Symposium on Innate Ideas," in Philosophy of Language,(ed.)by J.R. Searle, London:Oxford University Press,1977.pp.140 - 145.

59. Graham, George. ':Behaviorism," in Stanford Encyclopedia of philosophy, Available on - line at:http://setis. library. Used. edu.au/ Stanford.archive. /fa1l2002/ enteris ed! behaviorism

60. Hamlyn, D.W. "Empiricism,"in Paul Edwards, (ed.) The Encyclopedia of Philosophy, volum one. New York: Macmillan Com & Free Press, 1989. pp499 - 504

61. Hauser, Larry "Behaviorism," in Encyclopedia of Philosophy, Available on - line at: http://www.utm.edu. researchliep!blbehaior.htm.

62. Hoekett, Charles. The State of The Art. Hague: Mouton, 1968..

63. J. Cottingham "Rationalism," in R.E. Asher (ed.) The Encyclopedia of Language and Linguistics, Volume Seven. Oxford: Pergaman Press.pp. 3442 – 3443.

64. Jacobsen, Bent. Modern Transformational Grammar.

New York:North - Holland, 1986.

65. Katz, Jerrold "Mentalism in Linguistics," In Jay F. Rosenberg other (eds.) Readings in the Philosophy of Language, New Jersey: prentice - Hall, Inc 1971,.pp. 365 - 378.

66. ....The Philosophy of Language. New York: Harper & Row, 1966.

67. .... The Philosophy of Linguistics. New York: Oxford University Press, 1985.

68.................. Semantics Theory. New York: Harper & Row,1972.

69. Kutschera, Franzvon. Philosophy of Language. Boston: Dordrecht Holland, 1975.

70. Leech, Geoffrey. Semantics: The Study of Meaning. Harmonds Worth: Penguin, 1974.

71. Levensky, Mark. Human Factual knowledge. New Jersey: Prentice - Hall, Inc. 1971.

72. Lind Fors, Judith. Children 's Language and Learning. New Jersey: Prentice - Hall, Inc 1980.

73. Lyons, John. Semantics. volume one, Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

74............ Language and Linguistics. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

75. Lyons, William.: "Ryle, Gilbert," in Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, London: Routledge, 2000.

76. McGilvary,James. "On the Innatenss of Language," in Contemporary Debates in Cognitive Science, (ed.) by Robert 1. Stainton, Oxford: Blackwell, 2006.pp.97 – 110.

77. Malcolm, Norman. Thought and Knowledge. Ithaca, Ny: Cornell. University Press, 1977.

78. Matthews,Robert 1. "The Case for the Linguistics Na– tivism," in Contemporary Debates in Cognitive Science, (ed.) by Robert 1. Staintan, Oxford: BlackWell Pub., 2006. pp.80 – 96.

79. Markie, Peter. "Rationalism Vs Empiricism, " Available on – Line at: plats.stanford.edu/enteries/rationalism – empiri– cism.2004.

80. Moore, Terence and other. Generative Linguistics. New York: Routledge, 1996.

81. Nye, Robert. The Legacy of B.F. Skinner: Concepts and Perspectives, Controversies and Misunderstandings. Calif: Books/ cole pub Co,1992.

82. O' Donohue, William and Other. The Psychology of B. F. Skinner. Thousand Oaks, Calif: Sage, 2001.

83.· Oter, C.P. Language and Politics. New York: Black Rose Books, 1989.

84. Percival,w. Keith. The Applicability of Kuhn's Paradig ms to the History of Linguis tics. Language, vo 1.52, No.2. (Jun.,1976), 285 – 294.

85. Pinker, Steven. "Language Acquisition, " Available on line at: http://www.cogscLstotn.ac.uk/~harnad/papers/py104/

pinker.langue.c.html1.138k.

86. Platts, Mark, De Bretton. Ways of Meaning: An Introduction to a Philosophy of Language. Cambridge, Mass. Mit Press, 1997.

87. Putnam, Hilary. " The Innateness Hypothesis and Explanatory Models in Linguistics," in J.R. Searle(ed). The Philosophy of Language, London: Oxford University Press, 1971, pp.130 – 139.

88. Rodman, Robert and other. An Introduction to Language. Florida: Hdt, Rinehart and Winston, Inc1988.

89. Roulet, Eddy. Linguistic Theory, Linguistic Description and Language Teaching. Transltion by Christopher N. Candlin., London: Longman, 1975.

90. Ryle, Gilbert. The Concept of Mind. New york: Hutchinson's University Library, 1949.

91. Stadon, John. Behaviorism: Mind, Mechanism and Society. London: Gerald Duck Worth, 1993.

92. Schilpp, Paul. The Philosophy of Rudolf Carnap. London: Cambridge University Press, 1963.

93. Skinner, B.F. Verbal Behavior. Englewood Cliffs: Prentice – Hall, Inc. 1957.

94.................... About Behaviorism. New York: Alfred Aknopf, 1974.

95. Smith, Laurence, Behaviorism and Logical Positiv–

ism,: A Reassessment of The Alliance. California: Stanford University Press,1986.

96. Stern, Kenneth. "Neorationalism and Empiricism," in Language and Philosophy, (ed.) by Sidney Hook, New York: New York University Press, 1969, pp.191 - 198.

97. Sternberg, Robert J,. In Search of The Human Mind. London:. Harcourt Brace College, 1998.

98. Watson, John. Behaviorism.W. W. Norton &.Company,Inc., 1930.

99. Williams ,Bernard" Rationalism, " in by Paul Edwards, (ed.) " the Encyclopedia of Philosophy, volum one. New york: Mac Millan Com & Free Press; 1989.pp.69 - 73

100. Winston, Mortone; "Did A(kuhnian) Scientific Revolution Occur in Linguistics?, "Proceedings of the Biennial Meetlng of the Philosophy Scientific Association, vol. vo1umeine: Contributed, 1976. pp.25 - 33..

101. Zimmerman, Marvin "Is Linguistic Nationalism a Rational Linguistic," In Sidney Hook(ed.) Language and Philosophy, New York: New York University Press, 1968.

رابعًا: المعاجم والموسوعات الأجنبية

102. Adam Kuper and Other.(eds.) The Social Science Encyclopedia. London, Boston' and Henely: Routledge & Kegen Paul, 1998.

103. Asher, R. E. and Other.(eds.)Encyclopedia of Language and Linguisti Concise History of Language Sciences:

From The Sumerians The Cognitivist. Volume7, Oxford: Pergamon Press, 1995.

104. Bussmann, Hadumod.(ed.)Routledge Dictionary of Language and Linguistics. Translated and Edited by Gregory Trauth and other. New York: Rout Ledge, 1996.

105. Don Garrett and Other.(eds.) Encyclopedia of Empiricism. Oxford:Green Wood Press, 1997.

106. Edwards, Paul.(ed.) The Encyclopedia of Philosophy. New York:MacMillan Com & Free Press, 1989.

107. Jear, Kirsten Malmk.(ed.) The Linguistic Encyclopedia, London: Routledge, 1991

108. Robert Gwin and Others.(eds.) The New Encyclopedia Britannica. Chiego: Encyclopedia Britannica, Inc. Vol. 22 and vol. 23, 1986.

خامساً: المراجع العربية

1 – إبراهيم، إبراهيم مصطفى: مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993م.

2 – أحمد عبد المجيد سيد: علم اللغة النفسي، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولي، 1982م.

3 – أدهم، سامي: فلسفة اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.

4 – إسماعيل، صلاح: فلسفة اللغة والمنطق: دراسة في فلسفة كواين، دار المعارف، القاهرة، 1995م.

5 – ________: فلسفة العقل عند فتجنشتين، مجلة كلية الآداب، جامعة

القاهرة، المجلد (56) العدد (4)، أكتوبر 1996م.

6 - ________: النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الخامسة والعشرون، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الرسالة23 يونيو 2000.

7 -: "النحو التوليدي عند نعوم تشومسكي"، بحث مرجعي قدم إلي اللجنة العلمية الدائمة للترقيات، القاهرة، 2000.

8 - الخولي، يمنى طريف: فلسفة كارل بوبر: منهج العلم - منطق العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م.

9 - النويهي، سهام: تطور المعرفة العلمية: مقال فى فلسفة العلم، طبع فى شركة إخوان رزيق للطباعة، القاهرة، (د.ت).

10 - الوعر، مازن: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس بدمشق، 1996م.

11 - بوبر، كارل: "عقلانية الثورات العلمية"، ضمن كتاب الثورات العلمية، تحرير إيان هاكينج، ترجمة السيد نفادى، دار المعرفة الجامعية، 1996م.

12 - جلال، شوقي: على طريق توماس كون: رؤية نقدية لفلسفة تاريخ العلم فى ضوء نظرية توماس كون. سلسلة كراسات مستقبلية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولي، 1997م.

13 - خرما، نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر1978م.

14 - ديكارت، رينيه: مقال عن المنهج، ترجمة: محمود محمد الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.

15 - روبنز. ر. هـ: موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة: أحمد عوض،عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1997م.

16 - زكريا، ميشال: الألسنة: علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية

للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية 1985م.

17 – سليم، محمد: "مشكلة المعنى بين آير ورايل"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة جنوب الوادي، 2003.

18 – الشايب، فوزي حسن: محاضرات فى اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، الطبعة الأولى 1999م.

19 – قطب، خالد: منطق التقدم العلمي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.

20 – كوتنغهام، جون: العقلانية، ترجمة محمود الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 1997م.

21 – كون، توماس: بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 1992م.

22 – ليونز، جون: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1985م.

23 – مهران، محمد: دراسات في فلسفة اللغة, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.

Bibliotheca Alexandrina
15023329



I.S.B.N978-977-276-810-3

